

الجمعية السعودية
للدراسات الدعوية

saudi association for da'wah studies



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة



بصيرة

العدد الثالث
محرم ١٤٣١هـ





المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية
مجلة علمية محكمة
العدد الثالث

محرم ١٤٣١هـ

المشرف العام

أ. د. خالد بن عبد الرحمن القرشي

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أ. د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان

أعضاء هيئة التحرير

د. إبراهيم بن صالح الحميدان

د. محمد بن عبدالله السحيم

أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغنوي

أ. د. محمد بن ناصر العمسار

أمين المجلة

شبيب بن حسن العقباني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

ردمك: ٣٨٨٤ - ١٦٥٨

قواعد النشر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

- ١- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- ٢- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- ٣- أن تتحقق له السلامة اللغوية.
- ٤- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.
- ٥- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.
- ٦- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.
- ٧- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- ٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).
- ٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

- ١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغة العربية بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A٤).

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Microsoft Word) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A٤) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (٢٠×١٢) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، أو إرساله عبر البريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلقات من بحثه الذي تم نشره.

تتبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المراسلات:

تتم المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة على العناوين التالية:
المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢
هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢ - ١ - ٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

<http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm>

الفهرس

١٢ - ١٠٤	المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية د. أحمد بن علي الخليفي
١٠٥ - ١٨٦	البرامج الدعوية في سجن الملز العام، دراسة مسحية د. عبدالله بن محمد المطوع
١٨٧ - ٢٣٦	الرُحمة خلق دعوي وقيمة إسلامية د. توفيق بن عبدالعزيز السديري
٢٣٧ - ٢٦٨	فقه الدعوة في سيرة صهيب بن سنان الرومي ؓ د. بدرية بنت سعود البشر
٢٦٩ - ٣٢٠	تكريم الدعوة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى د. محمد هلال الصادق هلال
٣٢١ - ٤٠٤	دروس دعوية من الهدى النبوي في بناء العلاقات الزوجية د. هند مصطفى شريفي
٤٠٥ - ٤٦٦	العرف وتطبيقاته في الحسبة أ.د. حمد بن ناصر العمار
٤٦٧ - ٥١٥	القدوة الحسنة وأثرها في حياة المحتسب د. الجوهرة بنت محمد العمراني

المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية

إعداد

الدكتور: أحمد بن علي الخليلي
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب
في كلية الدعوة والإعلام

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، كتب على نفسه الرحمة لعباده، تفضلاً منه وإحساناً، وله الحمد على أن جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم والتقوى يدعون من ضل عن الهدى، وينهون عن الفساد والردى، ويحيون بكتاب الله الموتى، وبسنة رسول الله ﷺ أهل الجهالة والعمى، فكم من لإبليس أحيوه، وكم من ضال هدوه، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة محصلة للفران، ومنقذة من النيران، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ جعلنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ﷺ أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى من أشرف الأعمال، وأحسن الأقوال، وأعظم ما يشغل به المرء نفسه اقتداءً بنبيه محمد ﷺ، وإن هذه الدعوة يتحملها أتباع الرسل وورثة الأنبياء، ولا بد لحاملها من صفات وسمات تؤهله لحملها والسعي إلى أدائها، وإن من أهم الصفات للداعية إلى الله أن يكون لديه علم بما يدعو إليه، حتى لا يدعو على جهل فيضل ويضل، والدعوة بلا علم كراس بلا جسد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسِعَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١).

والمؤمن مطالب بأن يدعو ويبلغ بما عنده من العلم. ومن أعظم ما ينبغي للداعية أن يدركه ويحيط به التعرف على مقاصد الشريعة لأن ما يأمر به الداعية وما ينهى عنه ينبغي أن يدور حول جلب المصالح للمدعوين في الدنيا والآخرة في العاجل والأجل، ومصالح المدعوين أجملتها الشريعة الإسلامية في خمسة مقاصد هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل أو العرض، وحفظ المال.

وإذا كانت الشريعة جاءت لجلب المصالح ودرء المفسد فإن الداعية ينبغي أن يكون مقصده في الدعوة هو جلب المصالح للمدعويين ودرء المفسد عنهم لتحقيق الغاية الكبرى وهي العبودية لله وحده يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "والشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفسد وتقليلها"^(١).

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : "إن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة، وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهده الذي به اهتدى المهتدون، وشفاه الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها..."^(٢).

ويقول العزبن عبد السلام - رحمه الله - : "والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفسد أو تجلب مصالح فإذا سمعت الله يقول (يا أيها

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/٢٦٥.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم ١٤/٣.

الذين آمنوا) فتأمل وصيته بعد ندائه فلا تجد إلا خيرا يحثك عليه أو شرا يذرك عنه أو جمعا بين الحث والزجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفسد حثا على اجتناب المفسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثا على إتيان المصالح^(١).

إن مصالحي العباد بقضائها وقضيضها، وبمجمليها وتفصيلاتها لا يستطيع أحد من البشر أن يلم بمعرفتها وإدراكها، ولذلك نجد أن كثيرا من القوانين التي وضعها البشر والتي لم يرجعوا فيها إلى مقاصد الشريعة تعد قوانين قاصرة لا تحقق مصالح الناس مما يؤكد أن شريعة الله هي الوحيدة التي تحقق مصالح الناس بجميع أصنافهم وأشكالهم، وحينئذ لا يستطيع الدعاة أن يتركوا المصالح والمفاسد والمقاصد إلا إذا ساروا بتعاليم الشريعة، واستتاروا بنورها، ووقفوا عند حدودها، وتأملوا معانيها، ووزنوا الأمور بهيئتها.

إن هذا البحث - المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية - له من الأهمية بمكان وهو بمثابة الإشارات والمفاتيح للدعاة، ويجدر بهم تدارس المصالح الدعوية بين الحين والآخر، والرجوع إلى القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية.

إن معرفته الموازين والأسس التي تبنى عليها الأحكام وفهم مقاصد الإسلام ومعانيه هي من الفقه في الدين الذي ينبغي على الدعاة الاتصاف به والتحلي بمعانيه وفي الحديث عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)^(٢).

قال ابن حجر - رحمه الله - "ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العزبن عبدالسلام ١١/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: العلم ١/٤٢ رقم الحديث ٧١.

حرم الخير ثم قال: وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس، ولفضل التفقه في الدين على سائر العلوم^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : "وكل من أراد الله به خيراً لا بد أن يفقهه في الدين، فمن لم يفقه في الدين لم يرد الله به خيراً، والدين ما بعث الله به رسوله، وهو ما يجب على المرء التصديق به والعمل به"^(٢).

وفي العصر الحاضر استجرت أمور كثيرة، وحدثت نوازل عديدة وبالتالي قد يواجه الدعاة مواقف مختلفة وأحوالاً كثيرة يحتاجون فيها إلى تحكيم المصلحة الدعوية المبنية على أسس وقواعد شرعية.. مما يؤكد أهمية هذا البحث لرسم الخطوط العريضة للدعاة كي يسيروا على منهج سليم وتصور صحيح، ويصلوا إلى نتائج كبيرة وثمار عظيمة.

لقد شاع هذا المصطلح (المصلحة الدعوية) بين أوساط القائمين بالدعوة، وأصبحوا يحتجون في وقائعهم وأعمالهم ومواقفهم بالمصلحة الدعوية مؤكدين على أن المصلحة في ذلك كذا وكذا... فيا ترى ما مقاصد الشريعة التي تبنى عليها المصالح الدعوية؟ وما هذه المصالح التي يدعون إليها، وإلى التحاكم إليها والحكم بها...؟ وما الضوابط لتلك المصالح؟

لذا فإن هذه الأمور وغيرها دعيت منذ زمن إلى أن أبحث عن هذه المقاصد وتلك المصالح لعلني أن أخرج بنتيجة تفيدني أولاً في حياتي الدعوية ثم تفيد إخواني القائمين بالدعوة فكان هذا البحث لأسلط

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر ٢١٨/١.

(٢) الحسبة في الإسلام: ابن تيمية ص ٢٥.

الضوء على المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية
سائلا المولى أن يسدد على دروب الخير الخطى...

وقد قسمت البحث إلى أربعة فصول كما هو الآتي: **الفصل
الأول: المقاصد والمصالح في الشريعة الإسلامية**

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والمصالح والمفاسد وأهمية
معرفتها للدعاة.

المبحث الثاني: الأدلة على مراعاة الشريعة الإسلامية للمقاصد
والمصالح.

**الفصل الثاني: تقسيم مقاصد الشريعة باعتبار المصالح الدعوية
وترتيبها**

المبحث الأول: المصالح الدعوية الضرورية.

المبحث الثاني: المصالح الدعوية الحاجية.

المبحث الثالث: المصالح الدعوية التحسينية.

المبحث الرابع: ترتيب المصالح الدعوية

الفصل الثالث: تقسيم المقاصد الدعوية باعتبار حفظ الضروريات

المبحث الأول: مقصد المحافظة على الدين.

المبحث الثاني: مقصد المحافظة على النفس.

المبحث الثالث: مقصد المحافظة على العقل.

المبحث الرابع: مقصد المحافظة على العرض أو النسب أو

النسل.

المبحث الخامس: مقصد المحافظة على المال.

الفصل الرابع: الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد

المبحث الأول: ضوابط المصالح الدعوية.

المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد.

المبحث الثالث: تغيير المنكر وما يترتب عليه.

هذا ما أردت أن أعرضه في هذا البحث فإن يكن صواباً فمن الله
وحده وإن يكن خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه بريئان.
وفي الختام أسأل الله أن أوفق في عرض هذا الموضوع عرضاً غير
ممل ولا مغل يستفيد منه القارئ والمتأمل إنه جواد كريم هذا والله
أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

الفصل الأول: المقاصد والمصالح في الشريعة الإسلامية

المبحث الأول: مفهوم المقاصد والمصالح والمفاسد وأهمية معرفتها للدعاة.

المطلب الأول: مفهوم المقاصد، والمصالح، والمفاسد:

أولاً: مفهوم المقاصد:

المقاصد في اللغة: جمع مقصد، من قصد الشيء وقصد له، وقصد إليه قصداً من باب ضرب، بمعنى طلبه، وأتى إليه، واكتنزه، وأثبتته. وقصدت قصده؛ نحو نحوته.

والمقصد هو طلب الشيء أو إثبات الشيء أو الاكتناز في الشيء أو العدل فيه^(١).

وذكر البعض أن المقاصد هي: الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة وأثبتتها الأحكام الشرعية^(٢). وأكد العلماء على أن مقاصد الشريعة هي: تحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة في العاجل والأجل.

يقول العز بن عبد السلام - رحمه الله - : "والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح"^(٣).

(١) انظر المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون ٧٤٥/٢. تاج العروس: الزبيدي ٤٦٦/٢.

الصالح: الجوهري ٥٢٤/٢. لسان العرب: ابن منظور ٣٥٣/٣.

(٢) انظر المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم ص ٨٣. مجلة كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى، العدد: السادس عام ١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ، مبحث

مقاصد الشريعة للدكتور / محمد مصطفى الزحيلي ص ٣٠١.

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبد السلام ١١/١.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلّا فجميع المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم قد يحصل لصاحبه به منافع ومقاصد لكن لما كانت مفسدها راجحة على مصالحها نهى الله ورسوله عنها"^(١).

إذن الداعية يسعى إلى تحقيق مصالح المدعويين في الدنيا والآخرة. وسواء عبر عنها بـ(مقاصد الشارع) أو (مقاصد الشريعة) أو(المقاصد الشرعية) فإنها كلها تدل على معنى واحد والتي تعني: تحقيق مصالح المدعويين ودفع المفاسد عنهم ويتم تحقيق مصالح المدعويين ودفع المفاسد عنهم من خلال المحافظة على الأصول الخمسة وهي: الدين والنفوس والعقل والعرض والمال وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث.

ثانياً: مفهوم المصالح:

المصالح في اللغة: المصالح مفردها المصلحة، والمصلحة لغة كالمنفعة وزناً ومعنى.

وتطلق المصلحة بإطلاقين؛ باعتبارها مصدراً بمعنى الصلاح كالمنفعة بمعنى النفع أي الاستقامة والسلامة وحسن الحال.

وتطلق باعتبارها اسماً للواحدة من المصالح كالمنفعة اسم للواحدة من المنافع. يقول صاحب لسان العرب: "والمصلحة الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح"^(٢).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٦٥/١.

(٢) لسان العرب : ابن منظور ٥١٧/٢

وفي القاموس المحيط: "الصالح ضد الفساد وأصلحه ضد أفسده،
والمصلحة واحدة المصالح"^(١).

وفي المصباح المنير: صلح بالفتح، وصلح بالضم ضد فسد، وأصلح
أتى بالصالح وهو الخير والصواب وفي الأمر مصلحة أي خير"^(٢).
وفي الاصطلاح:

عرف الغزالي المصلحة بأنها: "عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو
دفع مضرة ثم قال: ولسنا نعني به ذلك فإن جلب المنفعة ودفع المضرة
مقاصد الخلق وصالح الخلق في تحصيل مقاصدهم لكن نعني
بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق
خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم،
ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة،
وكل ما يفوت هذه الأصول مفسدة ودفعها مصلحة"^(٣).

وعرفها الخوارزمي بقوله: "المصلحة هي المحافظة على مقصود
الشرع بدفع المفاسد عن الخلق"^(٤).

وعرفها الطاهر بن عاشور بأنها "وصف للفعل يحصل به الصلاح
أي النفع منه دائما أو غالبا للجمهور أو للأحاد"^(٥).

(١) القاموس المحيط: الطاهر الزاوي ٨٣٩/٢. وانظر الصحاح: الجوهري ١/٢٨٣

(٢) المصباح المنير: الفيومي ١/٣٤٥.

(٣) المستصفي: الغزالي ١/٢٨٦.

(٤) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: الشوكاني ص ٢٤٢.

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور ص ٦٥.

وعرفها البوطي بأنها "المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده من حفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم طبق ترتيب معين فيما بينها"^(١).

وعرفها الدكتور عبدالله التركي بأنها هي "الوصف الذي يكون في ترتيب الحكم عليه جلب منفعة للناس أو درء مفسدة عنهم"^(٢).

ثالثاً: مفهوم المفسد:

مما سبق في مفهوم المصالح وتعريفها يتبين لنا المقصود بالمفسد. فالمفسدة خلاف المصلحة

يقول صاحب لسان العرب: والمفسدة خلاف المصلحة، قالوا هذا الأمر مفسدة لكذا أي فيه فساد قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة ❖ مفسدة للعقل أي مفسدة^(٣)

وقالوا في المعجم الوسيط: المفسدة: الضرر، يقال هذا الأمر لمفسدة كذا فيه فساد، وما يؤدي إلى الفساد من لهو ولعب ونحوهما^(٤).
ويقول الطاهر بن عاشور: "وأما المفسدة فهي ما قابل المصلحة، وهي وصف للفعل يحصل به الفساد أي الضرر دائماً أو غالباً للجمهور أو للأحاد"^(٥).

إذن يتبين لنا أن كل ما فيه نفع سواء بالجلب والتحصيل أو بالدفع والاتقاء فهو مصلحة يسعى إلى تحصيلها الداعية ويمثلها، وكل ما

(١) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية: محمد سعيد البوطي ص ٢٢.

(٢) أصول مذهب الإمام أحمد: د. عبدالله التركي ص ٤٥٩.

(٣) لسان العرب: ابن منظور ٣/٣٢٥.

(٤) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون ٢/٦٨٨.

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية: الطاهر بن عاشور ص ٦٥.

فيه ضرر سواء بالجلب والتحصيل أو بالدفع والاتقاء فهو مفسدة يحذر منها الداعية ويسعى إلى الابتعاد عنها.

وبعد هذه الجولة في مفهوم المقاصد والمصالح والمفاسد يمكن لنا تعريف المصلحة الدعوية بأنها:

محافظة الدعاة على مقصود الشرع

ومقصود الشرع هو جلب المصالح ودرء المفاسد عن الناس بالمحافظة على الدين والنفوس والعقل والعرض والمال.

فالداعية الذي يسعى إلى المحافظة على الدين ويهتم به، ويبعد مدعويه عن ما يخل به... هو يحقق المصلحة الدعوية.

والداعية الذي يسعى إلى المحافظة على النفوس بجلب المصالح لها ودرء المفاسد عنها... هو يحقق المصلحة الدعوية.

والداعية الذي يسعى إلى المحافظة على العقول بتميتها وأمنها، وعن ما يخل بها... هو يحقق المصلحة الدعوية.

والداعية الذي يسعى إلى المحافظة على الأعراض بالعناية بها وإبعاد كل ما يفسدها وينتهكها... هو يحقق المصلحة الدعوية.

والداعية الذي يسعى إلى المحافظة على الأموال من خلال الحصول عليها بالطرق المشروعة، وإبعاد كل ما يفسدها... هو يحقق المصلحة الدعوية.

المطلب الثاني: أهمية تعرف الداعية على مقاصد الشريعة الإسلامية:

لقد أكد العلماء على أن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها. وإذا كانت كذلك فإن

الداعية إلى الإسلام يسعى إلى تحقيق مصالح المدعوين في الدنيا والآخرة، وفي العاجل والأجل.

إن لمعرفة مقاصد الشريعة الإسلامية وبخاصة للداعية إلى الإسلام أهمية كبيرة، وفائدة عظيمة، وآثار كثيرة يحسن بالداعية التعرف عليها وتأملها وإدراكها، وتتضح أهمية التعرف على مقاصد الشريعة الإسلامية من خلال ما سنعرضه من فوائد معرفة تلك المقاصد، ومن أهم فوائدها ما يأتي :

١- أن في التعرف على مقاصد الشريعة الإسلامية؛ تعرفنا على محاسن الإسلام وخصائصه ومزاياه، وهو ما يحتاجه الدعاة لاستمالة قلوب المدعويين وكسب مشاعرهم تجاه الدعوة الإسلامية.

٢- أن التعرف على مقاصد الشريعة الإسلامية وفهمها وإدراكها تكون لدى الداعية التصور الشامل للدين الإسلامي، كما تبين له الإطار العام للشريعة الإسلامية وحدودها وأبعادها.

٣- أن في تعرف الداعية وكذا المدعو لمقاصد الشريعة استلزام لتحقيق الإيمان، وتعزيز لترسيخ القناعة الكافية بدين الله وحكمه وتعاليمه وتوجيهاته، وتأكيد على أن الشريعة الإسلامية جاءت لجلب مصالح الناس، ودرء ما يؤدي إلى المفسد عنهم، فيسعى الداعية للالتزام بهذا الدين، ويحذر ويحذر من مخالفته، كما يرغب في التمسك به والعمل بتعاليمه، إضافة إلى أنه سيبذل جهده في الدعوة إليه بل ويطالب بتطبيقه والالتزام به، ولا ولن يرضى بالاستعاضة عنه، لكون الطبيعة البشرية تحب ما ينفعها، وما يحقق ويؤمن مصالحها، أما ما يجر للنفس من مفسد فإن الإنسان لا يحب أن يؤدي، ولا يحب أن يصل إليه أي ضرر، والإسلام بتعاليمه جاء باجتثاث الفساد ومنعه ودفعه ومقاصد الشريعة الإسلامية المتمثلة في المحافظة على الضرورات

الخمسة أكبر دليل وبرهان على ذلك.

مجلة
الدراسات
الدعوية

٣- أن في معرفة الداعية لمقاصد الشريعة الإسلامية؛ بيان للهدف والغاية الذي سيحمله لدعوته حتى يحقق لهم مصالحهم، ويدفع عنهم ما سيكون مفسد عليهم؛ لأن دعوته ترمي إلى تحقيق مصالح الناس ودفع المفسد عنهم.

٤- أن في تعرف الدعاة والمدعويين على مقاصد الشريعة الإسلامية وإظهارها تعزيز لحصول الحصانة والوقاية والمناعة الكافية مما يسعى إليه أعداء الإسلام وأهل الضلال، من غزو فكري أو نشر مبادئ هدامة أو دعوات براقية أو أفكار مضللة، وما إلى ذلك من سعي لإخفاء محاسن الشريعة الإسلامية أو اتهامها والافتراء عليها. كما أن في إبرازها رد لشبه المفرضين على الإسلام وتعاليمه، وتفنيد لأراء المنحرفين والضالين.

٥- قد تواجه الداعية مواقف ونوازل ووقائع ليس فيها نص صريح تجاهها، وقد يحتاج الداعية حينها إلى اتخاذ علاج حيالها أو ربما احتاج إلى أن يخفف من مفسد تلك الواقعة أو ربما احتاج إلى ترجيح للمصالح والمفاسد لوجود تعارض بينهما.... فهو يحتاج إلى موقف يتوافق مع قواعد الشريعة الإسلامية. لذا فإن معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية قد تيسر وتسهل الطريق مما قد تعطي الداعية موقفا إيجابيا حيال هذه المواقف لأن موقفه كان مبنيا على أسس وقواعد بنا عليها ذلك الموقف وهذا ما سنوضحه إن شاء الله في ثنايا هذا البحث.

٦- أن مقاصد الشريعة تعطي الداعية وتفيده في ترتيب الأولويات وترتيب ما هو أهم على ما هو مهم، وما ينبغي التركيز عليه مما لا ينبغي في حياته الدعوية.

المبحث الثاني: الأدلة على مراعاة الشريعة للمقاصد والمصالح:

إن الشريعة الإسلامية جاءت من لدن الحكيم العليم، الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو سبحانه لم يشرع للناس إلا ما يصلحهم وينفعهم ويفيدهم، وهو سبحانه الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها وحينئذ فما على الدعاة والمدعويين إلا أن ينقادوا ويستسلموا لأوامره ونواهيه سواء علم الناس الحكمة أم لم يعلموها، ومن المعلوم أن الدعوة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفساد وتقليلها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذ الرسول بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفساد وتقليلها فما أمر الله به فمصلحته راجحة وما نهى عنه فمفسدته راجحة"^(١).

وإن مما يدل على أن الشريعة الإسلامية فيها مراعاة للمقاصد والمصالح ما يأتي:

١- أن إرسال الرسول ﷺ كان رحمة للعالمين.

إن الله جل شأنه قد بعث محمداً ﷺ رسولا ومبلغا رحمة بعبادة قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وإن من مقتضيات الرحمة أن لا يشرع لهم إلا ما فيه مصالحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة. يقول ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره للآية السابقة "يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدتها خسر الدنيا والآخرة

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٣٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ لِقَاءِ اللَّهِ كَفْرًا وَلَقُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ
 (١٨) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا مِنْ مَوْبِقِ الْقَرَارِ﴾^(١)، وقال تعالى في صفة القرآن:
 ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَلَتْ آيَاتُهُ بِمَا عَجَمِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
 هُدًى وَبُشْرًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ
 مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(٢)^(٣)، ويؤكد تلك الرحمة ما جاء في حديث أبي هريرة
 ؓ قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال: (إني لم أبعث
 لعائنًا وإنما بعثت رحمة)^(٤).

وهكذا الدعاة فإن رسالتهم؛ رسالة رحمة على الناس يقتدون
 بالنبى ﷺ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
 مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾^(٥).
 ولما رد أهل الطائف النبي ﷺ بعد أن آذاه أهل مكة جاءه جبريل
 وأخبره بملك الجبال ليأمره بما يشاء قال النبي ﷺ: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ
 اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)^(٦).

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٢٨ - ٢٩).

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٢٢/٣.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها ١٦ /
 ٣٦٦ رقم الحديث ٦٥٥٦.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فواقفت
 إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٢ / ٤٢٨ رقم الحديث ٣٢٣١، وأخرجه مسلم في كتاب:
 الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى للمشركين والمنافقين ١٢ / ٣٦٢ رقم الحديث ٤٦٢٩.

٢- تحذير الشريعة الإسلامية من الإفراط والتفريط

إن النفس البشرية لها حدودها وطاقتها والشارع الحكيم لم يكلف نفساً إلا وسعها وعلى قدر استطاعتها، وجعل لها ميزاناً عدلاً لا يعدل عنه، والشارع سبحانه يعلم حال عباده، ويعلم ما يصلحهم وما ينفعهم وينفع لهم بلا زيادة ولا نقصان وبلا إفراط ولا تفريط وبلا غلو ولا تقصير.

أما إذا تجاوز الفرد ذلك إما بالزيادة والنقصان أو الإفراط والتفريط فإنه في هذه الحال سينتهي إلى ما يضره ويفسده والله قد أمر بالعدل لأن في العدل موازنة بين أمرين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٢).
ويقول جل شأنه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣).

٣- إرادة الله بعباده اليسر ورفع الحرج.

جاءت نصوص كثيرة تبين أن الله لم يرد من عباده العنت والحرج والعسر، وإنما يريد بأحكامه وتشريعاته اليسر ورفع الحرج والعنت قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٤)،

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

وقال جل شأنه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
 وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ
 جُنُبًا فَاطَهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ
 فَلَمْ تُحِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ
 لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾^(١)، فرفع الحرج والعسر عن الناس فيما أمرهم به من
 أحكام؛ يقتضي أن تكون تلك الأحكام دائرة مع مصالحهم
 ومقتضيات سعادتهم وإلا لما ارتفع العسر والحرج بحال، ولذلك قال
 الفقهاء في إحدى القواعد الفقهية (المشقة تجلب التيسير).

وفي التأكيد على الأخذ بالتيسر نجد أن النبي ﷺ قد أوصى معاذ
 بن جبل وأبا موسى الأشعري لما أرسلهما إلى اليمن بذلك فقال عليه
 الصلاة والسلام (يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرُوا وَيَسْرًا وَلَا تُتَفَّرُوا وَتَطَاوَعًا وَلَا
 تَخْتَلَفَا)^(٢)، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال (فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَكَمْ
 تَبِعْتُمُو مُعَسِّرِينَ)^(٣).

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع
 ١٦١/٣، رقم ٤٣٤١، وأخرجه في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع
 والاختلاف في الحرب ٣٦٨/٢، رقم ٣٠٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد ٩١/١ رقم
 الحديث ٢٢٠. وأخرجه في كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ (يسروا ولا تعسروا)
 ١١٤/٤ رقم الحديث ٦١٢٨.

٤- أن أحكاما كثيرة جاءت معللة وهذا التعليل فيه بيان للمقاصد والمصالح.

شرع الله لخلقه أحكاما كثيرة وتوجيهات عديدة، ونجد أن الله بين في نهاية بعض الآيات علة تشريع ذلك ليبين لهم أن هذا التشريع إنما هو لمصالحهم ومنافعهم. ومن تلك الآيات على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) ، يقول ابن كثير في هذه الآية " وفي شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة ، وهي بقاء المهج وصونها لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل انكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة للنفوس"^(٢).

ومن تلك الآيات أيضا قوله تعالى عن الخمر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَعْفُ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣) ، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٤).

يقول ابن كثير في الآية الأولى وبعد أن ذكر مصالح الخمر الدنيوية وفائدته" ولكن هذه المصالح لا توازي مضرتة ومفسدته الراجعة لتعلقها بالعقل والدين"^(٥).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٢٥/١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٢٧٤ / ١.

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تبين حكمة وعلة الحكم المذكور. يقول الطوفي: "وبالجملة فما من آية من كتاب الله عز وجل إلا وهي تشتمل على مصلحة أو مصالح"^(١).

٥- نهي الشريعة الإسلامية عن الضرر والضرار

ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)^(٢)، والضرر هو محاولة الإنسان إلحاق المفسدة بنفسه أو بغيره مطلقاً. والضرار مقابل الضرر بالضرر أو إلحاق مفسدة بالغير على جهة المقابلة، وبذلك يتبين أن في الحديث النهي عما فيه مفسد سواء تلحق النفس أو تلحق الغير. يقول الطوفي- رحمه الله: "ثم إن قول النبي ﷺ (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) يقتضي رعاية المصالح إثباتاً ونفياً، والمفاسد نفياً إذ الضرر هو المفسدة فإذا نفاها الشرع لزم إثبات النفع الذي هو المصلحة لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما"^(٣).

ومن النهي عن الضرر في تطبيقات النبي ﷺ لهذه القاعدة ما ورد أن النبي ﷺ نهى الصحابة عن زجر الرجل الذي يبال في المسجد ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَهْ مَهْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرْكُوهُ حَتَّى يَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ

(١) رسالة في رعاية المصالح: الطوفي ص ٣٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ومن مسند بني هاشم، بداية مسند عبدالله بن العباس ١/٣٨٩، رقم ٢٨٦٥

ولفظ أحمد (ولا إضرار). وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره

ص ٤٠٠، رقم ٢٣٤١ وقال الألباني: صحيح، انظر سنن ابن ماجه، تعليق محمد ناصر الألباني.

(٣) رسالة في رعاية المصالح: الطوفي ص ٢٣.

هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذْرَ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ^(١).

ومن ذلك ما أوصى به عليا من تسوية القبور فعن أبي الهيثج الأسدي قال: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (أَنْ لَا تَدَعَ تَمَثَالًا إِلَّا تَمَسَّتْهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ وَلَا صُورَةً إِلَّا تَمَسَّتْهَا)^(٢).

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد ٩١/١،

رقم ٢٢٠. وأخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات

١٩٩/١، رقم ٢٨٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر ٥٥٥/٢ رقم ٩٦٩.

الفصل الثاني: تقسيم مقاصد الشريعة باعتبار المصالح

الدعوية

المبحث الأول: المصالح الدعوية الضرورية:

بالنظر إلى ما كتبه العلماء نجد اختلافاً في تعبيراتهم عن التقسيمات، فبعضهم يقول تقسيم المقاصد باعتبار المصالح، وبعضهم يقول "أقسام المصلحة باعتبار قوتها في ذاتها".

وعلى كل حال قسم العلماء المقاصد باعتبار المصالح إلى ثلاثة أقسام ضروريات، وحاجيات، وتحسينات.

وقد جاء هذا التقسيم بحسب قوتها، وأهميتها، وخطورتها، وأثرها في الحياة، وحاجة الناس إليها. وبحسب معرفة الداعية إليها؛ يكون عمله وحرصه لكون بعض المصالح ضروري وجوهري تتعلق بوجود الناس، وبوجود الإنسان وكيانه ومقومات حياته.

وبعضها تأتي في الدرجة الثانية لتكون وسيلة مكملة للمصالح الضرورية فتساعد الإنسان على الاستفادة الحسنة من جوانب الحياة المختلفة في السلوك والمعاملات وتنظيم العلاقات دون مشقة ولا حرج، وأيضا بعض المصالح لا تتوقف عليها الحياة ولا ترتبط بحاجيات الإنسان، وإنما تتطلب مكارم الأخلاق، والذوق السليم، والعقل الصحيح لتحقيق الكماليات لهم.

يقول الدكتور يوسف حامد العالم: "ومبدأ تقسيم المصلحة إلى ضرورية وحاجية وتحسينية جدير بالدراسة والبحث، وحبذا لو أخذ المسلمون به، وجنحوا إلى تطبيقه في مجال الحياة العامة لهم بحيث

يوضع توفير الحاجيات والضروريات لجميع الناس في دنيا المعيشة

والخدمات التعليمية والصحية موضع القاعدة العامة المرتبطة بشعور الجميع بحيث يربى عليها النشء منذ عهد الطفولة حتى تكون المشاركة بوازع طبيعي وشعور إنساني بدافع الرغبة في الخضوع لتوجيهات الله لعباده وإظهاراً لطاعته وحباً في مرضاته، وبذلك وحده يتم ترابط المجتمع ترابطاً حقيقياً، وتماسكاً واقعياً، وتعاوناً صادقاً على البر والتقوى، وبذلك وحده تصير الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، وتصبح كالجسد الواحد تحب الخير لجميع أفرادها، وتدفع عنهم عوامل البؤس والشقاء، أما التحسينات فهي مجال للمزايا والامتياز الذي يشبع بواعث حب التفوق والطموح الإنساني في ضل المنافسة النظيفة الطاهرة التي تدفع بصاحبها إلى المسابقة وحب السبق في عمل الخيرات؛ كسباً لرضا الله ووفاء بعهده وتنفيذاً لأمره، وطاعة لدينه القويم بعيداً عن أمراض الحسد والجشع والشح التي تحجب النفوس والقلوب عن نور الهدى وخير الإنسانية^(١).

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف العالم ص ١٧١.

ولأهمية تعرف الداعية على هذه المصالح يحسن بالباحث الحديث
عن هذه المصالح الدعوية بالمباحث الآتية:

المبحث الأول: المصالح الدعوية الضرورية^(١):

المصالح الدعوية الضرورية: هي التي تقوم عليها حياة الناس
الدينية والدنيوية، بل يتوقف عليها وجودهم في الدنيا ونجاتهم في
الآخرة. وفي حال فقدان هذه المصالح الدعوية الضرورية يختل نظام
الحياة، وتفسد مصالح الناس وتعم فيهم الفوضى، وربما يتعرض
وجودهم للخطر والضياع والانهايار والدمار، فلا يعيش الإنسان
مستقيم الحال بدون المصالح الدعوية الضرورية، وبقدر ما يكون من
فقدانها بقدر ما يكون من الفساد والفوضى والضياع فهي إذن
مصالح لا بد منها للإنسان حتى تستقيم الحياة.

يقول الشاطبي " فأما الضرورية فمعناها أنه لا بد منها في قيام
مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على
استقامة بل على فساد وتهاجر وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة
والنعيم والرجوع بالخسران المبين"^(٢).

وتنحصر مصالح الناس الضرورية في خمسة أشياء هي: الدين،
النفس، العقل، النسب أو النسل أو العرض، المال.

(١) انظر الموافقات: الشاطبي ٧/٢، المصلحة في التشريع الإسلامي: نجم الدين الطوفي ص ٥٤،
نظرية الضرورة الشرعية: دوهبة الزحيلي ص ٤٩، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د.
يوسف العالم ص ١٦١، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة أم القرى ص ٣١٥،
المستصفي: الغزالي ٢٨٦/١، الاستصلاح والمصالح المرسله: مصطفى أحمد الزرقاء ص ٤١،
مصادر التشريع الإسلامي والأدلة المختلف فيها: حسنين محمود حسنين ص ١١٩.
(٢) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٧/٢.

وسياتي بيان هذه المصالح إن شاء الله في الفصل الثاني.
يقول الشاطبي: "ومجموع الضروريات خمسة وهي حفظ الدين،
والنفس، والنسل، والمال، والعقل"^(١).

وحفظ الشريعة لهذه المصالح الدعوية الضرورية يتم على وجهين
يكمل أحدهما الآخر وهما:

١- حفظها من جوانب الوجود: أي بشرع ما يحقق وجودها، وقيم
أركانها، ويثبت قواعدها.

٢- حفظها من جانب العدم: أي بإبعاد ما يؤدي إلى إزالتها أو
إفسادها أو تعطيلها سواء كان واقعا أو متوقعا.

المبحث الثاني: المصالح الدعوية الحاجية^(٢):

المصالح الدعوية الحاجية: هي الأمور التي تدعو حاجة الناس إليه
من غير حد الضرورية لتأمين شؤون الحياة بيسر وسهولة، وتدفع عنهم
المشقة والعنت وتخفف عنهم التكاليف، وتساعدهم على تحمل أعباء
الحياة.

وإذا فقدت هذه الأمور لا يختل نظام حياتهم، ولا يتهدد وجودهم،
ولا ينتابهم الخطر والدمار والفوضى، وإنما يلحقهم الحرج والضيق
والمشقة، ولذلك تأتي الأحكام التي تحقق هذه المصالح الحاجية
للناس لترفع عنهم الحرج، وتيسر لهم سبل التعامل، وتساعدهم على
صيانة مصالحهم الضرورية، وتأديتها، والحفاظ عليها عن طريق

(١) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٨/٢.

(٢) انظر الموافقات: الشاطبي ٩/٢، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د. يوسف العالم

ص ١٦١، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة أم القرى ص ٣١٥، المستصفي:

الغزالي ٢٨٦/١، خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر الأشقر ص ٨٤.

تأمين الحاجيات لهم يقول الشاطبي - رحمه الله - : "وأما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراخ دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة"^(١).

وقد بين الله تعالى أنه لم يكلف عباده بالعنت والإرهاق وإنما بين لهم أن مؤدى الأحكام رفع الحرج والمشقة عن الناس قال الله تعالى:

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ لَّيْلَةً أَيْكُمْ لِرَاهِمٍ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاصْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٢).

وبين جل شأنه أنه لم يكلف نفساً إلا ما هو في استطاعتها، وما هو في وسعها قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، وقال جل شأنه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِلُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

(١) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٩/٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ
وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ ، وفي آية
أخرى بين سبحانه أنه إنما يريد بعباده اليسر قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ
بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ﴿٢﴾ ، يقول السعدي - رحمه الله - :
"أي يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم
تيسير ويسهلها أبلغ تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في
غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله سهله
تسهيلاً آخر إما بإسقاطه أو تخفيفه بأنواع التخفيفات، وهذه جملة لا
يمكن تفصيلها لأن تفاصيلها جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع
الرخص والتخفيفات" ﴿٣﴾ .

والداعية في خطابه ومعاملته للمدعويين ينبغي عليه أن لا يكلفهم
مما ليس في وسعهم وطاقتهم كما جاء في وصية النبي ﷺ لمعاذ وأبي
موسى حيث قال لهما: (يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشْرًا وَلَا تُثْفِرُوا وَتَطَاوَعًا وَلَا
تُخْتَلِفُوا) ﴿٤﴾ .

كما على الداعية أن يتدرج بمدعويه وبخاصة مع غير المسلمين
حتى لا يشق عليهم وينفرهم.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص ٨٦.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع
١٦١/٣ رقم ٤٣٤١ - ٤٣٤٢ - ٤٣٤٤ - ٤٣٤٥ وفي كتاب: الجهاد والسير باب: ما يكره
من التنازع والاختلاف في الحرب ٣٦٨/٢ رقم ٣٠٣٨.

المبحث الثالث: المصالح الدعوية التحسينية^(١):

المصالح الدعوية التحسينية: هي الأمور التي تتطلبها المروءة والآداب ومكارم الأخلاق، ويحتاج الناس إليها للتوسعة وللتزيين ولتسيير شؤون الحياة على أحسن وجه وأكمل أسلوب وأقوم منهج، وإذا فقدت هذه الأمور فلا تختل شؤون الحياة، ولا ينتاب الناس الحرج والمشقة ولكن لديهم إحساس بالخجل وربما تتقززه نفوسهم، وتستتكره عقولهم، وتأنف فطرتهم من فقدانها، ويتطلعون إلى الكمال فيها. يقول الشاطبي - رحمه الله - : "وأما التحسينات فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المندسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق - ثم يقول - فهذه الأمور راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي وإنما جرى مجرى التحسين والتزيين"^(٢).

ولعل من التحسيني في الأمور الدعوية بناء المراكز الإسلامية والدعوية، والاهتمام بالوسائل الدعوية الإعلامية المختلفة، وحسن الأسلوب الدعوي وجماله، وجودة عرض الدعوة للمدعويين حتى تحقق الدعوة ثمارها.

كما أن من المصالح الدعوية التحسينية ذرائع الفساد فهو أحسن من انتظاره ووقوعه والتورط فيه، والوقاية خير من العلاج، والدفع أولى من الرفع.

(١) انظر الموافقات: الشاطبي ٩/٢، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: د. يوسف العالم

مجلة ١٦٤، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة أم القرى ص ٣١٦، المستصفي:

الغزالي ٢٨٩/١، خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر الأشقر ص ٨٥.

الدراسات الدعوية (٢) للموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ١٠/٢.

المبحث الرابع: ترتيب المصالح الدعوية:

تبين مما سبق أن مصالح الناس التي يسعى إلى تحقيقها الدعاة متدرجة ومرتبة بحسب أهميتها ومكانتها في الحياة الإنسانية، ولذا فإن ترتيب المصالح الدعوية هو بحسب المقاصد، وحينئذ فينبغي على الدعاة مراعاة ترتيب المصالح الدعوية التي قصد الشارع تحصيلها وتقديم الأهم فالأهم.

وأهم تلك المصالح الدعوية هي المصالح التي شرعت لتحقيق المصالح الدعوية الضرورية لكون تركها والابتعاد عنها يترتب عليه الاختلال في نظام الحياة وقوامها.

ثم تأتي الأحكام التي شرعت لتحقيق المصالح الدعوية الحاجية لكون عدم الأخذ بها يترتب عليه وقوع المدعويين في الضيق والحرَج والشدَّة والعسر.

ثم تأتي الأحكام التي شرعت لتحقيق المصالح الدعوية التحسينية.

وكل مرتبة لها ما يكملها وهي تعتبر كالتكملة لما قبلها، إضافة إلى أن الأحكام الحاجية كاللتمَّة والتكملة للمصالح الدعوية الضرورية وأحكامها، وأن التحسينات مكملة للحاجيات.

ويتبين من ذلك أن الضروريات هي أصل المصالح كلها، وهي مقصود الشارع الأصلي وحينما تتعرض المصالح الضرورية أو إحداها للخلل لأدى ذلك إلى اختلال المصالح الدعوية الحاجية والتحسينية، وإذا اختل حكم حاجي أو تحسيني فإنه يؤثر بطريق غير مباشر على المصالح الدعوية الضرورية بوجه من الوجوه وينذر بها بالخطر، لذلك تجب المحافظة على المقاصد الحاجية والمقاصد التحسينية حتى لا

مجلة
الدراسات
الدعوية

تتعرض المصالح الدعوية الضرورية للخلل، وينبغي إهمال المقاصد الحاجية إذا كان في مراعاتها إخلال بالمقاصد الضرورية، وكذلك ينبغي إهمال المقاصد التحسينية إذا كان في مراعاتها إخلال بمقاصد ضرورية أو حاجية يقول الشاطبي - رحمه الله - : "المقاصد الضرورية في الشريعة أصل للحاجية والتحسينية، فلو فرض اختلال الضروري بإطلاق لا اختلالاً باختلاله بإطلاق، ولا يلزم اختلالهما اختلال الضروري بإطلاق، نعم قد يلزم من اختلال التحسينات بإطلاق اختلاف الحاجي بوجه ما. وقد يلزم من اختلال الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما، فلذلك إذا حوفظ على الضرورية فينبغي المحافظة على الحاجي، وإذا حوفظ على الحاجي فينبغي المحافظة على التحسيني إذا ثبت أن التحسيني يخدم الحاجي، وأن الحاجي يخدم الضروري فإن الضروري هو المطلوب فهذه مطالب خمسة لا بد من بيانها :

أحدهما: أن الضروري أصل لما سواه من الحاجي والتكميلي.

الثاني: أن اختلال الضروري يلزم منه اختلال الباقيين بإطلاق.

الثالث: أنه لا يلزم من اختلال الباقيين اختلال الضروري.

الرابع: أنه قد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق أو الحاجي

بإطلاق اختلال الضروري بوجه ما.

الخامس: أنه فينبغي المحافظة على الحاجي وعلى التحسيني

للضروري^(١).

وإذا كانت المقاصد الدعوية الضرورية والحاجية والتحسينية تتفاوت وتترتب الأحكام بحسبها فإن المقاصد الدعوية الضرورية نفسها أيضاً تتفاوت حيث إنها كلها ليست في رتبة واحدة، وحينئذ فلا تراعى مصلحة دعوية ضرورية إذا كان في مراعاتها إخلال بمصلحة دعوية ضرورية أهم منها.

وهكذا في المصالح الدعوية الحاجية حيث لا تراعى مصلحة دعوية حاجية إذا كان في مراعاتها إخلال بمصلحة دعوية حاجية أهم منها.

وهكذا المصالح الدعوية التحسينية فلا تراعى مصلحة دعوية تحسينية إذا كان في مراعاتها إخلال بمصلحة دعوية تحسينية أهم منها.

وأيضاً فإن المصلحة الدعوية العامة في كل قسم تقدم على المصلحة الدعوية الخاصة فيها.

ومما يدل على تقديم المصلحة الدعوية الضرورية على المصلحة الدعوية الحاجية، وتقديم المصلحة الدعوية الحاجية على المصلحة الدعوية التحسينية ما جاء في الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرٍّ كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرٍّ كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمَلَ الْكِبَائِرَ وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَرٍّ كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمَلَ الْكِبَائِرَ)^(١).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في الغزو مع أئمة الجور رقم ٢٥٢٣. وقال الألباني:

ضعيف، انظر ضعيف سنن أبي داود ص ٢٤٩.

ففي الحديث تقديم المصلحة الدعوية الضرورية على المصلحة الدعوية الحاجية ذلك أن إقامة غير الفاسق واتباعه على ذلك من المصالح الدعوية الحاجية الواجبة على المسلمين ولكن الرسول ﷺ أمر بتجاوز هذه المصلحة الدعوية الحاجية إذا وقفت في طريق مصلحة دعوية ضرورية وهي الجهاد، فأوجب الجهاد حتى وراء الإمام الفاسق. كما دل الحديث أيضا على تقديم المصلحة الدعوية الحاجية على المصلحة الدعوية التحسينية ذلك أن اختيار أفضل الأئمة علما ودينا للصلاة خلفه من المصالح الدعوية التحسينية التي شرعها الله، ولكن الرسول ﷺ أمر بتجاوز هذه المصلحة الدعوية التحسينية إذا عارض أداء ما هو داخل في المصالح الدعوية الحاجية كإقامة صلاة الجماعة في المسجد إذا لم يتوفر غير الإمام الفاسق.

وينبغي التنبيه إلى أن هذا التقسيم للمقاصد الدعوية - ضروري وحاجي وتحسيني - لا يعني أن المصالح الدعوية الضرورية فرض وواجب، وأن المصالح الدعوية الحاجية مندوبة وسنة، وأن المصالح الدعوية التحسينية مباحة، بل إن في كل قسم منها؛ فرائض، ومندوبات، ومباحات، ومكروهات، ومحرمات.

الفصل الثالث

تقسيم المقاصد الدعوية باعتبار حفظ الضروريات

المبحث الأول: مقصد المحافظة على الدين.

تتحصر مصالح الناس الضرورية في خمسة أشياء هي الدين، والنفس، والعقل، والنسب أو العرض، والمال، وقد جاءت الشريعة لحفظ هذه المصالح الأساسية، بل وقد ترتبت مقاصد الشريعة الأساسية بناء عليها يقول الغزالي - رحمه الله - : "ومقصد الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"^(١)، وجاءت الدعوة الإسلامية بأحكامها وتعاليمها وتوجيهاتها بحفظ هذه المصالح الخمس من طريقين أحدهما يكمل الآخر وهما:

الأول: حفظها من جانب الوجود: أي بشرع ما يحقق وجودها،

ويقيم أركانها، ويثبت قواعدها.

الثاني: حفظها من جانب العدم: أي بإبعاد ما يؤدي إلى إزالتها أو

إفسادها أو تعطيلها والإخلال بها.

يقول الشاطبي - رحمه الله - : "والحفظ لها يكون بأمرين:

أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها

من جانب الوجود. والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع

فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم"^(٢).

وسياتينا إن شاء الله فيما بعد توضيح وتفصيل ذلك.

(١) للمستصفي: الغزالي ١/٢٨٧.

(٢) للمواقفات في أصول الشريعة: الشاطبي ٧/٢.

ومما يؤكد على أهمية هذه المصالح أن الشرائع الدينية اتفقت على مراعاة هذه المصالح، يقول الغزالي - رحمه الله - : "وتحريم تقويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشمل عليه ملة من الملل، وشرعية من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق ولذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقه وشرب المسكر"^(١).

ويقول العزبن عبد السلام - رحمه الله - : "المفاسد ثلاثة أقسام: أحدها: ما يجب درؤه، فان عظمت مفسدته وجب درؤه في كل شريعة، وذلك كالكفر، والقتل، والزنا، والغصب، وإفساد العقول"^(٢).

المبحث الأول: مقصد المحافظة على الدين:

إن الدين هو الأصل لكل ما ينبغي أن يحفظ، لكون الدين هو الذي من أجله أرسل الله الرسل وأنزل به الكتب قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٣).

وقد بين الله جل شأنه أن الدين هو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَحْيُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ

(١) المستصفي: للغزالي ١/٢٨٨.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العزبن عبد السلام ١/٤٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

يَكْفُرُ بِمَا كُنْتُمْ أَتَوْاكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾ ، بل ولا يقبل من أحد ديناً سواه
قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢).

والمدعوون بحاجة إلى الدين أشد من حاجتهم إلى الأكل والشرب،
والدين هو الذي عليه مدار الأمن والاستقرار والطمأنينة والسعادة
والحياة السليمة للأفراد والمجتمعات على حد سواء.
فالدين مصلحة ضرورية لسائر الناس جميعهم صغيرهم
وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، فقيرهم وغنيهم، صحيحة ومريضة...
فهو ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه، وعلاقة
الإنسان بمجتمعه، ولو ترك الناس بدون تشريع يحفظ عليهم عقيدتهم
وينظم شؤون حياتهم لسادت الفوضى وعمّ الاضطراب. ولنا عبرة في
تلك الدول التي ينتشر فيها الفوضى والاضطراب والهمم والغم، ولعل
ذلك بسبب عدم تحكيم شرع الله وإتباع تعاليمه.

إن أحكام الشريعة جاءت كاملة ومفصلة وشاملة، وجاءت أصول
الدين مبينة وواضحة في حديث جبريل الطويل فعن عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا
رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَأ يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَ السَّفَرِ وَلَا
يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ
وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

اللَّهُ ﷻ وَتَقِيْمَ الصَّلَاةِ وَتُؤْتِي الرِّزْقَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيْمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ فَأَخْبَرَنِي عَنِ السَّاعَةِ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبَرَنِي عَنْ أَمَارَتِهَا قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رِبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ^(١).

ولقد حرص الرسل وقاموا ببذل جهدهم في دعوة أقوامهم من أجل تحقيق عبادة الله وحده، وصرف جميع أنواع العبادات لله وحده واجتناب عبادة ما سواه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾^(٢).

إن التوحيد والعقيدة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد وهو أول واجب، وأول ما ينبغي الاهتمام به في الدعوة إلى الله تعالى، وهكذا كان اهتمام النبي ﷺ به، حيث مكث في مكة وهو يدعو إلى التوحيد في حدود ثلاث عشرة سنة حتى أرسى قواعد وأصول الدين في قلوب الناس وثبتت ثبات الجبال الراسيات، وكان يرسل الملوك

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٤٦/١ رقم الحديث ٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

والقبائل، وكان أول ما يدعوهم إليه هو الاستسلام لله، والانقياد له (أسلم تسلم) ومما جاء على سبيل المثال ما كتبه الرسول ﷺ إلى هرقل حيث جاء في صحيح البخاري (ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَحِيَّةً إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمُ تَسْلِمُ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ النَّارِ سِيبِينَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ^(١)).

فكان الأساس هو التركيز على توحيد الله وحده لا شريك له، ولذلك فينبغي على الداعية أن ينظر إلى المدعويين فإن كان عندهم قصور أو خلل في العقيدة والتوحيد فحينئذ عليه التركيز على ذلك، وإن رأى أن العقيدة بتوفيق من الله صافية لا خلل فيها عليه أن ينتقل بهم إلى بقية الواجبات بحسب أهميتها وبحسب ما يحتاجه أهل ذلك البلاد أو ذلك. ولما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: (إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتَرُدُّ

عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَأَتَىٰ
دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ^(١).

إن العبادات أنواع؛ فمنها الواجب، ومنها المستحب...، وقد أرشد
الشرع إلى أنواع العبادات المختلفة وقد أخبر النبي ﷺ أن من الناس من
يدعى يوم القيامة من تلك الأبواب كلها، وقد يدعى البعض من باب
واحد، فلكل عامل باب من أبواب الجنة يدعى منه بذلك العمل، وفي
الحديث أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ أَنْفَقَ
زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ النَّشِيْءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ)
يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ
وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ
الصِّيَامِ وَبَابِ الرِّيَانِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا عَلَىٰ هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ
تِلْكَ النَّبَوَاتِ مِنْ ضَرُورَةٍ وَقَالَ هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: باب وجوب الزكاة ١/٤٣٠ رقم ١٣٩٥، باب لا
تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ١/٤٥٠ - ٤٥١ رقم ١٤٥٨، باب: أخذ الصدقة من
الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ١/٤٦٣ - ٤٦٤ رقم ١٤٩٦، وفي كتاب: المظالم
والغصب، باب: الاتقاء والحدار من دعوة المظلوم ٢/١٩٢ رقم ٢٤٤٨، وفي كتاب:
المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٢/١٦١ - ١٦٢ رقم
٤٣٤٧، وفي كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك
وتعالى ٤/٣٧٨ رقم ٧٣٧١ - ٧٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ٢/١٠ رقم ٣٦٦٦.

فالشارع الحكيم بين أنواعاً كثيرة للعبادات، وأشار إلى كیفيتها ووقتها، كل ذلك لترسيخ الدين في النفوس، وترسيخ العبادات في القلوب، وإيجاد الدين في الحياة والمجتمع، ونشره في أرجاء المعمورة، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة من أجل تحقيق العبودية لله وحده، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور قال الله تعالى:

﴿الرَّكَعَاتُ الَّتِي أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِنُبَيِّنَ لِنَاسٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ فِي قُلُوبِهِمْ لِيَعْرِفُوا حُدُودَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي قَدَّمْنَا لِلنَّاسِ تَحَدُّوتًا فَالْمَسْجِدِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ الْحَرَامِ وَاللَّذِينَ أَحَقُّ بِالْحُرْمَةِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ لِيُنْذِرَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١)

إن ما ذكرناه فيه مراعاة الشارع للدين من جانب الوجود.

وأما مراعاته من جانب العدم فقد شرع الإسلام كل ما يدفع ويدراً ما يضعف التمسك بالإسلام أو يصد عن دين الله أو يحدث الإضلال به. وإن من أعظم ذلك الجهاد في سبيل الله؛ الجهاد بالمال، والنفوس من أجل الحفاظ على الدين ورعايته، وعدم الاعتداء عليه ومنع الفتنة فيه ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ قَانِئُونَ﴾ (٢)

﴿أَفَلَا يَلْتَمِذُونَ لِمَا نَزَّلْنَا مِن مَّا فِي السَّمَاءِ مَنبُتًا لِيُنذِرَ الْوَالِدَ الْكَافِرَ الَّذِي يَأْمُرُ ابْنَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَيَنصُرُ اللَّهَ وَهُوَ يُكَفِّرُ عَنْكَ مَا تَشَاءُ لَئِن كُنْتَ تُدْرِكُ الْيَوْمَ الَّذِي لَمْ يَكُنِ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآتِيَنَا جَنَّتَانٍ وَقَدْ تَلَكَّوهُمَا وَلِإِلَهِ الْأُمَمِ نَايِبُونَ﴾ (٣)

﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ مُعْتَدِلَةً إِلَّا آتَيْنَاهُمُ الْغَلَبَةَ وَالضَّلَالَاتِ﴾ (٤)

﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ مُعْتَدِلَةً إِلَّا آتَيْنَاهُمُ الْغَلَبَةَ وَالضَّلَالَاتِ﴾ (٥)

﴿لَا تَجِدُ أُمَّةَ مُعْتَدِلَةً إِلَّا آتَيْنَاهُمُ الْغَلَبَةَ وَالضَّلَالَاتِ﴾ (٦)

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٣.

(٣) سورة الحج، الآية: (٣٩ - ٤١).

يقول السعدي - رحمه الله - : "وهذا يدل على حكمة الجهاد، فإن المقصود منه إقامة دين الله أو ذب الكفار المؤذنين للمؤمنين البادئين لهم بالاعتداء عن ظلمهم واعتدائهم والتمكن من عبادة الله وإقامة الشرائع الظاهرة فيدفع الله بالمجاهدين في سبيله ضرر الكافرين"^(١).

وشرع الإسلام أيضا للحفاظ على الدين من جانب العدم؛ عقوبة المرتد عن دينه وجاء في الأثر أن النبي ﷺ قال: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)^(٢).

وبين الإسلام عقوبة الساحر، وهي ضربه بالسيف، كما حذر من البدع والمبتدعة لأنهم يحدثون في الدين ما ليس منه، كما طلب الأخذ على يد تارك الصلاة، ومانع الزكاة، وحرّم المعاصي وعاقب مقترفيها بالحد أو التعزير إلى غير ذلك من المحرمات...

كما أن الإسلام حفظ الناس من مفاصد الشرك أو الوسائل المفضية إليه.

ومما ذكرنا يتبين أن الشريعة حافظة للدين من العدم بأربعة أمور ينبغي على الداعية فهمها واستيعابها وهي:

الأول: مشروعية الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال.

الثاني: مشروعية قتل المرتدين والزنادقة.

الثالث: محاربة الابتداع في الدين، ومعاينة المبتدعين والسحرة.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص ٥٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله ٣٦٣/٢ رقم الحديث

٣٠١٧ وأخرجه في كتاب: استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة

واستنابتهم ٢٧٩/٤ رقم الحديث ٦٩٢٢.

الرابع: تحريم المعاصي، ومعاقبة من يقترفونها بالحد والتعزير. ولولا الإطالة لفصلت في هذه الأمور الأربعة ولذكرت الأدلة مفصلة ولكن لعل ما ذكر فيه إجمال وفائدة قد حقق ما نحن بصدده وينبغي التأكيد على أن "الدين الصحيح هو ما يسمو بالإنسان فوق حاجاته الجسمية، ونوازع الأنانية، ويوثق الصلة بينه وبين خالقه، ويبث في نفسه روح الأخوة بينه وبين من يشتركون معه في الدين وبين سائر أفراد البشر.

والدين الصحيح هو الذي يساير الطبيعة الإنسانية ويهذبها ويرقيها ويضع القواعد والضوابط حتى لا تكون وبالاً على الإنسان أو على غيره. والدين هو الذي يربط بين عبادة الله وطاعته وبين حب الخير للناس، وبين عصيانه وإضرار الناس، ويبث في نفوس معتقيه حب العدل والإخاء والمساواة وكره الظلم والطغيان والكبرياء والتعالي ويملأ قلوبهم بالرحمة والمودة"^(١).

المبحث الثاني: مقصد المحافظة على النفوس:

النفوس هي ذات الإنسان، وهي مقصودة بذاتها في الإيجاد والتكوين، وفي الحفظ والرعاية والعناية لأن النفس عند الله غالية وفي الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا)^(٢).

(١) انظر المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم ص ٢٢١.

فخلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقَهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).

وسخر سبحانه وتعالى ما في الوجود لمنافعه قال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

ويقول تعالى مبينا أطوار خلق الإنسان وهو في بطن أمه ثم يبين أطواره بعد خروجه من بطن أمه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُتِبَ فِي رَبِّهِ مِنَ الْبَعثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ لِمَنْ أَحْبَبْنَا أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُنْفِقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الشُّرُكِ لَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ فَهَيَّجَتْ وَرَبَّتْ وَالْأَبْتُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ يَبْهِيحُ﴾^(٣).

إن الإسلام شرع لإيجاد النفس وتكوينها واستمرارها؛ الزواج ليحصل التوالد والتناسل ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفَعُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا رِزْقًا وَسَاءَ مَا تَغْفُونَ﴾^(٤)، وشرع الإسلام أحكاما كثيرة من أجل تحقيق مصلحة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.

(٣) سورة الحج، الآية: ٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١.

حفظ النفس، فأوجب تناول الطعام والشراب، واللباس والمسكن بحسب حالات الضيق والسعة كل على قدر استطاعته.

كما شرع النفقات ففرض مثلا على الوالد الإنفاق على الصغير، وأوجب على الوالدة إرضاع الولد، وجعل للولد على والده حقوقا، وحدد مسؤولية الآباء عن الأبناء، وما يجب عليهم من الرعاية والعناية. ولم تكن الحقوق فحسب بمن يعول الإنسان، بل جعل للناس حقوقا للحفاظ مع النفس فجعل إنقاذ الغرقى والهدمى والحرقى فرض كفاية للحفاظ على وجود النفس.

وشرع الإسلام أيضا لحفظ النفس وحمايتها وصيانتها، ومنع الاعتداء عليها ودفع الظلم عنها أحكاما كثيرة فمنها:

- حرم قتل النفس بغير حق ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ عَلَيْكُمْ
الْأَشْرُكُ مَا بَدَسْتُمْ بِهِ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ مِمَّنْ تَرْتُزُونَ
وَأَسْهَامُهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
إِلَّا بِالْحَقِّ ذِكْرًا وَمَنْ كَفَرَ فَأُولَئِكَ قَتَلُوا﴾^(١).

- شرع القصاص للحفاظ على الأَنْفُس قال الله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ
وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَرِيحِكُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

- شرع الدية والكفارة.

- حرم الزنا واللواط وأنواع الأنكحة الفاسدة.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

- منع الإسلام إلقاء النفس في التهلكة.

- حرم الانتحار.

- وليس هذا فحسب بل أوجب التداوي لمن احتاج الدواء ، وجعل للضرورة أحكاما حتى ولو أدى ذلك إلى إباحة المحرم ، كل ذلك لأن نفس الإنسان ليست ملكا له وإنما هي لله وحده فلا يتصرف فيها إلا بما يرضي الله ، ولا يعمل إلا بما يحبه الله ، ولا يتكلم ولا يسمع ولا ينظر إلا بما يأذن به الله.

"فهذه التشريعات الإلهية الحكيمة المقصود منها تحقيق حفظ النفس ، ووضع الأسس والضمانات لحفظها منذ بدء خلقها نطفة ، وفي جميع أطوار الضعف والحاجة إلى أن يبلغ أشده ، ويستطيع الاعتماد على نفسه في تحصيل مطالب الحياة وبذلك توضع عليه المسؤولية دون والديه وأقاربه ، وليواجه الحياة ، وعندما يصل إلى هذه المرحلة يصير مكلفا مسؤولا أمام الله ، ويجد ما قد وضع له من الأحكام التي تهديه سواء السبيل في تحصيل مصالح الآخرة ومطالب الدنيا ومنافعها فبين له ما يضره وما ينفعه"^(١).

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: يوسف حامد العالم ص ٢٧٥.

المبحث الثالث: مقصد المحافظة على العقل:

العقل جزء من إيجاد النفس، وهو أسمى شيء في الإنسان، وأبرز ميزة وصفة تميزه. والعقل أعظم منحه من رب العالمين، والعقل السليم يرشد المدعو إلى الخيرات ويبعده عن الشرور والآفات، كما أنه يعين للوصول إلى الفضائل وترك الرذائل، والعقل أساس التكليف، فلا تكليف بلا عقل لأن غير العاقل مرفوع عنه القلم، كما لا يتحاكم إلى العقل دون الرجوع إلى الشريعة الإسلامية، وحقيقة هداية العقل بتحاكمه إلى الشرع ولا تعارض بينهما^(١).

وبالتأكيد فإن ما جاء به الشرع فهو موافق للعقل، والبلاء كل البلاء حينما يتحاكم الدعاة إلى العقل وحده، وقد خاض من خاض في الاعتماد على عقله فكان ما كان من الفوضى والاضطراب والتضليل والضلال.

ومن حكمة الله تعالى أن جعل العقول متفاوتة فجعل الناس درجات في التفكير والتقدير والتعقل والتدبر. وحينئذ فلكل واحد من هؤلاء ما يناسبه ويناسب قدراته، وعلى الداعية أن يخاطب الناس ويقنعهم بالأدلة الشرعية مضيفاً إليها الأدلة العقلية، وعليه أن يحرك فيهم عقولهم للتفكير والتدبر والتأمل، وهذا ما سلكه أسلوب القرآن الكريم في مواضع كثيرة وقضايا عديدة، فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَالتَّخْلُفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

مجلة

(١) ألف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مؤلفاً بين فيه عدم تعارض العقل والنقل في كتابه **الدراسات الدعوية** الموسوم (درء تعارض العقل والنقل) وللمزيد والتفصيل يرجع إليه.

لَا يَنْتَهِ لِأُولَى الْأَلْتَبِيبِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا شُبْحَنَكَ فَوَنَاعِدَابِ النَّارِ ﴿١﴾ ،

إضافة إلى ورود آيات كثيرة جاءت للحث على إعمال العقل وبعضها جاءت لتكرر على الذين لا يحركون عقولهم ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ^(٢) ، ﴿أَفَلَا تَتَوَلَّوْنَ﴾ ^(٣) ، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ﴾ ^(٤) .

إن الإسلام جاء بالمحافظة على العقل من جانب الوجود وأيضا حفظه من جانب العدم، ومما يدل على حفظ الإسلام للعقل من جانب الوجود مثلا التعلم والتعليم حيث جعل العلم فريضة على كل مسلم، وجعل تفاوت الناس بحسب علمهم فالعلماء هم أفضل الناس قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلِيْلٌ مِّنْ عِلْمٍ أَتَىٰ لَآئِلٍ سَاجِدًا أَوْ قَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ^(٥) ، قال السعدي -رحمه الله: " لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار" ^(٦) .

وحت الشرع ورغب في طلب العلم، وجعل طلبه من أفضل القرب إلى الله كما جعل مرتبته أعلى المراتب ومن أفضل وأعظم العلوم

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩٠ - ١٩١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص ٧٢٠.

كتاب ربنا حفظا وتعلما وتعلما وتدبرا وعملا ففي الحديث عَنْ
عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) ^(١).

ولا يخفي على أحد عظم الفرق بين العلم والجهل، ولا قيمه لدعوة
بلا علم بل من دعا بجهله فإنه يفسد أكثر مما يصلح، قال الله تعالى
مبيناً ضرورة العلم في الدعوة الإسلامية: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ^(٢).

ولا قيمة لعقل يكون عرضة لكل ما يخطر عليه من الأوهام
والخرافات والبدع والضلالات، وعلى الإنسان أن يتدارك ذلك على
نفسه وعلى غيره بالتعلم والتعليم.

والعقل يحتاج إلى تمرين وصقل وتعويد على الإدراك، ولا سبيل
لذلك إلا بالعلم لأن العقل ينضج ويكتمل ويتسع ويزدهر، وينمو
ويؤتي ثماره بالعلم والمعرفة والبحث والتفكير، والداعية يدعو نفسه
ويدعو غيره إلى ذلك بل ويقدر مسؤوليته في ذلك.

وأيضاً مما يدل على حفظ الإسلام للعقل من جانب الوجود التتويه
بما ينميهِ والتأمل والتفكير حيث إن الشارع أمر بالتفكير،
وأنكر على الذين لا يتفكرون؛ لأنهم بذلك لا يحركون عقولهم
ليصلوا بها إلى غاية حميدة وهدف مشروع، ومما أمر الله
التفكير به؛ أمر بالتفكير في الخلق، والكون، والحياة كما
أمر بالنظر والبحث في مكنونات الأرض والنفوس وكشف ما فيها

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٣/٢٤٦،
مجلة الدراسات الدعوية
رقم الحديث ٥٠٢٧.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

قال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿١٥﴾ وَقِي آفْسُكُزْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾﴾ ، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُولًا سُبْحَانَكَ قِيَمًا عَذَابًا لَّنَارٍ ﴿١٨﴾﴾ .^(١)

قال السعدي -رحمه الله- : "وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكير فيها ، والتبصر بآياتها ، وتدبر خلقها ، وأبهم قوله "آيات" ولم يقل "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين ويقنع المتفكرين ، ويجذب أفئدة الصادقين ، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية ، فأما تفصيل ما اشتملت عليه فلا يمكن لمخلوق أن يحصره ويحيط ببعضه ، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة وانتظام السير والحركة يدل على عظمة خالقها وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنع ولطائف الفعل؛ يدل على حكمة الله ووضع الأشياء مواضعها وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق يدل على سعة رحمة الله ، وعموم فضله ، وشمول بره ، ووجوب شكره. وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها ، وبذل الجهد في مرضاته ، وأن لا يشرك به سواه ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وخص الله بالآيات أولي الأبواب ، وهم أهل العقول لأنهم هم المنتفعون بها ، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم...

مجلة
الدراسات
الدعوية

(١) سورة الذاريات، الآية: (٢٠ - ٢١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٩٠ - ١٩١).

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين^(١).

وكما أن الإسلام حفظ العقل من جانب الوجود فحفظه أيضا من جانب العدم حيث إن الإسلام شرع أحكاما وتعاليم للحفاظ عليه، وشرع أحكاما وتعاليم لمنع الاعتداء عليه أو ما يؤدي إلى إزالته إزالة مؤقتة أو مؤبدة حماية له من الزوال والإضعاف فعلى سبيل المثال حرم الإسلام الخمر وجميع المسكرات التي تزيل العقل وتلغي وجوده أو تؤثر فيه، وجعل لمن فعل ذلك حدا بسبب تناوله ذلك.

المبحث الرابع: مقصد المحافظة على العرض:

ويعبر عنه بعض العلماء بحفظ النسب أو النسل.

والعرض فرع من النفس الإنسانية، وهو شرف الإنسان وبه يمدح أو يذم باعتباره أحد المكونات المعنوية للإنسان، والقصد منه وجود وحفظ النسل للبشرية، وصيانة النسب بأرقى الوسائل وأشرف الطرق لأنه ناتج عن حكيم عليم بخلاف ما وضعه البشر من قوانين وضعية بزعمهم أنها تحفظ النسل وهي في واقع البعض أنها تهلك البشر والنسل.

إن الله سبحانه وتعالى خلق البشر من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وعن طريق التناسل والتوالد بث منها رجالا كثيرا ونساء قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدِّ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي ص ١٦١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

وهذا البث من الرجال والنساء جعل منهم شعوباً وقبائل، وجعل ميزان الكرامة والتفضيل (التقوى) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١)، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَنَا فَضْلٌ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ وَلَا لِحُمْرٍ عَلَىٰ أَسْوَدٍ وَلَا لَأَسْوَدٍ عَلَىٰ أَحْمَرَ إِنَّا بِالْتَّقْوَىٰ أَبْلَغْتُ قَالُوا بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ وَلَا أَدْرِي قَالَ أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبْلَغْتُ قَالُوا بَلَّغْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِيُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)^(٢).

إن الحفاظ على العرض أو النسل أو النسب مقصود لذاته من جهة وهو وسيلة لحفظ الذرية من جهة أخرى، ونجد أن الشارع شرع أحكاماً للأسرة، ووضع أسساً وقواعد يضمن لها السعادة والاستقرار بإذن الله، ومن أهم تلك الأحكام التي شرعها الإسلام لوجود النسل والنسب؛ الزواج، والذي هو سنة الله في عباده، وآية من آياته، وجعل في الذكر والأنثى دوافع طبيعية ونوازع فطرية بها تبقى الإنسانية وتساعد على استمرارها، كما عززت تلك الدوافع والنوازع بالتهذيب، ووضع لها ضوابط من سلكها كانت حياته هنية، وعيشته مستقرة، وجاء الإسلام بتوجيه الشباب بالزواج لما يتسم به من فتوة وقوة

مجلة
الدراسات
الدعوية

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند باقي الأنصار، ٥١٠/٥ رقم الحديث ٢٣٤٧٩.

وعنفوان، وفي الحديث (يَا مَعْشَرَ الشُّبَّانِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ)^(١).

ويوضح النبي ﷺ المنهج المستقيم في نوازع النفس وضرورة مراعاتها وأخبر بأن في عدم التنبه لذلك مخالفة لسنة المصطفى ﷺ ففي الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بَيْتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُضِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)^(٢).

ورغب الشرع باختيار ذات الدين لكونها تعين المرء على إقامة الدين ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ)^(٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم ٣٥٤/٢ رقم الحديث ٥٠٦٦. وأخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن الملون بالصوم ٨٢٦/٢ رقم الحديث ١٤٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح ٣٥٤/٢، رقم الحديث ٥٠٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الأكل في الدين، ٣٦٠/٢، رقم الحديث ٥٠٩٠. وأخرجه

مسلم في كتاب: الرضاع، باب: استحباب نكاح ذات الدين، ٨٨٠/٢، رقم ١٤٦٦.

وكما ذكرنا فإنها تبدأ من غض البصر ومن ثم تنتهي بإقامة الحد على الزاني ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وفي الحديث عن عبادة بن الصّاميت قال: قال رسول الله ﷺ: (خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ وَالْتَيْبُ بِالتَيْبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ)^(٢).

أو أنها تنتهي بإقامة حد القذف على القاذف ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣).

فهذه التشريعات جاءت للمحافظة على النسل والعرض من جانب عدم لكون هذا القذف بالزنى أو بغيره هو كنفى النسب ففيه زعزعة الثقة في آصرة النسب التي تقوم عليها جميع صلوات القرابة، كما إن فيه إلحاق العار بأعز ما يملكونه.

وكما حرم الإسلام الزنا فكذلك حرم الأنكحة التي تتضمن الفساد والإفساد مثل نكاح الاستبضاع، ونكاح الرهط، ونكاح البغايا لكونه يتنافى مع مصلحة الإنسان في حفظ العرض والنسل والنسب وكذلك حرم الإسلام اللواط الذي هو أقبح من جريمة الزنا لما فيه من انحراف عن الفطرة الإنسانية، ورتب الإسلام على فعله

(١) سورة النور، الآية: ٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الحدود، باب: حد الزنى، ١٠٦٣/٣، رقم الحديث ١٦٩٠.

(٣) سورة النور، الآية: ٤.

القتل ففي الحديث عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلٌ قَوْمٍ لُوطٍ فَأَقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ) ^(١).

والدعوة الإسلامية جاءت لتحافظ على أعراض الناس، والدعاة في دعوتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر يحرصون أشد الحرص على توعية الناس وإرشادهم وتوجيههم فيما يعود على المحافظة على تلك الأعراض.

ويلتحق بذلك النهي عن قذف الأعراض بلفظها العام من السب والشتم والالتهام والقذف بالنفاق وبغيره وسواء كان ذلك على الولاة أو العلماء أو الدعاة أو أفراد الناس وعامتهم، وَلَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَكَا مُتَّفَحِشًا وَكَانَ يَقُولُ (إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا) ^(٢).

والشريعة الإسلامية نهت عن كل ما يؤدي إلى ذلك من الغيبة والنميمة أو سماع الإشاعة.

والداعية أولى الناس الذي ينبغي أن لا يصدر منه أحكاما في أعراض الناس، وأن لا يصدق أو يأخذ كل ما يأتيه من أقوال حتى يتثبت ويتبين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلِكِهِمْ فَيُضَيَّبُوا عَنْ مَا قَعَلْتُمْ تَدْرِيْنَ﴾ ^(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسند بني هاشم: ، بداية مسند عبدالله بن العباس ١/٢٧٣، رقم ٢٧٣١ وقال

الألباني: صحيح. انظر سنن ابن ماجه، تعليق محمد ناصر الألباني رقم الحديث ٢٥٦١، ص ٤٢٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ ٢/٥١٨ رقم الحديث ٣٥٥٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.

البحث الخامس: مقصد المحافظة على المال:

المال ضرورة من ضروريات الحياة التي لا غنى للإنسان عنه، والمال هو الوسيلة الأساسية التي تساعد الناس على تأمين العيش وتبادل المنافع والاستفادة من جوانب الحياة الكثيرة والمختلفة، وهو بحاجة إليه في قوته وملبسه ومسكنه...

إن الإسلام قد شرع لإيجاد المال وتحصيله؛ السعي في مناكب الأرض لطلب الرزق والمكاسب قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاسْتَوْفُوا مَتَاعَهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(١).

والمال لا يذم لذاته، ولا يمدح لذاته، بل يذم ويمدح لمسلك الإنسان به، فهو قابل لتحصيل عمل الخير به أو الشر، فمدحه وذمه راجع إلى فعل الإنسان به. وعلى الدعاة والمدعويين أن يدركوا بأن المال؛ مال الله، وحينما يرزقه الله المرء فإنه يستودعه إياه ليختبره وبتليته، فيكفر أو يشكر، والمال يستفاد منه في الأمور الدينية والدنيوية، كأن ينفقه في عبادة كالحج والزكاة والجهاد وأمور الدعوة... أو يستعين به على عبادة المطعم والملبس والمسكن... أو يصرفه في أنواع الخيرات والبر والإحسان التي يعم نفعها سائر الناس كبناء المساجد ودور العلم والمستشفيات... أو يستعين به على البر والتقوى والكرم... فالمال إذن وسيلة دعوية يستعان به لتحقيق مصالح الدين والدنيا.

وأما من جعل المال غاية ومقصدا يقضي به مآربه؛ فغالبا ما يتسم بالصفات التي أشار الإسلام إلى ذمها، وأمر بتركها ونهى عن فعلها، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

- النهي عن كنز الأموال وعدم أداء حقه قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْوُضْءَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُخَمَّنُ عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

- النهي عن الميسر لما فيه من أخذ المال بغير حق قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالآزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

- النهي عن الشح قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا

وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٢﴾﴾

- النهي عن البخل قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أَنهَهُمُ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ التَّوْبَةِ وَاللَّهُ مَبْذُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٩٣﴾﴾

إلى غير ذلك من الصفات المذمومة والمنهي عنها وهي إما لأنها لا

تنفق في وجوهها أو أنها تنفق في غير مواضعها وتصرف في غير مظانها المشروعة.

(١) سورة التوبة، الآية: (٣٤ - ٣٥).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٩٠ - ٩١).

(٣) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨٠.

إن من يجعل المال غاية له ومقصداً تجده يسعى لكسب المال بأي طريق فربما حصل المال من غير وجوهه المشروعة كمن كسب المال بطريق الربا أو السرقة أو الغصب أو الظلم أو غير ذلك.

والشريعة الإسلامية كما جاءت لتحث على الإنفاق وتأمربه وتدعو إليه إلا أنها نبهت إلى أنه ينبغي أن لا يكون بإسراف أو تبذير أو تقتير قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١)، قال ابن كثير - رحمه الله - : "أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيقصدون في حقهم، فلا يكفونهم بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا"^(٢).

والشريعة الإسلامية لم تغفل جانب من لا يحسن التصرف بالمال حيث قامت بمنع وحرمان من اتسم بذلك من حق التصرف فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَوَدُّوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٣)، يقول ابن كثير - رحمه الله - : "ينهى سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها الله للناس قياماً أي تقوم بها معاشهم من التجارات وغيرها"^(٤).

وحرمت الشريعة الإسلامية وحذرت من كل آفات المال ومضاره أو استخدامه في المعاصي أو التعلق به لذاته والانشغال به عن الصلاة

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ٣/٣٥٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير ١/٤٩١.

وذكر الله وأداء الواجبات، وحذر الإسلام من كان همه المال حتى أصبح عبدا له ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْحَمِيصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ) ^(١).

قال ابن حجر - رحمه الله - : " عبد الدينار أي طالبه الحريص على جمعه، القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده" ^(٢)، فالمال إذن لا يمدح ولا يذم لذاته وإنما الذم والمدح راجع إلى تعلق القلب وتصرفه به.

لقد شرع الإسلام أيضا لحفظ المال وحمايته ومنع الاعتداء عليه أحكاما كثيرة ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

- النهي عن السرقة حيث حرمتها الشريعة وأقامت الحد على فاعلها، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٣).

- كما حرم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى التُّكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ

النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٤)، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من فتنه المال ٤ / ١٧٩ رقم الحديث ٦٤٣٥.

(٢) فتح الباري: ابن حجر ١١ / ٣٠٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.

المُسلِم لَأ يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ
عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ^(١) .

وبعد هذا العرض يتبين للدعاة أن المال ضرورة من ضروريات الحياة، وعلى الدعاة أن يفهموا أن الإسلام وضع القواعد والأحكام لكسب المال وتملكه وإنفاقه، وتتميته، بالوجوه المشروعة وكذلك بين الوجوه غير المشروعة، حتى يكون الدعاة على بينة وعلم بحكم الله وتشريعه.

مجلة

(١) أخرجه مسلم في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم له واحتقاره ودمه الدراسات
الدعوية وعرضه وماله ٤/ ١٥٧٧ رقم الحديث ٢٥٦٤.

الفصل الرابع: الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد

المبحث الأول: ضوابط المصالح الدعوية:

قسم العلماء المصالح إلى ثلاثة أقسام هي:

الأول: ما شهد الشرع باعتبارها، وهذه معتبرة باتفاق العلماء. فكل ما شرعه الشارع ففيه مصلحة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- " الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها"^(١)، ويقول في موضع آخر: " إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فما أمر الله به فمصالحه راجحة وما نهى عنه فمفسدته راجحة"^(٢).

الثاني: ما شهد الشرع بإلغائها، وهذه ملغاة باتفاق العلماء لأن من الأحكام ما قد يكون فيه مصلحة من وجه لكن مفسدها أكثر يقول شيخ الإسلام: "وإلا فجميع المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم قد يحصل لصاحبه به منافع ومقاصد لكن لما كانت مفسدها راجحة على مصالحها نهى الله ورسوله عنها"^(٣).

الثالث: ما لم يشهد لها الشرع باعتبار ولا بإلغاء بدليل معين. وهذا القسم اختلف العلماء فيه وفي صلاحيته لترتيب الأحكام عليه وهو ما يسميه العلماء بالمصالح المرسلة، يقول شيخ الإسلام: " المصالح المرسلة وهو أن يرى المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/٢٦٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٣٨.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/٢٦٥.

وليس في الشرع ما ينفيه فهذا فيه خلاف مشهور، فالفهاء يسمونه (المصالح المرسله)^(١).

والبعض كالحنابلة توسع في القول بالمصالح في السياسة الشرعية وملاحظة مصالح العباد فيها، وهناك من العلماء من لا يترك المصالح في فتاويه ودراساته ويؤكد على أنه ما دامت مصالح شهد لها الشرع بعمومات أو قواعد كلية وأصول عامة أو اعتبر جنسها فهي في الواقع غير مستقلة ببناء الأحكام الأحكام عليها^(٢).

ولنفاسة ما ذكره ابن القيم في العمل بالسياسة الشرعية واعتماده في ذلك على المصالح يحسن بي أن أنقل كلامه حيث قال ابن القيم "وقال ابن عقيل في الفنون: جرى في جواز العمل في السلطنة بالسياسة الشرعية أنه هو الحزم ولا يخلو من القول به إمام، فقال الشافعي لا سياسة إلا ما وافق الشرع وقال ابن عقيل السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول ولا نزل به وحي.

فإن أردت بقولك إلا ما وافق الشرع أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح، وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل ما لا يجعده عالم بالسنن، ولو لم يكن إلا تحريق عثمان المصاحف فإنه كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة، وتحريق علي عليه السلام الزنادقة في الأخاديد، وقال:

مجلة
الدراسات
الدعوية

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/٣٤٢.

(٢) انظر أصول مذهب الإمام أحمد: د. عبدالله التركي ص ٤٧٩.

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا
ونفي عمر لنصر بن حجاج" ا-.

قال ابن القيم -رحمه الله - : وهذا موضع مزلة أقدام، ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك، ومعتكك صعب فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرأوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة إلى غيرها، وسدوا على نفوسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له، وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعاً أنها حق مطابق للواقع ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع، ولعمر الله إنها لم تناف ما جاء به الرسول وإن نافت ما فهموه من شريعته باجتهادهم، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة الشريعة وتقصير في معرفة الواقع وتزليل أحدهما على الآخر، فلما رأى ولاة الأمور ذلك وأن الناس لا يستقيم لهم أمر إلا بأمر وراء ما فهمه هؤلاء من الشريعة أحدثوا من أوضاع سياساتهم شرا طويلا وفسادا عريضا، فتفاقم الأمر وتعذر استدراكه، وعز على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس من ذلك، واستنقاذها من تلك المهالك، وأفرطت طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة فسوغت من ذلك ما بنا في حكم الله ورسوله، وكلتا الطائفتين أتيت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه، فإن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات، فإن ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء ثم ينفي ما هو أظهر منها، وأقوى دلالة، وأبين أمارة فلا يجعله منها، ولا

يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط، فأى طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له، فلا يقال إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع بل هي موافقة لما جاء به بل هي جزء من أجزائه ونحن نسميها سياسة تبعا لمصطلحكم وإنما هي عدل الله ورسوله^(١).

وعودا على بدء نقول إن الصواب في المصالح الدعوية التي لم يشهد لها الشرع باعتبار ولا بإلغاء تعد معتبرة إذا توفرت فيها الضوابط الآتية:

الأول: اندراج المصلحة الدعوية في مقاصد الشارع.

الثاني: عدم معارضة المصلحة الدعوية للنصوص الشرعية.

الثالث: عدم تقويت المصلحة الدعوية مصلحة أهم منها أو مساوية لها.
وبيان ذلك بالآتي:

الأول: اندراج المصلحة الدعوية في مقاصد الشارع.

إن المصلحة التي يسعى الداعية إليها لا بد أن تكون مندرجة في مقاصد الشارع وكما سبق فإن مقاصد الشارع في خلقه تنحصر في حفظ الدين والنفس والعقل والعرض أو النسل والمال. فكل ما فيه حفظ لهذه الأمور الخمسة فهو مصلحة وكل ما فيه تقويت أو إزالة هذه الأمور الخمسة فهو مفسدة.

يقول الغزالي: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن

حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول مفسدة ودفعها مصلحة"^(١).

ثم إن مصالح الناس المعتبرة شرعا ليست على درجة واحدة من حيث الأهمية والخطورة، وحاجة الناس إليها، وإنما هي على مستويات مختلفة ودرجات متعددة وهي كما سبق مصالح ضرورية ثم مصالح حاجية ثم مصالح تحسينية.

الثاني: عدم معارضة المصلحة الدعوية للنصوص الشرعية.

إن المصلحة التي يسعى إليها الداعية ينبغي أن تكون مصلحة غير مخالفة لنص من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ لكون المصلحة كل المصلحة في متابعة نصوص الكتاب والسنة. أما إن كانت هناك مصلحة مخالفة لنص من كتاب أو سنة فإنها غير معتبرة، وما ذلك إلا لأن الشرع جاء من عليم حكيم يعلم ما يصلح لعباده وما لا يصلح لهم. يدل لذلك الآيات الكثيرة التي تأمرنا بالتحاكم إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما والرجوع إليهما وتطبيق أوامرهما ونواهيهما، ومن تلك الأدلة قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أُنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾^(٢)، وقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّعُوا اللَّهَ وَاطِّعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٣).

(١) للمستصفي: الغزالي ١/٢٨٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

وجاء في حديث معاذ أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال: (أَرَأَيْتَ إِنْ عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ كَيْفَ تَقْضِي قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَكَمَا أَلُو قَالَ: فَضَرْبَ صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ) ^(١).

وهكذا الصحابة رضوان الله عليهم ما عرض لأحد منهم رأي ثم وقف فيه على نص فيه مخالفة لرأيه إلا مال عن رأيه إلى إتباع النص كما رجع عمر بن الخطاب ﷺ عن تحديده الصداق، فقد ذكر الحافظ ابن كثير عن الحافظ أبي يعلى عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب ﷺ منبر رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها فلأعرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال: نعم فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال: وأي ذلك ؟ فقالت: أما سمعت الله يقول " وآتيتم إحداهن قنطارا " الآية قال: فقال اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر ثم رجع فركب

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٢٩/ ٥ رقم ٢٢٠٥٦، وفي ٢٩٢/٥ رقم ٢٢٠٠٢، وفي ٣٠٦/٥ رقم ٢٢٠٩٦، وأخرجه أبو داود في كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء ١٨/٤ رقم ٣٥٩٢، وأخرجه الترمذي في أبواب: الأحكام باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي ؟ ٣٩٤/٢ رقم ١٣٤٢. وقال الألباني ضعيف، ضعيف سنن أبي داود ص ٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٧٧٠.

المنبر فقال: أيها الناس إنني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل^(١).

وفي هذه القصة من الفوائد الدعوية أن الداعية قد يخطئ لأنه غير معصوم ولكن عليه أن يرجع إن تبين له خطؤه. وأن عليه أن لا يعارض نصاً لأن المصلحة ككل المصلحة في اتباع ما جاء من الله ومن رسوله ﷺ.

الثالث: عدم تقوية المصلحة الدعوية مصلحة أهم منها أو مساوية لها.
 إن الداعية إلى الله عليه أن يعرف أن المصالح تتفاوت، وحينئذ عليه أن لا يفوت مصلحة كبرى في سبيل جلب مصلحة صغرى، وعلى الداعية إذا عرضت له بعض المواقف فإنه يسعى ويقضي بتقديم الأهم على المهم، ومما يدل على أن المصالح الشرعية متفاوتة في الجملة وأنها متدرجة في مراتب مختلفة قوله لتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْمَعْرُوفُ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢).

فبين الله جل شأنه أن في الخمر والميسر منافع لكن مصالحي عدم شربها وعدم بيعها أكبر من منافعها.

وفي الحديث عن أبي هريرة ؓ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (النَّيْمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ النَّذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ النَّيْمَانِ)^(٣)، فدل الحديث

(١) تفسير القرآن العظيم ١ / ٥٠٨. وقال ابن كثير في الأثر إسناده جيد قوي.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ١ / ٦٥، رقم الحديث ٣٥.

على أن الإيمان مراتب وأعلى هذه المراتب شهادة أن لا إله إلا الله وهذا يدل على أن الشريعة متفاوتة في مصالحها فمن المصالح؛ مصالح كبرى ومنها ما هو أدنى من المصالح الكبرى.

وأيضاً مما يدل على ذلك ما بيناه سابقاً من أن مصلحة النفس متأخرة عن حفظ مصلحة الدين كما في الجهاد في سبيل الله...

المبحث الثاني: الدعوة الإسلامية بين المصالح والمفاسد:

إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، ولذلك على الداعية أن يراعي ذلك في مواقفه الدعوية، فيسعى جاهداً لتقديم المصالح ودرء المفاسد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بهيذان الشريعة فمتى قدر الإنسان على إتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدالاتها على الأحكام"^(١).

وهناك ألفاظ أخرى قد يعبر بها عن المصالح والمفاسد يقول العز بن عبدالسلام: "ويعبر الله تعالى عن المصالح والمفاسد؛ بالخير والشر، والنفع والضرر، والحسنات والسيئات؛ لأن المصالح كلها خيور نافعات، حسنات، ومفاسد بأسرها شرور، ومضرات، سيئات"^(٢)، فكل ما فيه خير أو نفع أو حسنات ينبغي على الداعية الحرص عليها ويحث الناس إليها، وأما إن كان هناك شر وضرر وسوء فينبغي أن ينصرف الداعية عنها، وأن يبعد الناس عنها، ويحذر منها.

إن المصالح التي يسعى الداعية إلى جلبها هي المصالح التي تؤدي إلى إقامة الحياة لا إلى هدمها، وإلى إقامة الدين لا إلى هدمه، وإلى الفوز في الحياة الأخرى، أما المصالح المتوهمة والقائمة على الهوى والتي تؤدي إلى الافتراق وإلى الأهواء فهي مصالح منتزعة.

يقول الشاطبي - رحمه الله - : " المصالح المجتلبة والمفاسد المستدفة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية... فالشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم حتى يكونوا عباداً لله وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس وطلب منافعها العاجلة، كيف كانت وقد قال ربنا سبحانه: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾^(١) ، فالمعتبر إنما هو الأمر العظيم وهو جهة المصلحة التي هي عماد الدين والدنيا لا من حيث أهواء النفوس"^(٢).

فالداعية يجب أن يحذر إتباع الهوى لكونه يهدم الدين ولا يقيمه، والداعية بدعوته يتعبد الله، وبهواه يتعبد نفسه وشخصه قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَسْلَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَجَّلَ عَلَيْهِ بَصَرَهُ غَشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٣) ، فالميزان في المصالح والمفاسد لدى الداعية هو ميزان الشريعة الإسلامية لا الأهواء ولا المصالح

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة: الشاطبي ٢/٢٩.

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

الشخصية ولا غيرها... يقول ابن القيم - رحمه الله - "إن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم، ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى غيرها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة، إلى العبث فليست من الشريعة"^(١).

نظر الداعية لتعارض المصالح والمفاسد أو تساويها

إن الداعية في أعماله وقضاياها الدعوية يقابله الكثير من المصالح والمفاسد فكيف يكون العمل تجاهها؟، نقول بالله التوفيق لا يخلو الأمر إما أن يترجح أحدهما أو يتساوى الأمران.

فإن ترجح أحدهما فيكون الحكم للراجح منها يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات أو تزاومت فإنه يجب ترجيح الراجح منها"^(٢).

فإذا ترجح لدى الداعية المصلحة أخذ بها وعمل على ضوئها، وأما إن ترجح لدى الداعية المفسدة سعى إلى درئها، وعمل بالتباعد عنها. وبالتالي إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته لم يكن مأمورا به بل يكون محرما. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة إذ بهذا بعثت الرسل، ونزلت الكتب، والله لا يحب الفساد بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم ١٤/٣.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ابن تيمية ص ٢٠.

وعملوا الصالحات، وذم المفسدين في غير موضع فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به، وإن كان قد ترك واجباً وفعل محرماً إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عبادة الله وليس عليه هداهم^(١).

أما إذا تساوت المصالح والمفاسد فإن دفع المفسدة مقدمة، ولذلك قال الفقهاء (درء المفاسد أولى من جلب المصالح).

يقول البورنو: "فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة فدفع المفسدة مقدم في الغالب إلا أن تكون المفسدة مغلوبة، وذلك لأن اعتناء الشرع بترك المنهيات أشد من اعتنائه بفعل المأمورات لما يترتب على المناهي من الضرر المناهية لحكمة الشارع في النهي"^(٢).

وقد تتعارض لدى الداعية مجموعة من المصالح فكيف يتم الترجيح بينها؟

إن الداعية بمواقفه العديدة وأعماله الجليلة والكثيرة قد تتعارض أمامه مصالح عديدة وحينئذ عليه أن ينظر إلى تلك المواقف من ثلاثة جوانب وهي كالتالي:

الأول: أن ينظر الداعية إلى قيمتها من حيث ذاتها.

الثاني: أن ينظر الداعية إليها من حيث مقدار شمولها.

الثالث: أن ينظر الداعية إليها من حيث النتائج والآثار والعواقب.

أما الأول: وهو النظر إلى قيمتها من حيث ذاتها.

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ابن تيمية ص ١٧.

(٢) الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية: البورنو ص ٨٥.

فالداعية عليه أن يعرف أن قيم المصالح من حيث ذاتها متدرجة حسب الأهمية بخمس مراتب هي: حفظ الدين ثم النفس ثم العقل ثم العرض أو النسل ثم المال.

وحيئنذ فما يكون به حفظ الدين مقدم على ما يكون به حفظ النفس عند تعارضهما، وما يكون به حفظ النفس مقدم على ما يكون به حفظ العقل، وما يكون به حفظ العقل مقدم على ما يكون به حفظ العرض أو النسل، وما به يكون حفظ العرض أو النسل مقدم على ما يكون به حفظ المال.

ثم إن رعاية كل من هذه الكليات الخمس يكون بوسائل متدرجة حسب الأهمية في ثلاث مراتب هي: الضروريات ثم الحاجيات ثم التحسينيات، وحيئنذ فالضروري مقدم على الحاجي، والحاجي مقدم على التحسيني عند التعارض.

أما إذا كانت المصلحتان المتعارضتان في رتبة واحدة كما لو كان كلاهما من الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، فإن كلاً منهما متعلق بكلّي على حدة جعل التفاوت بينهما حسب تفاوت متعلقاتها، فيقدم الضروري المتعلق بحفظ الدين على الضروري المتعلق بحفظ النفس، والضروري المتعلق بحفظ النفس على الضروري المتعلق بحفظ العقل وهكذا...

وأما إن كانت المصلحتان المتعارضتان متعلقتين بكلّي واحد كالدين أو النفس أو العرض أو المال فعلى الداعية أن ينتقل إلى الجانب الثاني وهو :

الثاني: أن ينظر الداعية إليها من حيث مقدار شمولها.

مجلة
الدراسات
الدعوية

في حال التعارض فإن الداعية ينظر إلى المصلحتين في الدعوة من حيث مقدار شمولهما للناس، ومدى انتشار ثمراتها بينهم، فيقدم الداعية مثلاً أعم المصلحتين شمولاً على الأدنى منها، ويقدم المصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى، ويقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وهكذا...

الثالث: أن ينظر الداعية إلى المصلحتين من حيث النتائج والآثار

والعواقب.

إن كثيراً من التصرفات والمواقف التي تتعرض لها الدعوة الإسلامية ينبغي على الداعية أن ينظر فيها إلى العواقب والنتائج والثمار والآثار التي يتوقع منها، ويحدد المصلحة الراجحة على ضوئها، ويبني على ذلك أحكامه وتصرفاته.

ومن التطبيقات العملية الدعوية لهذه القواعد في المصالح الدعوية

ما يأتي:

- عمرو بن العاص رضي الله عنه حينما احتلم ولم يغتسل وإنما توضأ ففي الحديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ في غزوةٍ ذاتِ السَّلسَلِ فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: (يَا عَمْرُو صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ) فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الْإِغْتِسَالِ وَقُلْتُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ^(١).

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الطهارة، باب: إذا خاف الجنب البرد أتيتم ٩٢/١ رقم الحديث ٣٢٤ وذكره البخاري تعليقا في التيمم، وقال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، **مجلة الدراسات الدعوية** ٦٨/ ١ رقم الحديث ٣٢٢.

حيث هنا قدم مصلحة النفس الضرورية على مصلحة الدين
الحاجية.

- جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه الناس على مصحف واحد وذلك
حينما أشار إليه حذيفة رضي الله عنه خشية الاختلاف والافتراق لكون مصلحة
الاجتماع أكبر وأعظم، ففي الأثر أن حذيفة بن اليمان قدم على
عثمان وكان يُعَازِي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل
العراق فأقرع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير
المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود
والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسليني إلينا بالمصحف ننسخها
في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد
بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث
بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين
الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه
بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في
المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق
بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو
مصحف أن يحرق^(١).

يقول ابن القيم - رحمه الله - " جمع عثمان المصحف على حرف
واحد من الأحرف السبعة لئلا يكون ذريعة إلى اختلافهم في القرآن
ووافقه على ذلك الصحابة رضي الله عنهم"^(٢).

مجلة
الدراسات
الدعوية

(١) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن ٣/٢٢٨ رقم الحديث ٤٩٨٧.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم ٣/١٧١

- قبول علي بن أبي طالب عليه السلام للخلافة حيث قال عليه السلام: "وليت وأنا كاره ولولا خشية علي الدين لم أجبهم"^(١).

المبحث الثالث: تغيير المنكر وما يترتب عليه:

لأهمية هذا المبحث وعظيم فائدته أفردته في الحديث هنا وإلا فمن حقه دخوله في المبحث السابق. والحديث هنا سيعطينا التعامل الأمثل مع المنكرات التي تواجه الدعوة والمحتسبين فأقول وبالله التوفيق. إن الداعية أو المحتسب إذا قابله منكر وأراد تغييره وإزالته فلا تخلو عواقب وآثار إنكاره له من أربع حالات هي:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثاني: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

ويختلف الحكم في هذه الحالات، فالأولى والثانية يشترع الإنكار فيها. وأما الحالة الثالثة فهي موضع اجتهاد العلماء، وأما الحالة الرابعة فهي محرمة لا يجوز الإنكار فيها.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- " فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفسد أكثر لم يكن مأمورا به بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته"^(٢).

وقال ابن القيم - رحمه الله : " إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه ، وأبغض إلى الله ورسوله ، فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله ، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر ، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وقالوا أفلا نقاتلهم؟ فقال لا ما أقاموا الصلاة وقال من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته . ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل ، وعدم الصبر على منكر فطلب إزالتة ، فتولد منه ما هو أكبر منه ، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ، وردة على قواعد إبراهيم ، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه ؛ خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء .

فإنكار المنكر أربع درجات الأولى: أن يزول ويخلفه ضده ، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته ، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله ، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه ، فالدرجتان الأوليان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرمة .

ثم يقول ابن القيم - رحمه الله - ممثلاً لهذا التقعيد: "فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم

مجلة
الدراسات
الدعوية

الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى وهذا باب واسع وسمعت شيخ الإسلام - ابن تيمية - قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار يقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصددهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم^(١).

إن إنكار المنكر حتى وإن كان واجبا لا بد أن ينظر فيه الداعية والمحتسب إلى عواقبه وآثاره، ومدى حجم ثمرته، ويتساءل هل إنكاره للمنكر بهذا الشكل وبهذه الطريقة والكيفية يكون سببا في وجود منكر آخر أم لا؟.

وفي حال تعارض المصالح والمفاسد في الأمر والنهي فعلى الداعية أن ينظر ويتأمل فإن كانت مصلحة الأمر والنهي أعظم من مفسدته كان مأمورا به. وإن كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الشرع به حتى وإن كان قد ترك واجبا وفعل محرما، لأنه لا بد أن تكون المصلحة في التغيير والإزالة راجحة وإلا لا أمر ولا نهي، وأما إن تساوت المصلحة والمفسدة في التغيير والإزالة فدرء

المفسدة مقدم على جلب المصلحة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - : " فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجباً وفعل محرماً إذ المؤمن عليه أن يتقى الله في عباده وليس عليه هداهم" (١) .

وفي موضع آخر يبين مدى الإنكار في حال قوة أهل الفجور وأذيتهم للداعية فيقول -رحمه الله - فإذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البربل يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعجب سقط التغير باللسان في هذه الحال وبقي بالقلب" (٢) .

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ابن تيمية ص ١٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٤٩١/٣.

الغاتمة

الحمد لله الذي بنعمته الصالحات، وله الحمد على ما من به عليّ من إكمال هذا البحث فله الحمد والشكر...، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فإن هذا البحث - المصالح الدعوية في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية - يعد ذا أبعاد مهمة في الدعوة الإسلامية، وقد عالج بصورة موجزة القواعد والأسس في المصالح الدعوية، والأمة بحاجة له ولأمثاله نظراً لكثرة المتغيرات، وتعدد الاهتمامات، وقد توصل الباحث فيه إلى مجموعة من النتائج التي تثير درب الدعاة، وتوسع فهمهم، ومداركهم، وتساعد على ضبط رؤاهم، وتأمل واقعهم، والنظر إلى استشراف مستقبلهم ولعل من أهمها ما يأتي :

- أن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وعلى الداعية أن يحرص أشد الحرص في دعوته على جلب المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها.
- أن المصالح الدعوية الضرورية أصل للمصالح الدعوية الحاجية والتحسينية، ويأتي بعد المصالح الدعوية الضرورية بالأهمية المصالح الدعوية الحاجية ثم التحسينية، إضافة إلى أن منها الأهم والمهم، وعلى الداعية أن يراعي ذلك الترتيب في دعوته.
- إن مقاصد الشريعة تنقسم باعتبار حفظ الضروريات إلى خمسة مصالح وهي مرتبة في الأهمية كما يلي: فأولها مصلحة

النسل، ثم المال، وقد جاء حفظ الإسلام لها من جانبين: الأول: حفظها من جانب الوجود، الثاني: حفظها من جانب العدم.

- أن المصالح المعتبرة في الدعوة الإسلامية ما توفرت فيها ثلاثة شروط، وهي: الأول: اندراج المصلحة الدعوية في مقاصد الشارع، الثاني: عدم معارضة المصلحة الدعوية للنصوص الشرعية، الثالث: عدم تفويت المصلحة الدعوية مصلحة أهم منها أو مساوية لها.

- إذا واجه الداعية عدداً من المصالح وتقابلت فإنه يتم الترجيح بينها من خلال النظر في ثلاثة جوانب: الأول: أن ينظر الداعية إلى قيمتها من حيث ذاتها، الثاني: أن ينظر الداعية إليها من حيث مقدار شمولها، الثالث: أن ينظر الداعية إليها من حيث النتائج والآثار والعواقب.

- أن الداعية أو المحتسب إذا قابله منكر وأراد تغييره وإزالته فلا تخلو عواقب وآثار إنكاره له من أربع حالات هي: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثاني: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه، ويختلف الحكم في هذه الحالات، فالأولى والثانية يشرع الإنكار فيها، وأما الحالة الثالثة فهي موضع اجتهاد العلماء، وأما الحالة الرابعة فهي محرمة لا يجوز الإنكار فيها.

- أن الداعية إذا رأى أن مصلحة ما يأمر به وما ينهى عنه أعظم من مفسدته كان مأموراً به وإن كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الشرع به حتى وإن كان قد

ترك واجباً وفعل محرماً، وأما إن تساوت المصلحة والمفسدة في التغيير والإزالة فدرء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

- أن المصالح إذا تزاومت لدى الداعية فإنه يقدم في دعوته الأعلى منها، فيقدم الواجب على المستحب، والراجح مصلحة على المرجوح..، وأما المفسد إذا تزاومت فإنه يرتكب الأخف منها، فيأتي المكروه تقادياً عن الحرام، والمشتبه عن الواضح، وما كان أخف تحريماً على ما عظم تحريمه...

هذا وأسأل الله أن أكون قد وفقته في حسن عرض ما وفقني الله له وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ، ،

قائمة بأهم المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الاستصلاح والمصالح المرسله في الشريعة الإسلامية وأصول فقهاها: مصطفى أحمد الزرقاء (دار القلم، دمشق).
- ٣- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني (دار المعرفة، بيروت لبنان).
- ٤- أصول مذهب الإمام أحمد، دراسة أصولية مقارنة د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (مؤسسة الرسالة، ط٢).
- ٥- أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان (مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤١١هـ).
- ٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم محمد بن أبي بكر، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٧هـ).
- ٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمية، (تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٣٩٦هـ).
- ٨- تاج العروس: محمد الزبيدي.
- ٩- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني (دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ).
- ١٠- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي (بيروت، دار الخير، ط١، ١٤١٠هـ).
- ١١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تحقيق: د. عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ).

- ١٢- الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية: شيخ الإسلام ابن تيمية (دار الكتب العلمية، ط١).
- ١٣- الجامع الصحيح: محمد بن اسماعيل البخاري (القاهرة، المطبعة السلفية ومكبتها، ط١، ١٤٠٣هـ).
- ١٤- جامع العلوم والحكم: عبدالرحمن بن الحسن بن محمد ابن رجب (القاهرة، دار المنار).
- ١٥- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١٤١٣هـ).
- ١٦- خصائص الشريعة الإسلامية: د. عمر سليمان الأشقر (مكتبة الفلاح، ط٢).
- ١٧- رسالة في رعاية المصلحة: الإمام الطوفي (تحقيق وتعليق د. أحمد عبدالرحيم السابح، الدار المصرية اللبنانية).
- ١٨- روضة الناظر وجنة المناظر: أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، (مكتبة المعارف، ط٢).
- ١٩- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم محمد بن أبي بكر، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٠٥هـ).
- ٢٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ).
- ٢١- سنن ابن ماجه: ابن ماجه الحافظ أبو عبدالله محمد بن زيد القزويني، (تحقيق: محمد مصطفى العظمي، ط٢، ١٤٠٤هـ).
- ٢٢- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، (راجعه وضبط أحاديثه: محمد محي الدين عبدالحميد (تركيا، المكتبة الإسلامية).
- ٢٣- سنن الترمذي الجامع الصحيح: محمد بن عيسى بن سورة

- الترمذي، (دار الفكر ط ٢، ١٣٩٤هـ).
- ٢٤- سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، (اعتنى به ورقمه ووضع فهارسه: عبدالرزاق أبو غدة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط ١٤١٤هـ).
- ٢٥- السيرة النبوية: ابن هشام عبدالملك بن هشام المعافري البصري الحميري، (تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ).
- ٢٦- الصحاح: اسماعيل بن حماد الجوهري، (تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢، ١٤٠٤هـ).
- ٢٧- صحيح سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٧هـ).
- ٢٨- صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩هـ).
- ٢٩- صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٨هـ).
- ٣٠- صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني (مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩هـ).
- ٣١- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ).
- ٣٢- ضعيف سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ).
- ٣٣- ضعيف سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٢هـ).
- ٣٤- ضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١١هـ).

- ٣٥- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية : د. محمد سعيد رمضان البوطي (مؤسسة الرسالة، ط٤).
- ٣٦- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن القيم محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ٣٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ).
- ٣٨- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري- دراسة دعوية من أول الصحيح إلى نهاية كتاب الوضوء- : د. خالد بن عبد الرحمن القرشي (ط١، ١٤١٨ هـ).
- ٣٩- القاموس المحيط: مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (دار الكتاب العربي)
- ٤٠- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز بن عبدالسلام السلمي، (راجعته: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، ط٢، ١٤٠٠هـ).
- ٤١- لسان العرب: ابن منظور جمال الدين بن محمد الأفريقي المصري (بيروت، دار صادر، ط١٤١٢هـ).
- ٤٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (دار عالم الكتب ط١٤١٢هـ).
- ٤٣- مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة أم القرى، بحث: مقاصد الشريعة: د. محمد مصطفى الزحيلي.
- ٤٤- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (بيروت، دار الجيل، ط١٤٠٧هـ).
- ٤٥- المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد أبو الفتح البيانوني، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٢هـ).
- ٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد ابن حنبل،

- إعداد: محمد سليم إبراهيم سمارة، وعلي حسن الطويل،
وسمير حسين غازي، (المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٣هـ).
- ٤٧- المسند: أحمد بن محمد ابن حنبل، (تحقيق أحمد شاکر،
دار المعارف، ط ٣، ١٣٦٨هـ).
- ٤٨- مصادر التشريع الإسلامي والأدلة المختلف فيها: د. حسين
محمود حسنين (دار القلم، ط ١).
- ٤٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الفيومي، (بيروت،
المكتبة العلمية).
- ٥٠- المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي: مصطفى
زيد (دار الفكر العربي، ط ٢).
- ٥١- معالم السنن: حمد بن محمد الخطابي (بيروت، المكتبة
العلمية، ط ٢، ١٤٠١هـ).
- ٥٢- معالم الشريعة الإسلامية: د. صبحي الصالح (دار العلم،
بيروت، ط ٢).
- ٥٣- المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، (دار إحياء التراث
العربي، بيروت).
- ٥٤- معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، (تحقيق وضبط: عبدالسلام
محمد هارون، بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ).
- ٥٥- مقاصد الإسلام: صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين (دار ابن
الجوزي، ط ١).
- ٥٦- مقاصد الشريعة: محمد بن صالح بن عثيمين (دار ابن الجوزي
ط ١، ١٤١٣هـ).
- ٥٧- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر ابن
عاشور (الشركة التونسية للتوزيع).
- ٥٨- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: علال الفاسي (مكتبة
الوحد العربية).

- ٥٩- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية : د. يوسف حامد العالم
(دار الأمان، ط٢).
- ٦٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: محيي الدين النووي،
(تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط٢،
١٤١٥هـ).
- ٦١- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله تعالى: د. عبد
الله بن رشيد الحوشاني، (دار أشبيليا، ط١، ١٤١٧هـ).
- ٦٢- الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي، (شرحه
وخرج أحاديثه: عبدالله دراز، بيروت، دار الكتب العلمية).
- ٦٣- الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد بن حنبل (المشرف العام
على الإصدار: د. عبدالله التركي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ).
- ٦٤- الموطأ: مالك بن أنس (دار الكتاب العربي ط الثانية ١٤١٠هـ).
- ٦٥- نظرية الضرورية الشرعية: د. وهبة الزحيلي.
- ٦٦- نظرية المصلحة في الفقه الإسلامي: د. حسين حامد حسان
(دار النهضة العربية).
- ٦٧- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير محمد الدين
المبارك بن محمد الجزري، (تحقيق محمود محمد الطاحي،
دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ).
- ٦٨- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية: د. محمد صدقي
البورنو (مؤسسة الرسالة، ط١).

البرامج الدعوية في سجن الملز العام (دراسة مسحية)

إعداد

الدكتور: عبدالله بن محمد المطوع
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب
في كلية الدعوة والإعلام

مقدمة الدراسة :

التمهيد :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وآله وأصحابه، وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن اتخاذ السجن لإمضاء العقوبة على المدانين والمتهمين أمر مشروع في الإسلام؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشِيرُوا عَلَيْهِنَّ أَرْمَكُ مِنْكُمْ إِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّعَنَّ الْمَوْتَ أَوْ يَجْمَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾^(١)، والإمساك في البيوت هو الحبس، وكان معمولاً به في صدر الإسلام للاتي يأتين الفاحشة، فلما كثر الجناة اتخذ لهم سجن^(٢)، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، والمراد بالنفي هنا: أن يخرج من بلده، إلى بلد آخر فيسجن فيه^(٤).

وفي الحديث المتفق على صحته أن خيل الرسول ﷺ أمسكت برجل من نجد، فأُتي به إلى المسجد، ورُبط في سارية من سواريه، فلما دخل النبي ﷺ المسجد ورآه، قال لأصحابه: أعرقتم من هذا؟، إنه ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة، أحسنوا إيساره، فكان يُقدم له الطعام، ويؤتى له بناقة رسول الله ﷺ ليشرب من لبنها، وظل كذلك ثلاثة أيام، والنبي ﷺ يمر به، ويكلمه ويحاوره، ثم أطلق سراحه، فعمد ثمامة (ت ١٢هـ) ﷺ إلى نخل قرب المسجد، فاغتسل، ثم عاد وأعلن

(١) سورة النساء، الآية: ١٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧٥/٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠٥/٦. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٨/٢.

إسلامه^(١)، وذكر الحافظ النووي (ت ٦٧٦هـ) رحمه الله أن من فوائد هذا الحديث: ((جواز ربط الأسير، وحبسه))^(٢)، وفي الحديث: (أن النبي ﷺ حبس رجلاً في تهمة)^(٣)، ولما كثرت الجرائم والمخالفات في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ (ت ٢٣هـ) احتاج الأمر إلى إيجاد سجن دائم؛ فابتاع ﷺ داراً بمكة ليحبس فيها، وكانت هذه الدار أول مكان يعد سجناً في التاريخ الإسلامي^(٤).

وقد اتفق العلماء على مشروعية السجن^(٥)؛ لكون العقوبة فيه تحقق مصالح معتبرة للأفراد والجماعات؛ فهي تسهم في الحفاظ على الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والمال، والنسل، والعقل، ولها دور مهم في مراعاة مصالح البشر، والحفاظ على أمنهم وحقوقهم وممتلكاتهم، وتسهم في ردع المعتدين على الحقوق العامة أو الخاصة، وتؤدب مخالفي الأحكام الشرعية، والأنظمة الرسمية، ونحو ذلك من المصالح والأغراض التي من أجلها شرعت عقوبة السجن، والتي لا يقصد منها الانتقام، أو التشفى، أو الإهانة، أو الإضرار بالآخرين؛ إنما من مقاصدها: تعزير السجين وتأديبه، واستصلاحه، وتعديل سلوكه، وتصحيح مساره؛ ليخرج إلى الحياة بعد ذلك بشخصية جديدة، ونظرة مغايرة، تعتمد على سلوك الطريق المستقيم، والتزام

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، رقم ٤٤١٥، ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، رقم ٤٦٨٨، وقصة إسلام ثمامة بن أثال ﷺ مذكورة في كتب السير والتراجم، انظر: الإصابة، ابن حجر، ١٣٣/٤، البلدية والنهائية، ابن كثير، ٤٩/٥.
(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المعروف بشرح صحيح مسلم، ٨٧/١٢.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب القضاء، باب الحبس في الدين وغيره، رقم ٢٦٢٠، وحسنه الشيخ الألباني، صحيح سنن أبي داود، ٤٠٣/٢.

(٤) انظر: البلدية والنهائية، ابن كثير، ٩٧/٨، الطرق الحكمية، ابن القيم، ١٠٢، فتح الباري، ابن حجر، ٧٦/٥.
(٥) انظر: تبصرة الحكام، ابن فرحون، ٣٠١/٢، نيل الأوطار، الشوكاني، ٣٠٦/٨.

الصدق في العمل، والبعد عن مسالك الجريمة، ودروب الانحراف؛ لذلك لما أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٢هـ) بسجن رجل ارتكب جرماً، قال: ((أحبسه، حتى أعلم منه التوبة، ولا أنفيه إلى بلد فيؤذيهم))^(١)، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: ((والعقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من الله بعباده، فهي صادرة عن رحمة الله بالخلق، وإرادة الإحسان إليهم، والرحمة لهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض))^(٢).

لذلك لا بد أن ينظر إلى السجن بكونه ميداناً بارزاً من ميادين الدعوة؛ حيث تُبلّغ فيه دعوة الإسلام بما حوته من عقيدة وشرعية وآداب، وهو مكان خصب - بإذن الله - لتهديب النفوس البشرية التي استمرت الجريمة، وتعاطت المحرمات، وارتكبت المحظورات.

فعقوبة السجن فرصة كبرى لمن وقع في أحوال الجريمة للعودة إلى الصراط السوي، والحياة الكريمة، فكم رأينا من سجين وقد تبدلت حاله، وحسن مآله بعد خروجه من السجن؛ لأن السجن وجد في السجن فرصة لمراجعة نفسه، وتصحيح مساره في دنياه وآخرته، وفي الوقت نفسه كان القائمون على هذه السجون على قدر كبير من المسؤولية والأمانة في استثمار أوقات السجناء، وملء فراغهم؛ بما يعود عليهم بالنفع في دنياهم وآخرتهم.

وهذه النظرة هي التي ينبغي أن تسود عند التأمل في عقوبة السجن؛ فهو مكان للإصلاح والتوجيه والإرشاد، وليس فقط مكاناً للعقوبة المجردة، والاحتجاز البعيد عن معاني الإصلاح والتهديب، وتصحيح المسار؛ فهذه العقوبة، وإن كانت في ظاهرها مصدر حزن وضيق، وتعاسة للسجين؛ إلا أنها في الوقت نفسه قد تكون مصدر

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠٥/٦.

(٢) الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، البعلبي، ٢٨٨.

انطلاقة كبرى له؛ حين تسهم البرامج الدعوية والثقافية والسلوكية والمهارية التي تُقدم له في السجن في التأثير الإيجابي عليه - بإذن الله -، فيتفاعل معها، ومن ثم يبدأ بتطبيق ما استفاده منها في حياته داخل السجن، ويمتد أثرها عليه حتى بعد خروجه منه.

إنّ المطلع على أنظمة السجن والتوقيف في المملكة العربية السعودية، وواقعها في الوقت الحاضر؛ يجد أن المسؤولين عنها ينظرون إلى السجناء وكأنهم مرضى يحتاجون إلى علاج إيماني ونفسي وسلوكي، وأن السجن فرصة لاستصلاح هؤلاء السجناء، فهم يهتمون - قدر الاستطاعة، بمعالجتهم دعويًا وسلوكيًا ونفسيًا ومهاريًا، ويبدلون جهودهم للإفادة من عقوبة السجن للعمل على هذا التوجه؛ لذلك نرى برامج كثيرة ومتعددة في مجالات متنوعة؛ لإصلاح واقع السجناء، واغتنام أوقاتهم، بما يعود عليهم بالنفع.

واستناداً على ما سبق، فإن هذه الدراسة تسعى إلى بيان أبرز البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز بمدينة الرياض خلال ستة أشهر، منذ مطلع شهر رمضان ١٤٢٠هـ، وحتى نهاية شهر صفر ١٤٢١هـ، ومن ثم عرض آراء أفراد عينة الدراسة حول هذه البرامج وتقويمهم لها.

- أهمية الدراسة:

- تبرز أهمية الدراسة من خلال عدد من النقاط، وهي كالآتي:
- ١- إبراز دور السجن في تصحيح مسار حياة السجين، والتأثير الإيجابي فيه.
 - ٢- تقديم صورة متكاملة عن البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.
 - ٣- تقديم أنموذج للسجون في المملكة العربية السعودية (سجن الملز)، وما يقدم فيه من برامج دعوية وثقافية ومهارية متنوعة.
 - ٤- تقديم دراسة مسحية (ميدانية تقويمية) لهذه البرامج المنفذة في سجن الملز العام؛ من خلال آراء أفراد عينة الدراسة.

- مصطلحات الدراسة:

- المراد بالبرامج الدعوية في اصطلاح هذه الدراسة: ((البرامج والأنشطة المتنوعة التي تقام في سجن الملز العام؛ من أجل نشر الإسلام وأحكامه وآدابه بين السجناء المسلمين وغيرهم؛ سعياً في إصلاح سلوكهم، وشغل أوقاتهم، بما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم)).

- السجنون، جمع كلمة: سجن، وهو الحبس، وهو ضد التخلية، بمعنى الربط، وهناك ألفاظ لغوية مقاربة لهذا المعنى في المعاجم اللغوية، مثل: الاعتقال، والأسر، والحصر^(١).
وفي الاصطلاح وردت للسجن عدة تعريفات، منها:

١- تعريف الكاساني (ت ٥٨٧هـ) رحمه الله: ((تعويق الشخص من الخروج إلى أداء أشغاله ومهامه الدينية والاجتماعية))^(٢).

٢- تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رحمه الله: ((تعويق الشخص، ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو مسجد...))^(٣).

٣- عرفه د. عبدالرحمن الخليفي بأنه: ((مكان معداً لحبس المجرمين والمتهمين والمحجوزين لمصلحة معتبرة))^(٤).
- السجن وفق اصطلاح هذه الدراسة: ((الأمكنة التي تتبع الجهات الأمنية في المملكة العربية السعودية المحددة لقضاء العقوبات المقررة شرعاً ونظاماً)).

(١) انظر المراجع اللغوية (مادة سجن): القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٢٢٣/٤، لسان العرب، ابن منظور، ٢٠٣/١٣، مختار الصحاح، الرازي، ص ٢١٧، المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ٤١٩/١.

(٢) بدائع الصنائع، ١٧٤/٧.

(٣) مجموع الفتاوى، جمع الشيخ ابن قاسم، ٣٩٨/٣٥.

(٤) الدعوة إلى الله في السجنون، ص ٢٧.

- وأما المراد بسجن الملز: فهو السجن الواقع بحي الملز في مدينة الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، وجرى اختيار البرامج الدعوية في هذا السجن كأنموذج للسجون في المملكة؛ يعود برأي الباحث لاعتبارين رئيسيين، هما:

أ- يعد هذا السجن الأكبر في المملكة من حيث عدد النزلاء؛ إذ يقربون من ستة آلاف سجين، بالإضافة إلى أن هؤلاء موقوفون في قضايا مختلفة؛ منها: القضايا المالية، والقضايا الحقوقية، والقضايا الجنائية، وقضايا المخدرات، وقضايا السرقات، ونحوها، وهم من جنسيات مختلفة، وهذا يعني أن العمل الدعوي المقدم لهم سيكون متنوعاً؛ لتنوع المدعويين.

ب- تكامل العمل الدعوي في قسم الإرشاد والتوجيه في السجن؛ حيث تتبعه خمس وحدات: ((وحدة القرآن الكريم والسنة النبوية، وحدة المساجد والمصليات، وحدة التوجيه، وحدة المكتبات، وحدة الجاليات))^(١).

- الدراسات السابقة:

قدمت في السنوات الأخيرة دراسات عديدة ومتنوعة عن السجون وأحكامها وواقعها، وأصناف السجناء والتعامل معهم؛ بحسب تخصص تلك الدراسات، ولعل أبرز الدراسات التي تناولت جوانب من هذه الدراسة هي:

- ((السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية، مقارناً بنظام السجن والتوقيف في المملكة العربية السعودية))^(٢): تحدثت هذه الدراسة عن السجن وتطوره، والسجن عبر التاريخ، وموجبات السجن

(١) انظر: المبحث الثالث من هذه الدراسة.

(٢) أعدت هذه الدراسة: محمد بن عبدالله الجريوي، موحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية، ١٤٠٧هـ.

والتوقيف في الشريعة الإسلامية، وبيان المعمول به في المملكة، والسجون في المملكة، ورعاية السجناء وأسرههم بحسب تعليمات السجون في المملكة.

- ((الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة))^(١): وتناولت هذه الدراسة أحكام السجن، وغاياته، وتاريخ الدعوة فيه، ومسؤولية العمل الدعوي في السجن وضوابطه، ووسائل الدعوة في السجون وأساليبها، وأثر الدعوة في السجون في مكافحة الجريمة.

- ((أثر العفو عن العقوبة لمن يحفظ كتاب الله في الحد من العودة إلى الجريمة، دراسة نظرية تطبيقية على سجون المملكة))^(٢): وجاء الحديث في هذه الدراسة عن تعريف الجريمة وأنواعها، وتعريف العقوبة ومقاصدها وأنواعها، وتعريف السجن ونشأته، وتعريف العفو في الإسلام وحقيقته، وآثاره وأنواعه، ثم عرض لنتائج الدراسة الميدانية وتوصياتها.

- ((فقه السجن والسجناء))^(٣): وتناول المؤلف فيها تعريف السجن، وأحكامه في الإسلام، والحكمة من مشروعيته، ومعاملة السجناء داخل السجن، وحق السجين في الدفاع عن نفسه، وأنواع السجناء، والتعامل معهم، وإصلاح السجناء من الجانب الوقائي والعلاجي.

(١) قام بهذه الدراسة: عبدالرحمن بن سليمان الخليلي، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، ١٤١٦هـ.

(٢) أعدت هذه الدراسة: عوض بن مطلق القحطاني، مرحلة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم

الأمنية، قسم الشرطة، برنامج القيادة الأمنية، عام ١٤٢٠هـ.

(٣) ألف هذا الكتاب: سعيد بن مسفر الوادعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط ١، عام ١٤٢٥هـ.

- ((دعوة النساء في السجون، دراسة ميدانية تقويمية على نزيلات السجون والقائمين بالدعوة بمنطقة الرياض))^(١): تحدثت هذه الدراسة عن تعريف السجون، وتصنيفها، ونشأتها، وجوانب من رعاية نزيلات السجون في المملكة، واهتمام الإسلام بالمرأة، ورعاية حقوقها في السجون، ومن ثم الجانب التطبيقي حول نتائج الدراسة الميدانية. ويتضح مما سبق عرضه من الدراسات السابقة، وأبرز ما اشتملت عليه من أبواب وفصول، أنه لا توجد دراسة علمية حول موضوع الدراسة المقدمّة، وإن كان هناك تشابه في بعض الجوانب النظرية من الدراسات السابقة؛ إلا أن هذه الدراسة المقدمّة ستتخصص في تناول البرامج الدعوية في السجون - عينة الدراسة - وتحليلها وتصنيفها.

- مشكلة الدراسة:

يعد السجن أحد ميادين الدعوة إلى الإسلام؛ حيث يبقى السجناء فيه أزمان متفاوتة، ينبغي استثمارها لنشر العقيدة الصحيحة، والتعريف بأحكام الإسلام وآدابه وفضائله بينهم، وملء فراغ السجناء بالعلوم والمهارات النافعة لهم في حياتهم داخل السجن، وبعد خروجه منه، وبذلك تكون هذه السجون مصدر إصلاح وتوجيه وإرشاد، وسعادة للسجناء وأسرهم والمجتمع بعامه.

وتأتي هذه الدراسة رغبة في التعرف على البرامج الدعوية في سجون المملكة العربية السعودية، وما يُقدم فيها من برامج متنوعة تهدف لإصلاح أحوال السجناء، وتهذيب سلوكهم، والاجتهاد في تغيير واقعهم، وتهيئتهم للانطلاق من جديد بعد خروجهم من السجن إلى حياة كريمة بعيدة عن الجريمة والمحرمات.

(١) قامت بهذه الدراسة: لمياء بنت سليمان الطويل، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، ١٤٢٧هـ.

وتعنى هذه الدراسة ببيان صورة مجملته عن البرامج الدعوية المقدمة في سجون المملكة، وستتاول ذلك بشكل مفصل من خلال استعراض البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام بمدينة الرياض، ومن ثم تقديم دراسة تقييمية من قبل أفراد عينة الدراسة لهذه البرامج الدعوية.

- تساؤلات الدراسة:

على ضوء المشكلة البحثية المذكورة سابقاً يمكن تحديد التساؤلات التي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها وفق الآتي:

١. ما أبرز حقوق السجناء في الشريعة الإسلامية؟
٢. ما أبرز أوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية؟
٣. ما واقع البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام وما أصنافها؟
٤. ما ركائز العمل الدعوي في السجون في المملكة العربية السعودية؟
٥. ما آراء أفراد العينة في الجهود الدعوية المقدمة لهم، وما تقييمهم لها؟

- منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة من البحوث الوصفية التي تعتمد على منهجين: **الأول: المنهج الوثائقي:** الذي يتضمن بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق مع بعضها بصفة منطقية، والاعتماد عليها في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة، أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية، أو الحاضرة..^(١)، والمنهج الوثائقي - بهذا المعنى - سيستخدم في هذه الدراسة للتعريف بحقوق السجناء في الشريعة الإسلامية، وأوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية،

ولمعرفة واقع البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام خلال ستة أشهر من غرة شهر رمضان ١٤٣٠هـ، وحتى نهاية شهر صفر ١٤٣١هـ.

الثاني: المنهج المسحي، وهو: الذي يتم فيه استجواب عينة تمثل أفراد مجتمع الدراسة؛ بهدف وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة وجودها، وبعض الأبعاد المهمة حولها^(١)، والمنهج المسحي - بهذا المعنى - سيستخدم في هذه الدراسة بغية التعرف على: أبرز سمات أفراد العينة، وعرض آرائهم حول البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

- تقسيمات الدراسة:

- **مقدمة الدراسة:** وتشمل: (التمهيد، أهمية الموضوع، التعريف بمصطلحات الدراسة، الدراسات السابقة، مشكلة الدراسة، تساؤلاتها، ومناهجها).

- الجانب النظري:

المبحث الأول: حقوق السجناء في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: أوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث: واقع البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

المبحث الرابع: ركائز العمل الدعوي في السجون في المملكة العربية السعودية.

(١) انظر: البحث العلمي، د.ذوقان وآخرون، ص ١٦٥ - ١٧٣، المدخل إلى الدراسة في العلوم

السلوكية، د.العساف، ص ١٩١.

- الجانب الميداني:

- التمهيد: إجراءات الدراسة الميدانية.

المبحث الأول: السمات العامة لأفراد عينة الدراسة.

المبحث الثاني: آراء أفراد عينة الدراسة حول الجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

المبحث الثالث: تقويم أفراد عينة الدراسة للجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام.

- الخاتمة، وفيها أبرز نتائج الدراسة، وتوصياتها.

أولاً: الجانب النظري:

المبحث الأول: حقوق السجناء في الشريعة الإسلامية:

١- أن تكون السجون مهيأة بشكل مناسب لمكث السجناء، وتتوافر فيها الإمكانيات التي تحفظ لهم الحياة الكريمة، بعيداً عن الامتهان والإذلال، وقد كانت السجون في العصور الإسلامية الأولى توفر قدراً مناسباً للسجناء للحركة والمشي والتهوية والضوء والاتصال ببعضهم، وهذه أسباب أساسية لحماية صحة السجناء النفسية والجسمية^(١).

٢- العناية بتعليم السجين أحكام الدين وآدابه وفضائله، وسائر العلوم النافعة، وقد سبق ذكر قصة حبس النبي ﷺ لثامه ﷺ في المسجد، وتأثره بذلك، ثم أسلم^(٢)، ومعلوم أن من أهم أساليب معالجة الانحراف لدى السجناء، شغل أوقات فراغهم، وتعليمهم أركان هذا الدين وواجباته وأحكامه وآدابه وفضائله، وتوعيتهم بمحظوراته ومحرماته؛ سعياً في إرشادهم للطريق المستقيم، سواء كان هذا السجين مسلماً، أو غير مسلم، يقول تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(٤)، ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٥).

(١) انظر: أحكام السجن، دأبوغدة، ص ٣٠٦.

(٢) انظر: ص (٣) من هذه الدراسة.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

٣- حسن معاملة السجين، وقد امتدح الله تعالى حسن تعامل الجنود المسلمين مع الأسرى، على الرغم من كون هؤلاء الأسرى غير مسلمين، وبيّن أن ذلك من صفات المؤمنين التي يجازون عليها بدخول الجنة في الآخرة، يقول سبحانه: ﴿وَيَطْمَئِنُّونَ عَلَى طَعَامٍ طَيِّبٍ وَتَيْمَاتُ وَاسْبِرَاتُ﴾ (٨) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ فَلَا تَبْلُغُوا حَرْجًا وَلَا شُكْرًا﴾ (٩) ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا﴾ (١٠) ﴿وَقَفَّهْمُ اللَّهُ تَرَدَّدًا﴾ (١١) ﴿وَجَزَّوْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ (١٢).

٤- عدم إيذاء السجين جسدياً أو معنوياً؛ إلا وفق ما تقرره أحكام القضاء؛ وهذا الأمر - إيذاء السجين - من المحرمات التي لا يجوز التعدي عليها، يقول النبي ﷺ: (أما بعد فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...) (٣).

وقد نهت الشريعة عن تعذيب المجرم، فضلاً عن المتهم، وقد مرَّ هشام بن حكيم بن حزام (ت ٤١هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالشام على أناس، وقد أقيموهم في الشمس، وصبَّ على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟، قيل: يعذبون في الخراج، فقال: أما إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) (٣).

كما لا تقبل ممارسة أي نوع من أنواع الضغوط على السجين لانتزاع الاعتراف منه على ارتكاب جريمة، أو الإدلاء بمعلومات؛ فكل ما ترتب على ذلك، وكان على سبيل الإكراه والإجبار فهو باطل، يقول النبي ﷺ: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) (٤)،

(١) سورة الإنسان، الآية: (٨ - ١٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض)، رقم ٧١٦٥.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق، رقم ٦٨٢٦.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق للكره، رقم ٢٠٤٥، وصححه الشيخ الألباني، صحيح

سنن ابن ماجه، ١٧٩/٢.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((ليس الرجل بأمين على نفسه إذا جوعته، أو ضربته، أو وثقته))^(١)، وقد أجمع الفقهاء على أن إقرار المكره لا يجب به حدٌ، ولا يعتد به^(٢).

٥- الإنفاق على إطعام السجين وشرابه وكسائه وعلاجه من بيت المال، فقد كتب أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١هـ) رحمه الله رسالة لأحد ولاته، ومما جاء فيها: ((وانظر من في السجون ممن قام عليه الحق، فلا تحبسه حتى تقيمه عليه، ومن أشكل أمره فاكتب إلي فيه، واستوثق من أهل الذناعات^(٣)، فإن الحبس لهم نكال، ولا تعد في العقوبة، وتعاهد مريضهم ممن لا أحد له ولا مال، وإذا حبست قوماً في دين، فلا تجمع بينهم وبين أهل الذناعات في بيت واحد، ولا حبس واحد، واجعل للنساء حبساً على حدة، وانظر من تجعل على حبسك ممن تثق به، ومن لا يرتشي، فإن من ارتشى صنع ما أمر به...))، وأمر رحمه الله بكسوة السجناء ثوبين في الصيف، وثوبين في الشتاء^(٤).

٦- لا يمنع السجين من زيارة أهله وأولاده له، والخلوة الشرعية بزوجته، ومن تقتضي أهمية تواصله معه كوكيله، أو محاميه، وكذلك تمكينه من قضاء مصالحه وحوادثه خارج السجن بالوسائل المتاحة، وفق الضوابط المنظمة لذلك^(٥).

هذه أبرز الحقوق التي كفلتها الشريعة الإسلامية للسجناء؛ وأوجبت العمل بها؛ حتى تكون العقوبة ذات أثر إيجابي عليهم، وبهذا يتبين لنا جوانب من خصائص هذا الدين الحنيف الذي يحفظ للناس حقوقهم؛ حتى ولو كانوا مجرمين، أو متهمين.

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ١٢٣/٥.

(٢) المغني، ابن قدامة، ٢٦٠/٨.

(٣) يراد بهم: أهل الجرائم الخبيثة، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٠٦/٤، ((مادة دعر)).

(٤) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٢٧٥/٥ - ٢٧٦.

المبحث الثاني: أوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية

السعودية:

المطلع المنصف على نظام السجن والتوقيف المعمول به في المملكة العربية السعودية، الصادر بموجب قرار مجلس الوزراء المؤقر رقم (٤٤١) بتاريخ ١٣٩٨/٦/٨هـ، والمتوج بالمرسوم الملكي الكريم رقم (م/٢١) بتاريخ ١٣٩٨/٦/٢١هـ يجد فيه كل ما يؤكد اهتمام حكومة المملكة العربية السعودية بالسجناء، ورعاية مصالحهم، وحفظ كرامتهم، والعناية بحقوقهم، وسيعرض الباحث جوانب من هذا النظام مما يؤكد ذلك، وفق الآتي:

- المادة الثانية، ومما ورد فيها: (يراعى في إنشاء السجون العناية بالشروط الصحية، ووسائل السلامة)، وذلك من خلال إيجاد مراكز صحية، وعيادات طبية في كل سجن رئيسي، وتوفير الأطباء المتخصصين، والأجهزة والمستلزمات الطبية، وتوفير الأطباء الزائرين للسجون الفرعية الصغيرة التي لا تتوافر فيها مراكز صحية، وكذلك نقل بعض السجناء الذين تتطلب حالتهم الصحية لمعالجتهم في مستشفيات وزارة الصحة؛ وكل ذلك يأتي في سبيل الحفاظ على سلامة السجناء، والعناية بصحتهم.

- المادة الخامسة، ومما ورد فيها: (تخضع السجون ودور التوقيف للتفتيش القضائي والإداري والصحي والاجتماعي)، وهذه المادة تؤكد كذلك على أهمية اشتراك الجهات الرسمية الأخرى في الإشراف، ومتابعة أحوال السجناء والعناية بهم.

- المادة السادسة، ومما ورد فيها: (ينشئ وزير الداخلية بقرار يُصدره مجلساً أعلى للسجون، تكون مهمته إجراء الدراسات الخاصة بتطوير دور

السجون، والتوقيف على نحو يحقق الهدف منها، ويجعلها أكثر فعالية في مجلة
تقويم المحكوم عليهم، وذلك فضلاً عن اقتراح وسائل مكافحة الجنوح الدراسات
الدعوية

والعَوْدُ، وكل ما يحقق الصالح العام في هذا المجال)، وهنا يتضح الاهتمام البارز، والعناية الكبرى بأهمية إخضاع السجون والسجناء للدراسات، والبحوث العلمية؛ التي يتوقع منها أن تعطي نتائج مهمة لصالح الوطن وأفراد.

- المادة السابعة، ومما ورد فيها: (لا يجوز إيداع أي إنسان في سجن، أو في دار للتوقيف، أو نقله، أو إخلاء سبيله، إلا بأمر كتابي صادر من السلطة المختصة، ولا يجوز أن يبقى المسجون، أو الموقوف في السجن، أو دور التوقيف بعد انتهاء المدة المحدودة في أمر إيداعه)، وتقول المادة الحادية والعشرون: (لا يجوز أن يؤخر الإجراء الإداري الإفراج عن المسجون، أو الموقوف في الوقت المحدد)، وهاتان المادتان تؤكدان أهمية حفظ حقوق السجناء، وقيام العمل في إدارات السجون وفق عمل مؤسسي منظم ودقيق؛ لكونه يتعلق بحقوق الآخرين وحريتهم، التي لا ينبغي التغافل عنها.

- المادة الحادية عشرة، ومما ورد فيها: (إذا زادت مدة بقاء المحكوم عليه في السجن عن أربع سنين، وجب قبل الإفراج عنه أن يمر بفترة انتقال تهدف إلى تيسير اندماجه في المجتمع بعد الإفراج عنه، وتحتسب هذه الفترة من مدة العقوبة)، وهذه المادة توضح مقدار الاهتمام بالسجين، والحرص على عدم عودته للسجن مرة أخرى، وتهيئته للحياة خارج السجن بعد الخروج منه.

- المادة الثالثة عشرة، ومما ورد فيها: (تعامل المسجونة، أو الموقوفة الحامل ابتداءً من ظهور أعراض الحمل عليها معاملة خاصة، من حيث الغذاء والتشغيل حتى تمضي مدة أربعين يوماً على الوضع)، وتقول المادة الرابعة عشرة: (تقلل الحامل المسجونة، أو الموقوفة إلى المستشفى عند اقتراب الوضع، وتبقى فيه حتى تضع حملها، ويصرح لها الطبيب بالخروج منه)، وتوضح المادة الخامسة عشرة آلية التعامل مع المولود: (يبقى مع المسجونة أو الموقوفة حتى يبلغ من العمر سنتين، فإذا لم ترغب في بقاءه

مجلة
الدراسات
الدعوية

معها، أو بلغ السن، سُم لأبيه، أو لمن له حق حضائته شرعاً بعد الأم)، وهنا يظهر جانب إنساني مهم في العناية بالسجينات^(١).

- المادة السابعة عشرة، ومما ورد فيها: (يجب على إدارات السجون، ودور التوقيف أن تكفل محافظة المسلم في السجن، أو دار التوقيف، على إقامة الشعائر الدينية الإسلامية، وأن تهيئ له الوسائل اللازمة لأدائها، ويكون لكل سجن، أو دار توقيف مرشد، أو أكثر من الدعاة المتخصصين في الدعوة إلى الله، وهداية النفوس، وحثهم على الفضيلة، ومراقبة أدائهم لشعائهم الدينية، كما يكون له أخصائي، أو أكثر في العلوم الاجتماعية والنفسية)، ويظهر في هذه المادة العناية الكبرى بحق العبادة للسجناء، من خلال الآتي:

أ- أبرزت هذه المادة دور إدارة السجن، أو الإدارة المعنية فيه بمتابعة السجناء والحرص على أدائهم العبادات.

ب- أكدت هذه المادة وجوب اهتمام إدارة السجن في تهيئة أماكن للصلاة.

ج- أوجبت هذه المادة توفير متخصص بالدعوة والإرشاد، أو أكثر لتوعية السجناء بأحكام الدين وفضائله وآدابه، وحثهم عليها، وإلزامهم بها.

(١) وفي هذه المواد عمل بالهدي النبوي؛ حين أتت المرأة الغامدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الرسول ﷺ قائلة: يا رسول الله إني قد زينت فظهرني، فردها، فلما كان الغد، قالت: يا رسول الله لِمَ تردني؟؛ لعلك أن تردني كما رددت ما عزاً، فوالله إني لحبلى، قال: (إملا، فاذهبي حتى تلدي)، فلما ولدت؛ أتته بالصبي في خرقة، قالت هذا قد ولدته، قال: (اذهبي فأرضعيه حتى تفظميه)، فلما فظمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: هذا يا نبي الله قد فظمته، وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها، وأمر الناس فرجموها...، رواه مسلم، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا، رقم ٤٨٢٥.

د- عملاً بهذه المادة فقد أنشئت إدارة للإرشاد والتوجيه في الإدارة العامة للسجون، وتتبعها أقسام الإرشاد والتوجيه في كل سجن، وتختص بالمهام الآتية: (بث الوعي الديني بين السجناء، وتدريس العلوم الدينية عن طريق إلقاء المحاضرات، والمحاضرات والدروس مع التركيز على العقيدة، والعبادات، وتعليم النزلاء فرائض دينهم، وحثهم على التحلي بالأخلاق الحميدة، وغير ذلك مما يتناسب مع مستواهم الثقافي، وتمكين من يرغب من النزلاء من حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وعمل مسابقات تشجيعية لهم، وصرف مكافآت مالية مساعدة على ذلك، وإرشاد الواعظ الديني على مواطن الانحراف لدى السجناء ليتمكن من معالجتها).

هـ- في السابق - ما قبل عام ١٤٠٨هـ - كان المعمول به: يمنح السجناء الذين يحفظون أجزاء من القرآن الكريم بعض المبالغ النقدية تحفيزاً لهم، ووُجدت حلقات لتحفيظ القرآن الكريم في جميع السجون، وتحقق من ذلك نتائج طيبة، ورغبة في إعطاء مزيد من العناية بحفظ كتاب الله الكريم من قبل السجناء، وشغل أوقاتهم بذلك؛ فقد صدر القرار السامي الكريم من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - رقم (٨/١٠٧) بتاريخ ١٤٠٨/٢/٧هـ، والمتضمن إعفاء السجنين الذي يتمكن من حفظ كتاب الله الكريم (عن ظهر قلب) أثناء فترة سجنه من نصف محكوميته؛ ثم صدر الأمر السامي الملكي الكريم رقم (٢٠٨١/٤) بتاريخ ١٤١١/١١/٢٧هـ القاضي بالموافقة على توزيع حفظ القرآن الكريم حسب مدة المحكومية، وذلك بقسمته على عدد الأجزاء التي حفظها السجنين، على مجموع عدد أجزاء القرآن الكريم، وضرب الناتج في نصف المحكومية بالأشهر، ويشترط لذلك ألا تقل

مجلة
الدراسات
الدعوية

المحكومية عن ستة أشهر، وأن لا يقل حفظ السجين عن جزأين، ولا ينظر إلى كسور الجزء، بل يطالب السجين بالجزء كاملاً. وقد أثمر ذلك بإقبال عدد كبير من السجناء على حفظ القرآن الكريم، والتفاعل الإيجابي مع حلقات التحفيظ في السجون؛ مما أسهم في تقويم سلوكهم، وتأهيلهم للعودة إلى المجتمع أفراداً صالحين - بإذن الله..

وتتخذ المديرية العامة للسجون مناشط دعوية متعددة، وذلك وفق الآتي:

١- تنفيذ خطة ربع سنوية (كل ثلاثة أشهر)، بالتعاون مع فروع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في كافة المناطق والمحافظات، لإلقاء الدروس، والمحاضرات، والكلمات التوجيهية للسجناء، ويتم تقويم الخطة بشكل دوري؛ لتطويرها في الخطة التي تليها.

٢- تنفيذ خطة فصلية (كل أربعة أشهر) بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من خلال المعاهد العلمية التابعة لها في جميع سجون المناطق والمحافظات بالملكة، وتتكون هذه الخطة من برامج علمية ثقافية متنوعة يقوم بها المعلمون في المعاهد العلمية، بإشراف العاملين في قسم الإرشاد والتوجيه بالسجون.

٣- إقامة نوادي صيفية ورمضانية متنوعة (علمية، ثقافية، ترفيهية)، تشمل الدروس، والدورات العلمية، والبرامج الثقافية والرياضية المتنوعة، وتغطي جميع السجون الرئيسية والفرعية، بالتعاون مع فروع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وإدارات التربية والتعليم بالمناطق والمحافظات، ويرصد لها ميزانية مستقلة.

٤- التعاون مع مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات لإلقاء محاضرات، ودروس علمية للسجناء السعوديين والمقيمين العرب، والاستفادة كذلك من دعاة هذه المكاتب؛ لتوعية السجناء غير الناطقين باللغة العربية بلغاتهم المتعددة.

٥- التصريح لعدد من الدعاة المحترفين التابعين لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد للقيام بمهام الدعوة بكافة جوانبها لنزلاء السجون، بالإضافة إلى تعاون الوزارة في هذا الجانب بتفريغها لعدد من دعاة الرسميين للعمل في بعض سجون المملكة.

٦- تعيين عدد من الدعاة والوعاظ في شعب وأقسام السجون بوظائف مدنية، تحت مسمى: (مرشد ديني)، وتكون مهمتهم إلقاء الدروس والمحاضرات والدورات العلمية، ويتم تقويمهم بشكل دوري.

٧- الإشراف على حلقات تحفيظ القرآن الكريم في السجون.

٨- تنظيم المسابقات القرآنية والثقافية، وتكريم الفائزين بها.

٩- أيضاً بينت هذه المادة (السابعة عشرة): أهمية العناية بمعالجة الجوانب النفسية للسجناء على أيدي متخصصين، ومما يذكر في هذا الجانب أن من اختصاصات الباحث الاجتماعي إجراء بحث الاستقبال الأولي مع السجن الجديد؛ لتكوين العلاقة المهنية معه، وبما يساعد على تكيفه مع بيئة السجن، ويهتم كذلك بتتبع حالات السجناء، وما يطرأ عليها من تغيرات من النواحي النفسية والاجتماعية والصحية، وتدوين جميع المعلومات عنهم، خصوصاً الحالات غير المستقرة من خلال دراسة اجتماعية تجرى لكل سجين على حدة، يتولاها باحث اجتماعي بمشاركة اختصاصي نفسي وطبيب للأمراض النفسية.

- المادة الثامنة عشرة، ومما ورد فيها: (تضع وزارة الداخلية بالاتفاق مع الجهات المختصة المسؤولة عن التعليم والتوعية مناهج التعليم والتثقيف داخل السجون، ودور التوقيف، وتحدد اللائحة التنفيذية قواعد وإجراءات اختبارات المسجونين والموقوفين في المراحل الدراسية المختلفة، وتتشأ في كل سجن مكتبة تحوي كتباً دينية، وعلمية، وأخلاقية؛ ليستفيد منها المسجونون والموقوفون في أوقات فراغهم، ويسمح للمسجونين والموقوفين باستحضار كتب، أو صحف، أو مجلات على نفقتهم الخاصة)، ويظهر في هذه المادة العناية الكبرى بحق العلم والثقافة والاطلاع للسجناء، من خلال الآتي:

أ- أكدت هذه المادة تضافر الجهات المعنية بالدعوة والتعليم والثقافة، بالتعاون مع الجهات الأمنية لوضع مناهج التعليم والتثقيف داخل السجون.

ب- كفلت هذه المادة للسجناء حق التعلم والاطلاع، والتزود من العلوم والمعارف المختلفة.

ج- أوجبت هذه المادة على إدارات السجون إنشاء مكتبات عامة في كل سجن، يتاح فيها للسجناء الاطلاع على الكتب المتنوعة وقراءتها.

د- أتاحت هذه المادة للسجناء في حال رغبتهم إحضار كتب، أو صحف، أو مجلات على نفقتهم الخاصة.

هـ- أسهمت هذه المادة بإمكان توفير وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية وفق ضوابط محددة.

و- ومما يعزز ذلك في الواقع، فإن عدد المدارس في مختلف المراحل يبلغ حالياً (٧١) مدرسة في مختلف سجون المملكة، جاءت وفق الآتي:

- (٣٣) مدرسة لمرحلة تعليم الكبار، ومحو الأمية.
- (٢١) مدرسة للمرحلة المتوسطة.
- (١٢) مدرسة للمرحلة الثانوية.
- (٥) مدارس لمرحلة تعليم الكبار، ومحو الأمية للتعليم النسوي.

- كما أنشئت قريباً (عام ١٤٣٠هـ) قاعة جامعية خاصة بالسجناء؛ لاستكمال دراستهم الجامعية، بالتعاون بين جامعة القصيم وإدارة سجون منطقة القصيم.

- المادة التاسعة عشرة، ومما ورد فيها: (تضع وزارة الداخلية بالتنسيق مع الجهات المختصة برامج للخدمة الاجتماعية داخل السجون ودور التوقيف، ولأسر المسجونين والموقوفين)، وهذه المادة يظهر منها العناية بالجوانب الاجتماعية للسجناء، ومراعاة ظروفهم المادية، وتمتد هذه العناية لتشمل أسر السجناء الذين قد يتأثرون بغياب عائلهم أثناء قضائه عقوبة السجن، وتتويجاً لهذه المادة، فقد صدر قرار مجلس الوزراء رقم (٢) بتاريخ ١/١/١٤٢٢هـ بإنشاء اللجنة الوطنية لرعاية السجناء، والمفرج عنهم، وأسراهم (تراحم)، وهي مؤسسة أهلية خيرية ذات شخصية اعتبارية، ومقرها الرئيس مدينة الرياض، ويرأسها معالي وزير الشؤون الاجتماعية، ومدير عام السجون نائباً له، ويشترك في عضويتها مندوبون يمثلون عدداً من الوزارات والجهات الحكومية والخاصة والخيرية، وتتبعها لجان فرعية في مختلف مناطق المملكة، وتتولى هذه اللجنة رعاية السجناء وأسراهم، وتقديم لهم البرامج الاجتماعية المتنوعة.

كما أن وزارة الشؤون الاجتماعية ممثلة بوكالة الضمان الاجتماعي، أعطت جميع أسر السجناء الحق في الاستفادة من كافة برامج الضمان الاجتماعي؛ سواء المعاشات الضمانية الشهرية، أو الحقايب المدرسية، أو برنامج تسديد فواتير الخدمات، وذلك في حال انطباق ضوابط الصرف بحق الأسر، ومن أبرز شروط استحقاق الضمان الاجتماعي: (أن يكون السجين سعودي الجنسية، ويبدأ استحقاق الأسر للمعاش ابتداءً من تاريخ دخول عائل الأسرة للسجن، وحتى تاريخ إطلاق سراحه، ويطبق على السجناء وأسرههم ما يطبق على الحالات الأخرى المستفيدة من الضمان، ويصرف للسجين بعد الإفراج عنه (مقدار معاش أسرته) مدة ستة أشهر، مساعدة مقطوعة لتأهيله للعمل، وفي حالة وفاة السجين داخل السجن تعدل الحال من أسرة سجين إلى معاش أرملة وأيتام، أو حسب الحالة الاجتماعية للأسرة).

وفي هذا الاتجاه فقد وضعت الدولة بعض الحوافز التي تُعطي للمستثمرين في السجون؛ رغبة في شغل أوقات السجناء بما يعود عليهم بالنفع، وإكسابهم المهارات اللازمة، وتعويدهم على اكتساب الرزق من عمل اليد، ومن ذلك:

- أ- توفير موقع للمنشأة داخل السجن، حسب توفر المساحة المطلوبة.
- ب- احتساب العامل (السجين) بعاملين في السعودة من قبل وزارة العمل.
- ج- توفير العمالة اللازمة من السجناء من الجنسين.
- د- تسهم المديرية العامة للسجون بالتعاون مع صندوق تنمية الموارد البشرية (هدف) بمبلغ إضافي للراتب بنسبة (٥٠٪)، لمدة أربعة وعشرين شهراً من راتب الموظف (السجين) خلال قضاء محكوميته بالسجن، وبمبلغ لا يتجاوز (١٠٠٠) ريال شهرياً.

- المادة الخامسة والعشرون، ومما ورد فيها: (يجوز لوزير الداخلية أن يقرر الإفراج عن أي محكوم عليه بعقوبة السجن، إذا أمضى في السجن ثلاثة أرباع مدة العقوبة، وكان سلوكه أثناء وجوده في السجن يدعو إلى الثقة بتقويم نفسه)، وهذه المادة تبرز أهمية مكافأة السجناء الذين تظهر عليهم السمات الحسنة، والآثار الإيجابية من عقوبة السجن.

- المادة الثامنة والعشرون، ومما ورد فيها: (لا يجوز الاعتداء على المسجونين، أو الموقوفين بأي نوع من أنواع الاعتداء، وتتخذ إجراءات التأديب ضد الموظفين المدنيين، أو العسكريين الذين يباشرون أي عدوان على مسجون، أو موقوف، مع عدم الإخلال بتوقيع العقوبات الجزائية عليهم في الأحوال التي يكون الاعتداء فيها جريمة)، وهذه مادة مهمة تحفظ للسجناء كرامتهم، وتؤكد عدم التعرض لهم بأي سوء من قبل الموظفين المدنيين أو العسكريين، ومن يثبت تعديه على أي سجين، فلا يكتفي بالإجراءات التأديبية المقررة عند الإخلال بأداء الوظيفة، بل يمكن أن توقع على المخالفين العقوبات الأخرى، والرفع بذلك للجهات المعنية؛ إذا وصل الاعتداء إلى حد ارتكاب جريمة بحق السجين.

فيتضح من خلال ما تيسر عرضه من مواد هذا النظام أن هناك عناية كبرى بحفظ حقوق السجناء، والعناية بهم في المملكة العربية السعودية؛ بما يحفظ لهم كرامتهم وحقوقهم المادية والمعنوية التي كفلتها لهم الشريعة الإسلامية.

كما أن هناك جوانب مهمة أخرى يظهر منها أيضاً العناية بالسجناء في سجون المملكة، وتتضح وفق العرض الآتي:

١. يتم إجراء الكشف الطبي الكامل على السجين فور دخوله للسجن للتأكد من سلامته، وخلوه من الأمراض المعدية، وأنشئت

مجلة
الدراسات
الدعوية

أماكن خاصة في بعض المستشفيات الرئيسية بالملكة لعزل السجناء المرضى؛ ممن تتطلب حالتهم الصحية ذلك.

٢. تحرص الدولة على تقديم إعاشة نقدية للسجين منذ دخوله السجن، وهذا خلاف الوجبات اليومية الرئيسية، وتوفير الاحتياجات والكماليات.

٣. افتتح ورش ومراكز تدريب مهني تعقد فيها دورات لتدريب السجناء على بعض الحرف والمهن، وفق احتياجات سوق العمل، وبما يُمكن السجناء بعد الإفراج عنه من الحصول على عمل مناسب له.

٤. أقامت بعض شركات القطاع الخاص عدداً من المصانع والمشغل بعدة تخصصات داخل السجون، وقد نفذ ذلك في عدة سجون.

٥. توقيع اتفاقية مع بنك التسليف السعودي لإعطاء قروض قد تصل إلى (٢٥٠,٠٠٠) ريال، لمن يريد إقامة مشروع، ولديه قدرة على إدارته، كما وقعت اتفاقية مع صندوق الموارد البشرية لدعم المتدربين من السجناء، على أن يتحمل الصندوق (٥٠٪) من مكافآت السجناء المتدربين على مهن داخل الإصلاحات.

٦. تتاح فرصة للسجناء للقيام بنشاطات اجتماعية ورياضية وثقافية متنوعة، بالتنسيق مع الجهات المعنية.

٧. انطلاقاً من توجيهات الشريعة الإسلامية السمحة، وحرصاً على تعزيز الأواصر بين السجين وأسرته؛ فإنه يتم تمكين السجين من الخلوة الشرعية بزوجه، وزيارة أفراد أسرته من خلال اليوم العائلي خلال فترة النهار، (من الساعة الثامنة صباحاً، وحتى الساعة الخامسة مساءً)، ولمرة واحدة شهرياً لكل سجين، ويشترط كون السجين حسن السيرة والسلوك، وأن يكون من المشاركين في البرامج الإصلاحية، وأن يكون سجله خالياً من أي مخالفات، ويسمح للأسرة

إدخال بعض المأكولات والمشروبات، وهناك أيضاً فرصة للسجين للخروج لمدة (٢٤) ساعة لزيارة عائلته، وفق ضوابط محددة.

٨. يحق للمحكوم إذا طلب أن يقضي سجنه قرب أهله وذويه وينقل من مدينة إلى أخرى، فإنه يسمح له أن ينقل إلى أقرب سجن لهم.

٩. حرصت المديرية العامة للسجون على ابتعاث منسوبيها من ضباط وأفراد وموظفين للدول المتقدمة في مجال رعاية وإصلاح السجين، مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا، وبريطانيا، وكندا، وغيرها من الدول؛ للوقوف على التجارب العالمية عن قرب والاستفادة منها، حتى تثري الجوانب المعرفية لمنسوبي السجون؛ مما ينعكس إيجاباً على أدائهم الوظيفي^(١).

وهذا العرض السابق في هذا المبحث يبين أوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية بالسجون؛ حيث ظهر الاهتمام بذلك من مختلف الجوانب المعنوية والمادية، وكذلك الأمور الدينية والصحية والاجتماعية والنفسية والسلوكية، والتزام ذلك كله بهدي الشريعة الإسلامية وأحكامها.

(١) انظر: تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية، محمد حبيب أحمد مختار، ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه، ١٤٢١هـ، ص ١٨ - ٢٨، والمقابلة المنشورة مع سعادة مدير عام الإدارة العامة للسجون اللواء د.علي بن سعيد الحارثي، في صحيفة الرياض، العدد ١٤٦٣٨، الصادرة يوم الثلاثاء الموافق ١٠/٢٨/١٤٢٩هـ، ص ١٣، والمقابلة المنشورة مع سعادته في صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٤٢٠، الصادرة يوم الجمعة ٧/٣/١٤٣٠هـ، ص ١٨، كما استقى الباحث بعض معلومات هذا المبحث من مقابله للعقيد عبدالمحسن بن محمد الطويل (مساعد مدير إدارة الإرشاد والتوجيه في المديرية العامة للسجون) يوم الثلاثاء الموافق ١٤٣١/٤/٢٨هـ، وزيارته لسجن الملز يوم السبت الموافق ١٤٣١/٤/٤هـ، وكذلك يوم السبت ١٤٣١/٥/٣هـ، واللقاء بالمقدم خالد الحبردي (مسؤول قسم الإرشاد والتوجيه في سجن الملز)، وإبراهيم الزهراني (من منسوبي قسم الإرشاد والتوجيه في سجن الملز)، وقام الباحث بنفسه بزيارة أجنحة السجن المتنوعة بالتنسيق مع إدارة السجن.

مجلة
الدراسات
الدعوية

المبحث الثالث: واقع البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام:

اتضح في المبحث السابق الاهتمام الكبير بالبرامج الدعوية والعناية بها من خلال مواد نظام السجن والتوقيف بالمملكة؛ وذلك لأثارها الكبرى في استصلاح السجناء، وإرشادهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة اللائقة بهم؛ وقد تواصل الباحث مع الإدارة المعنية في سجن الملز العام^(١)؛ للإفادة عن برامجهم الدعوية المتنوعة المنفذة خلال ستة أشهر، ابتداء من غرة رمضان ١٤٣٠هـ وجرى تزويده بها؛ لتقدم هذه الدراسة بذلك لمحة موجزة عن أبرز البرامج الدعوية في هذا السجن؛ الذي يعد أنموذجاً متميزاً لبقية السجون في المملكة، وجاءت هذه البرامج وفق الجداول الآتية:

الجدول رقم (١)

أبرز المعالم العامة لقسم الإرشاد والتوجيه في سجن الملز

التوضيح	البيان
وحدة القرآن الكريم والسنة النبوية، ووحدة المساجد والمصليات، ووحدة التوجيه، ووحدة المكتبات، ووحدة الجاليات.	الوحدات الموجودة في سجن الملز
- (٢٤) مصلى، وتقام صلاة الجمعة في جميع هذه المصليات. - (١) مسجد واحد.	عدد المساجد والمصليات في سجن الملز
- عدد (٣) من الدعاة الرسميين في قسم الإرشاد والتوجيه. - عدد (٣) من الدعاة المتفرغين للعمل في الوحدة من قبل فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة الرياض. - عدد (١٠٠) من طلبة العلم والدعاة المتعاونين المصرح لهم من قبل المديرية العامة للسجون لإلقاء المحاضرات والدروس في سجن الملز.	عدد الدعاة في سجن الملز
جميع نزلاء السجن (٦٠٠٠) سجين تقريباً.	عدد المدعوين في سجن الملز
- (٢) مكتبتان عامتان. - (٣) مكتبات في الأجنحة المثالية.	عدد المكتبات في سجن الملز
(٣) أجنحة مثالية، في كل جناح بين (١٥٠ - ٢٠٠) نزيل تقريباً.	عدد الأجنحة المثالية في سجن الملز

الجدول رقم (٢) يوضح الدروس العلمية المنفذة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

اللغة	موعد الدرس	الدرس
اللغة العربية	درس أسبوعي لكل كتاب في الأجنحة المثالية	شرح كتاب التوحيد (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد)
		شرح الأصول الثلاثة مع حفظ المتن.
		شرح الأربعين النووية مع حفظ الأحاديث.
		سيرة الرسول ﷺ من كتاب الرحيق المختوم، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري.
		شرح كتاب الملخص الفقهي، للشيخ د. صالح الفوزان.
		بعض متون العقيدة والفقہ واللغة العربية (للنزلاء المتميزين في الأجنحة المثالية).

يتبين من الجدول السابق رقم (٢) العناية بالمنهجية العلمية التي ينبغي أن يكتسبها السجين المسلم من أحكام دينه؛ فضلاً عن طلاب العلم من السجناء، ويظهر من ذلك شمول هذه الدروس لأبرز فنون العلوم الشرعية، (العقيدة، والحديث، والفقہ، والسيرة)، مع الاهتمام بالمتون العلمية المتنوعة التي يحتاجها طالب العلم.

الجدول رقم (٣) يوضح الدورات العلمية المنفذة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

اللغة	موعد الدورة	موضوع الدورة
اللغة العربية	تتفد (٢-٣) مرات شهرياً	دورة (مع القرآن الكريم حفظاً وتلاوةً وتجويداً)
		دورة (إيمانيات) في الأجنحة المثالية
		دورة (كن داعياً) في الأجنحة المثالية

يتضح من الجدول السابق رقم (٣) التنوع.

الجدول رقم (٤) يوضح المحاضرات العامة المنفذة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

اللغة	العدد	المحاضرات
اللغة العربية	بمعدل (٣٨) محاضرة شهرياً	المحاضرات التوعوية والوعظية والإرشادية العامة، وتقام بين المغرب والعشاء في المساجد، أو بعض العنابر والأجنحة. بالإضافة إلى المحاضرات الموسمية (في شهر رمضان، أو عشر ذي الحجة، أو عاشوراء).

يتبين من الجدول السابق رقم (٤) المنهجية التي تسير عليها الإدارات المعنية في تنظيم المحاضرات المقدمة للسجناء؛ حيث يغلب عليها أنها محاضرات عامة، وفي موضوعات متنوعة، وتنفذ يومياً.

الجدول رقم (٥) يوضح الكلمات المتنوعة المنفذة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)

اللغة	العدد	الكلمات
اللغة العربية	بمعدل (٢٣٠) كلمة شهرياً	الكلمات القصيرة في موضوعات متنوعة؛ (تناسب بيئة السجناء، وأحوالهم، وأوضاعهم، وتهتم بتسليةهم، وتقوية إيمانهم بالله تعالى، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، والصبر، والتفائل، والتوبة...، ونحو ذلك)، تُلقى في المساجد، أو بعض العنابر والأجنحة، بعد الصلوات، ويلقيها الدعاة وطلبة العلم من خارج إدارة السجون، أو بعض المرشدين في الإدارة، أو حتى من النزلاء أنفسهم.

يتبين من الجدول السابق رقم (٥) الاهتمام بهذه الوسيلة من قبل القائمين على البرامج الدعوية في السجون؛ وذلك لأهمية هذه الكلمات الوعظية والتوعوية على المستمعين لها، وتنفذ بمعدل يومي يزيد عن (٧) كلمات في السجن بالأجنحة المختلفة.

الجدول رقم (٦) يوضح الجهود الدعوية والثقافية والمهارية المتوقعة في سجن الملز (خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ)، وطريقة تنفيذها

الإيضاح	طريقة التنفيذ	البرنامج
من بعد صلاة المغرب حتى الساعة (١٠) مساءً	فقرات متنوعة، (دينية، ثقافية، ترفيهية، أمسيات شعرية)	اليوم المفتوح
(١٠) مرات في الشهر، ويشارك فيه (٣٥) نزيلًا من كل جناح.	برنامج مسابقات	برنامج لقاء الأحبة
ويشارك فيه طلاب الأجنحة المثالية، وطلاب حلقات تحفيظ القرآن الكريم.	برنامج رياضي مسرحي	برنامج اليوم الشامل
إقامة مباراة بين (٤) مجموعات، كل مجموعة من (٤) مشاركين.	برنامج مسابقات	دوري المسابقات الثقافية
يستهدف الشباب وأصحاب المواهب.	نادي رمضاني متنوع	النشاط الرمضاني
(٢٥) جلسة شهرياً.	لقاءات جماعية	حوار حول المسائل الشرعية والاجتماعية

الإيضاح	طريقة التنفيذ	البرنامج
<p>(5) برامج في الشهر، وفق الآتي:</p> <ul style="list-style-type: none"> - مهارات الإلقاء والخطابة والحوار. - مهارات بناء الذات وتطوير الشخصية. - مهارات الإبداع في حل المشكلات. - مهارات فن التعامل مع الآخرين. - برنامج كيف تكون إيجابياً؟ 	<p>التدريب على مهارات الحياة وتطوير الذات، (تنفذ في الأجنحة المثالية).</p>	<p>الدورات التدريبية والتطويرية</p>
<p>- نفذت أكثر من (180) جلسة.</p>	<p>وهي جلسات يقدمها مختصون بحسب حاجة السجناء، وهؤلاء المختصون قد يكونون (من خارج السجن)، أو من مسؤولي السجن، أو من السجناء أنفسهم ممن لديهم قدرة، ويتولى القسم تسيق هذه الجلسات بين المختصين والسجناء.</p>	<p>الجلسات الاستشارية الأسرية والقانونية والتربوية</p>
<p>ينفذ على مدار العام،</p>	<p>أيام الإثنين والخميس،</p>	<p>برنامج إفطار صيام</p>

البرنامج	طريقة التنفيذ	الإيضاح
التطوع	يوم ويوم، الأيام البيض من كل شهر، يوم عرفة، عاشوراء.	وبحسب رغبة السجناء.
برنامج القصص الواقعية	يحكي فيه أحد السجناء التائبين قصته في عالم الجريمة سابقاً؛ للاعتبار والعظة.	(٦٥) سجيناً تائباً.
برنامج مكافحة التدخين	علمي ووعظي	للمساعدة على الإقلاع عن التدخين، وبيان مضارها، وقد بلغ عدد المقلعين عن التدخين (٣٩٤) مدخناً.
برنامج "تعافي"	علمي ووعظي	للإقلاع عن المخدرات والمسكرات، والتحذير منها، وبيان مضارها، وقد بلغ عدد التائبين من هذه الآفة (٢٥٢) مدمناً.
الاستفادة من النشأة المرثية في الأجنحة والممرات	عرض إعلاني منوع عن بعض الأمور الدينية أو الاجتماعية	بمعدل (٥) مرات يومياً.
البرامج الرياضية	مسابقات رياضية متنوعة	(٥٢) برنامجاً بطريقة الدوري الرياضي.

يتضح من الجدول السابق رقم (٦) مدى الجهود المتنوعة من الأنشطة الدعوية والثقافية والمهارية والتوعوية التي تنفذ في السجن، وطريقة تنفيذها، والمستهدفون منها، ومدى اهتمام إدارة السجن لإصلاح وإعداد السجناء للحياة السليمة.

مجلة
الدراسات
الدعوية

الجدول رقم (٧) يوضح جهود وحدة حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في سجن الملز، وطريقة أدائها لعملها

البرنامج	النوع	المستفيدون	العدد
(١) وحدة القرآن الكريم، وتتكون من: أحلقات تحفيظ القرآن الكريم.	حلقات تابعة لوزارة التربية والتعليم (معلمون يقومون بذلك في الفترة المسائية)	يستفاد منها في مكرفة خادم الحرمين الشريفين في العفو عن السجناء الحافظين للقرآن الكريم	استفاد منها خلال ستة أشهر من غرة رمضان ١٤٣٠هـ (٣٧٠) سعودياً، و(١٧٧) غير سعودي.
ب. لجان وفرق العمل الخاصة باختبارات حفظ القرآن الكريم.	حلقات قسم الإرشاد والتوجيه	تخصص للنزلاء الحافظين لكتاب الله	تستهدف نزلاء الأجنحة المثالية
	حلقات التلقين	للمبتدئين وكبار السن وغير الناطقين بالعربية	تستهدف جميع النزلاء
	الحلقات المكثفة (برنامج مضمون)	لحفظ القرآن كاملاً وفق برنامج معين	تستهدف نزلاء الأجنحة المثالية
(٢) وحدة السنة	حفظ الأربعين النووية والأذكار والأدعية		تستهدف جميع النزلاء

يتضح من الجدول السابق رقم (٧) طريقة عمل وحدة حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتنوع البرامج التي تنفذها هذه الوحدة، والمستهدفون منها.

الجدول رقم (٨) يوضح جهود وحدة المساجد والمصليات في سجن الملز، وطريقة أدائها لعملها:

العدد	المهام والأنشطة	القسم
في سجن الملز (٢٤) مصلياً ومسجد واحد.	- إيجاد أماكن للمساجد والمصليات داخل الأجنحة. - تأمين متطلبات المساجد (فرش، مصاحف، أجهزة الصوت، كتب، حاملات مصاحف..)	المساجد والمصليات
في سجن الملز (٢٥) إماماً، و(٢٥) مؤذنًا.	- اختيار الأئمة والمؤذنين سواء من النزلاء، أو من المرشدين في الإدارة. - إقامة البرامج العلمية التأهيلية للأئمة والمؤذنين. - عقد لقاءات علمية بينهم وبين الدعاة وطلبة العلم. - التنسيق مع الجهات المختصة لتوفير المدد الكافي من الأئمة في شهر رمضان.	الأئمة والمؤذنون
يتولى الخطابة: (١٨) خطيباً من النزلاء، و(٧) خطباء من الموظفين أو المتعاونين (في الغالب).	- التنسيق مع الجهات المختصة وطلبة العلم والدعاة للقيام بخطبة الجمعة في أحد المصليات والمساجد التابعة للسجن. - ترشيح الخطباء من النزلاء وتدريبهم وتطوير مهاراتهم. - اختيار الخطب والمواضع التي تناسب السجناء والعاملين في السجون.	الخطباء

يعرض الجدول السابق رقم (٨) طريقة عمل وحدة المساجد والمصليات، والمهام التي تختص بها، والأنشطة المتنوعة التي تنفذها.

الجدول رقم (٩) يوضح جهود وحدة المكتبات والمعارض في سجن
الملز، وطريقة أدائها لعملها

الأقسام	المهام والأنشطة
المكتبات	<ul style="list-style-type: none">- تطوير المكتبات السمعية والمرئية والمقروءة.- تفعيل نشاط الاستعارة وتنظيمها وفق جدول معين.- تنظيم المسابقات الثقافية بهدف تفعيل القراءة.- يوجد بث متاح في كل العنابر للتلفزيون السعودي بجميع قنواته.
المعارض	<ul style="list-style-type: none">- تنظيم المعارض الداخلية.- المشاركة في المعارض الخارجية على مستوى منطقة الرياض، مثل: مهرجان الجنادرية، وبعض معارض المدارس التابعة لوزارة التربية والتعليم.

يتبين من الجدول السابق رقم (٩) طريقة عمل وحدة المكتبات
والمعارض، والمهام المناطة بها، والمستهدفون منها.

الجدول رقم (١٠) يوضح البرامج الدعوية المتنوعة المنفذة في سجن الملز لغير الناطقين بالعربية (اللغات الأجنبية) خلال ستة أشهر من مطلع شهر رمضان ١٤٣٠هـ.

نوع البرنامج	الطريقة	العدد
محاضرات دعوية عامة، للمسلمين، وغيرهم	تلقى في المساجد، أو بعض العنابر والأجنحة	(٣٤) محاضرة شهرياً باللغات الآتية: (تجالوج "قلميني"، أوردو، إندونيسية، بنغالي، تاميلي)
كلمات توجيهية	بعد الصلوات	بمعدل (٣٠) كلمة شهرياً.
حفل تكريم المسلمين الجدد	يقام بصفة دورية	وقد أسلم خلال ستة أشهر (٣٦) سجيناً.
الجلسات الاستشارية والفتاوى	لقاء مفتوح للجاليات المسلمة	(٥) جلسات شهرياً.
لقاء الأحبة (بالإنجليزية)	برنامج مسابقات	يستهدف الجاليات الذين يجيدون اللغة الإنجليزية.

يتضح من الجدول السابق رقم (١٠) نصيب السجناء غير الناطقين باللغة العربية، من المسلمين وغيرهم؛ حيث تقدم لهم برامج دعوية متنوعة، من المحاضرات والكلمات والمسابقات واللقاءات المتنوعة؛ ويبين فيها للمسلمين منهم أحكام الدين، ويدعى غير المسلمين إلى الإسلام، وتبين لهم محاسنه وفضائله، ويحتفى بالداخلين منهم إلى الإسلام بصفة دورية.

وبهذه الجداول السابقة وبياناتها تتضح أبرز معالم البرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام خلال ستة أشهر، وهذه البرامج والأنشطة تعكس - بحمد الله - تعدداً وتنوعاً لهذه البرامج؛ بما يعين - بعد توفيق الله - في قبول السجناء لهذه البرامج وتفاعلهم معها؛ نسأل الله أن ينفع بها، وأن يجزي الجميع على ذلك خير الجزاء.

مجلة
الدراسات
الدعوية

المبحث الرابع : ركائز العمل الدعوي في السجون في المملكة العربية السعودية :

كشف المبحث السابق جوانب مضيئة عن العمل الدعوي الذي ينفذ في سجن الملز العام، والذي يعد أنموذجاً حسناً لبقية السجون في المملكة العربية السعودية، واتضح من ذلك تنوع الأعمال والأنشطة المقدّمة، وتبيّن حجمها، والاهتمام الذي تحظى به من قبل القائمين على إدارة السجون في المملكة.

إنّ هذا العمل الدعوي المتميز لا يمكن أن يقدم بهذه الصورة الشاملة لولا أنه - بعد توفيق الله تعالى - يركز على أسس متينة من القواعد والركائز التي يستند عليها، ومن أبرز هذه الركائز والقواعد الآتي:

استناد نظام السجن والتوقيف على المصدرين الكريمين؛ كتاب الله الكريم، والسنة النبوية المطهرة؛ وما قام عمل أو نظام عليهما إلا كان النجاح والفلاح حليفه؛ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)، ويقول الرسول الكريم ﷺ: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ..)^(٢)، وقد تبين في المبحث الثاني من هذه الدراسة أن أغلب مواد هذا النظام ولوائحه التنفيذية تؤكد العناية بأحكام الشريعة

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

الإسلامية، والحرص على اهتداء السجناء بتعاليمها، وبذل الوسع والطاقة في حثهم على ذلك.

١- التزام تطبيقات الأعمال الدعوية المنفذة بمذهب أهل السنة والجماعة ووفق منهج السلف الصالح من رعييل الأمة - رحمهم الله .؛ وهذا يظهر من الاعتناء بالوسائل الدعوية القائمة على ذلك؛ حيث تُدرس كتب علماء السلف في العقيدة والحديث والفقهِ، ويُهدى بهديهم في سائر الأنشطة المختلفة.

٢- النص على القيام بهذه البرامج وتطبيقها في واقع العمل بالسجون عملاً بالمادة السابعة عشرة من نظام السجن والتوقيف الذي جرى بيانه في المبحث الثاني.

٣- المكرمة السامية من قبل ولاة الأمر في هذه البلاد المباركة - وفقهم الله - والتي تقرر فيها إعفاء السجن الذي يتمكن من حفظ كتاب الله الكريم (عن ظهر قلب) أثناء فترة سجنه من نصف محكوميته؛ وقد أثمر ذلك في إقبال عدد كبير من السجناء على حفظ القرآن الكريم، والتفاعل الإيجابي مع حلقات التحفيظ في السجون؛ مما أسهم في تقويم سلوكهم، وتأهيلهم للعودة إلى المجتمع أفراداً صالحين. بإذن الله..

٤- ظهر من العرض السابق حسن أداء إدارة الإرشاد والتوجيه في المديرية العامة للسجون في المملكة لأعمالها ومهامها، وهذه الإدارة هي الجهة المسؤولة عن الأعمال الدعوية في السجون وتنظيمها والإشراف عليها؛ والمطلع على حجم الأعمال التي تقوم به هذه الإدارة يتضح له حجم الجهد المبذول من قبل القائمين على هذه الإدارة والعاملين فيها، بالإضافة إلى حسن تواصلهم مع المؤسسات الرسمية والخاصة، والداعمة لهذه البرامج؛ سعياً من القائمين على هذه الإدارة في أداء الأمانة الملقاة على عاتقهم، ورغبة في إظهار هذه

مجلة
الدراسات
الدعوية

الأعمال وفق أفضل صورة ممكنة؛ خدمة للدين، ونشراً لأحكامه وتعاليمه بين السجناء، واستثماراً لأوقاتهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

٥- أن البرامج الدعوية تنفذ وفق خطط علمية منظمة ومعتمدة من قبل المسؤولين في المديرية العامة للسجون، بعيداً عن الارتجال والعشوائية؛ وهذه الخطط منها الفصلي (كل ثلاثة أشهر)، ومنها ثلث السنوي (كل أربعة أشهر)، وتغطي هذه الخطط مواسم معينة: (شهر رمضان، عشر ذي الحجة، عاشوراء)، وهناك متابعة من الجهات المختصة في المديرية العامة للسجون لإدارة كل سجن حول تنفيذ هذه الخطط، ومتابعة ذلك، وتقويمها، ومعالجة الملحوظات المسجلة عليها.

٦- التعاون مع الجهات ذات العلاقة في تنفيذ هذه البرامج؛ وقد تبين معنا في المبحث الثالث أن المديرية العامة للسجون تتعاون في ذلك مع عدة جهات رسمية:

- تتعاون وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وفروعها في المملكة في تسيق البرامج الدعوية والتصريح بها، وتزويدها بالدعاة المتعاونين، وتتعاون كذلك مع الجهات الخيرية التابعة للوزارة، مثل: المكاتب التعاونية للدعوة، وتوعية الجاليات، والجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في مناطق المملكة.

- تتعاون كذلك مع وزارة التربية والتعليم في إدارة المدارس في السجون، والإشراف على بعض المناشط الدعوية والتعليمية المتنوعة.

- تتعاون أيضاً مع وزارة الثقافة والإعلام في الإشراف على تنفيذ بعض البرامج الثقافية، وتزويد مكاتب السجون بالكتب المتنوعة.

- تتعاون أيضاً مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومعاهدها العلمية المنتشرة في المملكة للإفادة من معلمي المعاهد؛ لإقامة البرامج الدعوية المتنوعة في سجون المناطق والمحافظات. وهذا التنوع في التعاون يثري البرامج الدعوية المقدمة للسجناء، ويعزز من تأثيرها - بإذن الله -؛ لكونها أقيمت من قبل متخصصين فيها.

٧- حسن اختيار موضوعات هذه البرامج الدعوية ومضمونها؛ حيث إنها تناسب السجناء وأوضاعهم، كما تتميز بشموليتها وتنوعها؛ ففيها مثلاً: الدروس الشهرية، والأسبوعية، واليومية، والمتون العلمية الطويلة، والمحاضرات العامة، وحلقات التلقين، والبرامج الثقافية، والدورات مهارية والرياضية، والدروس المخصصة للجاليات بلغات متنوعة، كما أنها تراعي غير المسلمين، ونحو ذلك.

٨- تنوع القائمين بالبرامج الدعوية؛ فتارة يتولاها المرشدون والوعاظ التابعون لإدارة سجن الملز، وتارة يقوم بها بعض الدعاة وطلبة العلم المتعاونون والمحاسبون مع إدارة السجن، ومرات ينفذها بعض النزلاء المتميزين؛ وهذا التنوع والتغيير يساهم في حسن تلقي النزلاء لهذه البرامج، ويبعث فيهم الحماسة، ويطرد عنهم السامة والملل.

٩- يظهر - كذلك - من العرض السابق للبرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام مراعاة أحوال المدعويين (السجناء) وقدراتهم وإمكاناتهم، فهي تناسب أصحاب العقوبات الطويلة، وتناسب كذلك مستوياتهم العلمية، واهتماماتهم المختلفة، ومراحلهم العمرية؛ فنجد من بين هذه البرامج مثلاً: الدروس العلمية المتخصصة، ونجد من بينها كذلك: حلقات تلقين القرآن الكريم، فهي تناسب عامة السجناء، وتدفع السامة عنهم، وتشغل أوقاتهم بما ينفعهم.

مجلة
الدراسات
الدعوية

١٠- تنوع الوسائل والأساليب الدعوية المنفذة في هذه البرامج؛ حيث نجد أن فيها اهتماماً بالوسائل الدعوية المباشرة، كالدروس والمحاضرات والخطابة والكلمات التوجيهية، وعناية أيضاً بالوسائل الدعوية غير المباشرة، كالكتب والأشرطة والمسابقات الثقافية، واهتماماً كذلك بوسائل التقنية، كالعروض في شاشات الأجنحة، ونحوها، بالإضافة إلى العناية بالأساليب الدعوية المنفذة؛ فمنها الوعظية، ومنها الذي يعتمد على الترهيب من آثار المعاصي والمخدرات والتدخين، ومنها الذي يقوم على الترغيب والتأليف بالحوافز المادية والمعنوية والجوائز المتنوعة، ونحو ذلك.

١١- تواصل هذه البرامج واستمراريتها؛ فهي تنفذ على مدار العام، وتقام يومياً، بل قد يقام في اليوم الواحد عدة مناسبات، وربما في وقت واحد ينفذ أكثر من منشط، ولكن في أماكن متعددة (مصليات، أجنحة).

هذه أبرز الركائز والقواعد التي ينطلق منها العمل الدعوي في سجون المملكة، كما تبين ذلك تطبيقياً من خلال الاستعراض التفصيلي للبرامج الدعوية المنفذة في سجن الملز العام خلال ستة أشهر من غرة شهر رمضان ١٤٣٠هـ.

وهذه الأسس المتينة تكفل - بعد توفيق الله تعالى - النجاح لهذا العمل، وتسهم في التأثير الإيجابي في السجناء؛ وبذلك تتحقق إحدى المقاصد الكبرى من هذه العقوبة التي أنزلت عليهم.

- الجانب الميداني:

التمهيد: إجراءات الدراسة الميدانية.

تستهدف الدراسة من خلال الجانب الميداني وصف الظاهرة المدروسة: (تقويم البرامج الدعوية المقدمة في سجن الملز العام)، وفقاً لآراء من شملتهم الدراسة من السجناء في سجن الملز العام، وتحديدًا من قبل نزلاء الأجنحة المثالية في السجن.

▪ أداة جمع معلومات الدراسة:

جمع الباحث معلوماته المتعلقة بالجانب الميداني في هذه الدراسة عن طريق أداة الاستبانة^(١)؛ إذ تعد الاستبانة أداة ملائمة للحصول على آراء أفراد العينة حول الجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام وتقويمهم لها، ومعرفة المزيد من الحقائق المتعلقة بذلك، وجاءت هذه الاستبانة وفق الأسئلة ذات الإجابة المغلقة؛ وهي التي تعتمد غالباً على الاختيار الخماسي المتدرج «مقياس ليكرت likert»^(٢)، ليختار من شملته الدراسة الإجابة المناسبة، كما تُرك في آخرها عدة أسطر مفتوحة؛ ليعبر من خلالها أفراد عينة الدراسة عن آرائهم، ومقترحاتهم دون التقيد بصيغة محددة؛ ليستفيد الباحث من آراء الجميع. وقد اتبع الباحث في إعداد هذه الاستبانة الخطوات الآتية:

▪ تم تحديد هدف الاستبانة في ضوء الغرض من الجانب الميداني في هذه الدراسة، وهو: (تقويم البرامج الدعوية المقدمة في سجن الملز وفق آراء أفراد العينة؛ لأجل معرفة آرائهم حول هذه الجهود؛ بغرض مواصلة الجوانب الإيجابية فيها، ومعالجة أوجه القصور وتحسينها إلى الأفضل بإذن الله).

(١) انظر: أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، د. فوزي غرابية وآخرون، ص ٥٣،

البحث العلمي، د. عبيدات وآخرون، ص ١٢١، البحوث الإعلامية، د. الحيزان، ص ٨٤.

(٢) انظر: للدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. العساف، ص ٣٥٨.

▪ حدد الباحث معلومات الاستبانة (وحدات قياس الأداة) في ضوء ذلك، بناء على:

1. اجتهاده الشخصي، ولقاءاته وزياراته للسجن واللقاء ببعض المسؤولين في السجن، وكذلك بعض السجناء في الأجنحة المثالية.
2. رأي أغلب المحكمين أن هذه القضايا هي الأولى في تضمينها في الاستبانة^(١).

▪ اجتهد الباحث عند إعداده لهذه الأداة بمراعاة الأمور الآتية^(٢) :
أن تكون الاستبانة قصيرة قدر الإمكان؛ ضماناً لمشاركة من شملتهم الدراسة، وضمناً لمصداقيتهم، وقد أرفق الباحث مع الاستبانة خطاباً موجهاً لمن شملته الدراسة؛ يوضح فيه هدف الدراسة، وغايتها، وحثهم على التفاعل معها، وبعد التصميم المبدئي لهذه الاستبانة؛ قام الباحث بتحكيما للتحقق من ملاءمتها لموضوع الدراسة^(٣).

(١) عُرضت الاستبانة على مجموعة من المحكمين الأكاديميين، وقد أفاد الباحث من الملاحظات العلمية القيمة التي دونوها على الاستبانة المبدئية، فجزاهم الله خيراً.

(٢) أفاد الباحث في هذه الأمور من عدد من المراجع العلمية، مثل: أساليب البحث العلمي في العلوم الإدارية، د.العلاونة، ص ١٦٥، البحث العلمي، د.ذوقان عبيدات وآخرون، ص ١٢١، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د.العساف، ص ٣٤٣.

(٣) يقصد بذلك اختبار مقياس صدق الاستبانة في قياس ما وضعت لأجله، وقد أكدت بعض المراجع العلمية أنه يمكن قياس الصدق عن طريق عرضها على عدد من المختصين والخبراء، ويسمى: (صدق المحكمين)، انظر: أساليب البحث العلمي، د. غرايبة وآخرون، ص ٦٠، البحث العلمي، د.عبيدات وآخرون، ص ١٩٦.

- عينة الدراسة وحجمها:

نظراً لصعوبة إخضاع مجتمع الدراسة - نزلاء سجن الملز - لهذه الدراسة؛ فقد تمّ تطبيق هذه الدراسة من خلال (الاستبانة) على عينة محددة، تسمى العينة العمدية (الفرضية) (Purposive sample)^(١) على نزلاء الأجنحة المثالية الثلاثة^(٢) في سجن الملز، ويتضح حجم أفراد العينة وفق الجدول الآتي رقم (١١):

البيانات	الأعداد
عدد الأجنحة (العنابر) في سجن الملز العام	٢٤
عدد السجناء في سجن الملز العام	٦٠٠٠ سجين تقريباً
عدد الأجنحة (العنابر) المثالية في سجن الملز	٣
عدد نزلاء الأجنحة (العنابر) المثالية في سجن الملز	يتفاوت بين (٤٥٠ - ٦٠٠) سجين تقريباً
عدد الذين شملتهم الدراسة الميدانية من نزلاء الأجنحة (العنابر) المثالية في سجن الملز العام	(٨٢) سجيناً
زمن الدراسة الميدانية	شهر محرم ١٤٣٢هـ

(١) العينة العمدية أو الفرضية، هي: العينة التي يختارها الباحث بنفسه؛ لكونه يرى أنها تمثل مجتمع دراسته، وهي إحدى العينات غير العشوائية (غير الاحتمالية)، انظر: البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عامر قنديلجي، ص ٦٢، البحوث الإعلامية، د. الحيزان، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) المقصود بالأجنحة (العنابر) المثالية: هي الأجنحة التي وضعتها المديرية العامة للسجون داخل السجون رغبة في تحفيز السجناء وزيادة تفاعلهم مع البرامج المتنوعة المقدمة لهم، وتتوافق في هذه الأجنحة بعض المزايا التي تميزها عن بقية الأجنحة (العنابر)، ومن ذلك: (أن نزلاء الأجنحة المثالية أقل عدداً من نزلاء الأجنحة الأخرى؛ حيث يتم انتقاؤهم من قبل قسم الإرشاد والتوجيه، وتكثف في هذه الأجنحة البرامج الدعوية والعلمية والثقافية، والنزلاء - في الغالب - من فئة عمرية متقاربة، ويمنح فيها التدخين، وزيارة عائلة السجناء في هذه الأجنحة تكون أطول، كما يُمكن السجناء في هذه الأجنحة المثالية من الخلوة الشرعية بزوجه لأوقات أطول من غيرهم، كما يمنح السجناء استقلالية في توفير بعض الاحتياجات المتنوعة له، ونحو ذلك من المزايا.

ورأى الباحث أن هذا العدد من الاستبانات (٨٢) يعد جيداً، ويمكن أن يعطي مؤشرات مهمة حول موضوع الدراسة، ويسمح بتحليل نتائج أداة الدراسة وإكمال متطلباتها بالدرجة المطلوبة بعون الله تعالى^(١).

تفريغ البيانات وتبويبها:

بعد الانتهاء من جمع الاستبانة، قام الباحث بتفريغ البيانات من خلال الإفادة من برنامج التحليل الإحصائي الذي يعرف بـ (SPSS)، وتم استخراج الطرائق الإحصائية الرقمية، وذلك وفق الأساليب الإحصائية الآتية:

- التوزيع التكراري: وهي جداول تلخص البيانات الأولية لإجابات أفراد العينة التي وزعت على فئات بحسب إجاباتهم، ويحدد وفقها عدد الأفراد الذين ينتمون إلى كل فئة، ويسمى هذا العدد تكرار الفئة.

- وصف المتغيرات الاسمية (Norminal Variables): لوصف توزيع أفراد العينة وفق بياناتهم الشخصية مع الإجابات التي اختاروها.

- مقاييس النزعة المركزية؛ وذلك ببيان الوسط الحسابي (Mean) لإجابات أفراد العينة، والذي يراد به: مجموع القيم مقسوماً على عددها.

ورأى الباحث أن هذه الأساليب الإحصائية تفي بالغرض المقصود من هذه الدراسة والإفادة من نتائجها بدرجة جيدة^(٢).

(١) يعد تحديد حجم العينة من الأمور التي يكثر الجدل حولها بين المؤلفين في المناهج العلمية، وقد اجتهدت بعض المراجع بتحديددها بنسب معينة وفق مجموع أفراد المجتمع الذي سيطبق عليه الدراسة؛ وهذا التحديد لا يستند إلى منطق علمي دقيق؛ نتيجة لاختلافه بين دراسة وأخرى، كما أنه لا توجد قاعدة محددة لتحديد حجم العينة، انظر: دليل اختيار العينة، دالضحيان، ص ٢٧ - ٢٩.

(٢) انظر: أساسيات البحث العلمي، د.عودة ودملكاوي، ص ٢١٢، أساليب البحث العلمي، د.العلاونة، ص ٢٠٠، المدخل إلى البحث، د.العساف، ص ١١٩، النظام الإحصائي SPSS فهم وتحليل البيانات الإحصائية، د.الزعيبي والطلافة، ص ١٢٢.

المبحث الأول: السمات العامة لأفراد عينة الدراسة :

استهدفت الدراسة التعرف على أبرز السمات العامة (الديمغرافية) لأفراد عينة الدراسة، وذلك يتضح وفق الجداول الآتية:

جدول رقم (١٢) يبين سمات أفراد العينة وفقاً لأعمارهم

النسبة	التكرار	الفئات العمرية
%٤٨,٧٨	٤٠	٢٥ سنة فأقل
%٣٧,٨٠	٣١	٢٦ - ٤٠ سنة.
%١٣,٤١	١١	٤١ سنة فأكثر
%١٠٠	٨٢	المجموع

فيتين من أرقام الجدول السابق أن أغلب المشاركين في الإجابة على هذه الدراسة هم من فئة الشباب الذين تقل أعمارهم عن (٢٥ سنة فأقل) وقد بلغت نسبتهم %٤٨,٧٨، وجاء بعدهم الشباب الكبار الذين تتراوح أعمارهم بين (٢٦ - ٤٠ سنة)، وبلغت نسبتهم %٣٧,٨، فيما بلغت نسبة الذين تجاوزت أعمارهم (٤١ سنة) %١٣,٤١ من العينة.

جدول رقم (١٣) يبين سمات أفراد العينة وفقاً لمؤهلاتهم

النسبة	التكرار	المستوى التعليمي
%٦٨,٢٩	٥٦	ثانوي فأقل
%٢٨,٠٥	٢٣	جامعي
%٣,٦٦	٣	فوق الجامعي
%١٠٠	٨٢	المجموع

تشير أرقام هذا الجدول إلى أن غالبية أفراد العينة من الذين يحملون المؤهل الثانوي فأقل بنسبة بلغت %٦٨,٢٩، فيما بلغت نسبة حملة المؤهل الجامعي (البكالوريوس) %٢٨,٠٥، وكان من بين أفراد العينة %٣,٦٦ من ذوي الشهادات العليا (فوق الجامعي).

جدول رقم (١٤) يبين سمات أفراد العينة وفقاً لمدة محكومياتهم أو بقائهم في السجن

النسبة	التكرار	سنوات البقاء في السجن
%٧٥,٦١	٦٢	١ سنة فأقل
%٢٣,١٧	١٩	٢ - ٤ سنوات
%١,٢٢	١	٥ سنوات فأكثر
%١٠٠	٨٢	المجموع

يظهر من نتائج هذا الجدول أن أكثر من ٧٥,٦١% من المجيبين على الاستبانة هم ممن أمضوا (سنة فأقل) في السجن، وكان منهم - أيضاً - ٢٣,١٧% ممن تتراوح مدة بقائهم في السجن بين (٢ - ٤ سنوات)، ومنهم ١,٢٢% تزيد مدة بقائهم عن (٥ سنوات). ويشير الباحث إلى أن من السمات العامة التي اختلف بها أفراد العينة المجيبين على هذه الاستبانة أن جميعهم من السعوديين.

خلاصة البحث:

تبين في هذا البحث السمات العامة لأفراد العامة؛ وكان من

أبرزها:

- ظهر في هذا المطلب أن أغلب المشاركين في الإجابة على هذه الدراسة هم من فئة الشباب الذين تقل أعمارهم عن (٢٥ سنة فأقل) وقد بلغت نسبتهم ٤٨,٧٨%.
- اتضح في هذا المطلب - أيضاً - أن غالبية أفراد العينة من الذين يحملون المؤهل الثانوي فأقل بنسبة بلغت ٦٨,٢٩%.
- تبين أن أكثر من ٧٥,٦١% من المجيبين على الاستبانة هم ممن أمضوا (سنة فأقل) في السجن.

مجلة - أن جميع أفراد العينة من السعوديين.

الدراسات
الدعوية

المبحث الثاني: آراء أفراد عينة الدراسة حول الجهود الدعوية

المنفذة في سجن الملز العام:

رغبة في معرفة آراء أفراد عينة الدراسة في الجهود الدعوية المتنوعة المنفذة في سجن الملز العام؛ فقد تم سؤالهم عن ذلك بعدة أسئلة في أداة الدراسة (الاستبانة)، وجاءت إجاباتهم عنها وفق الجداول الآتية:

الجدول رقم (١٥) يبين إجابات أفراد العينة حول عبارة: (أهتم بحضور البرامج الدعوية في السجن وأتفاعل معها كثيراً)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٤٦	٣,٨٠	%٤٥,١	٣٧	موافق جداً
		%٢٥,٦	٢١	موافق
		%٧,٣	٦	موافق إلى حد ما
		%٧,٣	٦	غير موافق
		%١٤,٦	١٢	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠	٨٢	المجموع

تكشف نتائج هذا الجدول موافقة أغلبية أفراد العينة على اهتمامهم بحضور البرامج الدعوية في السجن وتفاعلهم معها؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٧٧% - على اختلاف بينهم في نسبة هذه

الموافقة -، وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٣,٨٠ من ٥)،
مجلة الدراسات الدعوية وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٤٦) - كلما

كان التشتت كبيراً حول الوسط كلما كان الانحراف المعياري كبيراً، والعكس صحيح^(١)، وفي المقابل ذكر ٢١,٩% من أفراد العينة أنهم لا يهتمون كثيراً بذلك^(٢).

(١) انظر: أساسيات البحث العلمي، د. عودة، ص ٢٦٤، النظام الإحصائي، د. الزعبي، ص ١٨٤.
(٢) بعض البرامج الدعوية إلزامية على السجناء وليست اختيارية؛ حيث تلزم إدارة السجن السجناء بحضور صلاة الجمعة والجماعة، وكذلك حضور بعض المحاضرات والكلمات الوعظية؛ أما بقية البرامج الدعوية فليست إلزامية، وإنما يترك ذلك للراغبين منهم؛ ذكر ذلك للباحث الأستاذ إبراهيم الزهراني (من قسم الإرشاد والتوجيه في سجن الملز) يوم السبت ١٤٣١/٥/٣هـ.

وتعرض نتائج الجدول رقم (١٦) آراء أفراد العينة حول عبارة:
(أسهمت هذه البرامج الدعوية في زيادة تعلمي لأحكام دين الإسلام وآدابه)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,١٦	٤,٢٠	%٥٩,٨	٤٩	موافق جداً
		%١٥,٩	١٣	موافق
		%١٧,١	١٤	موافق إلى حد ما
		%١,٢	١	غير موافق
		%٦,١	٥	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠	٨٢	المجموع

يتضح من نتائج الجدول السابق أن أكثر من ٩٢% من أفراد العينة يرون أن هذه البرامج الدعوية أسهمت في زيادة تعلمهم لأحكام دين الإسلام وآدابه - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة -، وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٤,٢٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,١٦)، فيما رأى ٧% تقريباً أن تلك البرامج لم تسهم في زيادة تعلمهم للدين وأحكامه.

ويبين الجدول رقم (١٧) آراء أفراد العينة حول عبارة: (كان لهذه البرامج الدعوية دوراً في عزمي على بناء حياة جديدة بعد خروجي من السجن - بإذن الله -).

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٣٥	٤,٣٠	%٧٤,٤	٦١	موافق جداً
		%٨,٥	٧	موافق
		%٢,٤	٢	موافق إلى حد ما
		%٣,٧	٣	غير موافق
		%١١,٠	٩	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠		المجموع

يتبين من أرقام هذا الجدول أن غالبية أفراد العينة يؤكدون أهمية دور البرامج الدعوية في عزمهم على بناء حياة جديدة بعد خروجهم من السجن - بإذن الله -؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٨٥% منهم على ذلك - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة -، وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٤,٣٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٣٥)، وفي المقابل رأى ١٤% تقريباً أنه لم يكن لهذه البرامج أثراً عليهم في هذا الشأن.

ولعل هذه الإجابة من قبل أفراد العينة مما يؤكد أهمية هذه البرامج وأثرها المهم على السجناء ليس أثناء تمضيتهم فترة العقوبة فحسب؛ بل وحتى بعد خروجهم من السجن، وفتح أبواب الأمل والتفاؤل لهم؛ لبناء حياة جديدة بعيدة عن الأخطاء والسلوكيات

مجلة
الدراسات
الدعوية

وتوضح نتائج الجدول رقم (١٨) إجابات أفراد العينة حول عبارة:
(أسهمت هذه البرامج الدعوية في ملء فراغي بالمفيد داخل السجن)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
٠,٥٣	٤,٧٠	%٨١,٧	٦٧	موافق جداً
		%١٤,٦	١٢	موافق
		%٣,٧	٣	موافق إلى حد ما
		-	-	غير موافق
		-	-	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠	٨٢	المجموع

تؤكد نتائج هذا الجدول نتائج الجداول السابقة في هذا المطلب؛ حيث حظيت هذه العبارة أيضاً بإجماع أفراد العينة، ونالت موافقتهم بنسبة ١٠٠٪. على اختلاف بينهم في نسبة هذه الموافقة.، ومما يقوي هذه النتيجة أن درجة المتوسط الحسابي بلغت (٤,٧٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (٠,٥٣)، وهذه النتيجة تعكس أيضاً أهمية هذه البرامج الدعوية وفق رأي أفراد العينة من السجناء؛ لكونها تسهم في ملء فراغ أوقاتهم بالمفيد داخل السجن.

وتعرض أرقام الجدول الآتي رقم (١٩) آراء أفراد العينة حول عبارة:
(استفدت من الدورات العلمية المقامة داخل السجن)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٤١	٤	%٥٣,٧	٤٤	موافق جداً
		%٢٠,٧	١٧	موافق
		%١١,٠	٩	موافق إلى حد ما
		-	-	غير موافق
		%١٤,٦	١٢	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠	٨٢	المجموع

تبين نتائج هذا الجدول موافقة عالية من أفراد العينة؛ حيث قال أكثر من ٨٥% من أفراد العينة بموافقتهم على استفادتهم من الدورات العلمية المقامة داخل السجن - على اختلاف بينهم في درجة الموافقة - وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٤ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٤١)، وفي المقابل ذكر ١٤,٦% من أفراد العينة عدم موافقتهم على هذه العبارة^(١).

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) سبق بيان جوانب من الدورات المقامة في سجن المزر، انظر: الجدول رقم (٣).

وتبين نتائج الجدول رقم (٢٠) إجابات أفراد العينة حول عبارة:
(أحرص كثيراً على الانتظام في الدروس العلمية المتخصصة في
السجن)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٢٤	٣,٧٠	٣٠,٥%	٢٥	موافق جداً
		٣١,٧%	٢٦	موافق
		١٨,٣%	١٥	موافق إلى حد ما
		١٢,٢%	١٠	غير موافق
		٧,٣%	٦	غير موافق مطلقاً
-	-	١٠٠%	٨٢	المجموع

يظهر من أرقام هذا الجدول حرص أفراد العينة على الانتظام في الدروس العلمية المتخصصة في السجن؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٧٧٪. على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة.، وبلغ المتوسط الحسابي (٣,٧٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٢٤)، وفي المقابل ذكر ١٩,٥٪ من أفراد العينة أنهم لا يلتزمون بالانتظام بحضور هذه الدروس المتخصصة^(١).

ويتضح من أرقام الجدول الآتي رقم (٢١) آراء أفراد العينة حول عبارة: (أرى أن أغلب السجناء يحرصون على حضور المحاضرات العامة)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٥٧	٣,٣٠	%٣٥,٤	٢٩	موافق جداً
		%٢٤,٤	٢٠	موافق
		%٩,٨	٨	موافق إلى حد ما
		%٩,٨	٨	غير موافق
		%٢٠,٧	١٧	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠	٨٢	المجموع

توضح نتائج هذا الجدول أن أفراد العينة يرون أن أغلب السجناء يحرصون على حضور المحاضرات العامة؛ حيث أجاب الموافقة على ذلك %٧٠ تقريباً. على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة،. وبلغ المتوسط الحسابي (٣,٣٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٥٧)، وفي المقابل رأى %٢٠ من العينة أن السجناء لا يحرصون على ذلك.

وتبرز أرقام الجدول رقم (٢٢) آراء أفراد العينة حول عبارة: (يتفاعل السجناء كثيراً عند حضورهم للبرامج الثقافية المنوعة)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,١٦	٤,١٠	%٥٠,٠	٤١	موافق جداً
		%٣٠,٥	٢٥	موافق
		%٩,٨	٨	موافق إلى حد ما
		%٢,٤	٢	غير موافق
		%٧,٣	٦	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠	٨٢	المجموع

مجلة
الدراسات
الدعوية

تظهر أرقام هذا الجدول موافقة عالية من قبل أفراد العينة على تفاعل السجناء مع البرامج الثقافية المتنوعة^(٦)؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٩٠ ٪ . على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة .، وبلغت درجة المتوسط الحسابي لهذا الجدول (٤,١٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,١٦)، وفي المقابل ذكر ٩,٧ ٪ من أفراد العينة عدم موافقتهم على هذه العبارة، وهم يرون ضعف تفاعل السجناء مع هذا النوع من البرامج.

وتوضح نتائج الجدول الآتي رقم (٢٣) إجابات أفراد العينة حول عبارة: (يهتم السجناء بحفظ القرآن الكريم داخل حلقات التحفيظ في السجن)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
٠,٧٢	٤,٥٠	٪٦٨,٣	٥٦	موافق جداً
		٪٢٠,٧	١٧	موافق
		٪١١,٠	٩	موافق إلى حد ما
		-	-	غير موافق
		-	-	غير موافق مطلقاً
-	-	٪١٠٠	٨٢	المجموع

تؤكد نتائج هذا الجدول ما سبق ذكره في الجانب النظري لهذه الدراسة^(٧)؛ بأثر حفظ القرآن الكريم على السجناء واهتمامهم بذلك؛ حيث حظيت هذه العبارة بإجماع أفراد العينة، ونالت

موافقتهم بنسبة ١٠٠٪ - على اختلاف بينهم في نسبة هذه الموافقة ،،
ومما يقوي هذه النتيجة أن درجة المتوسط الحسابي بلغت
(٤,٥٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا
الجدول (٠,٧٢)، وهذه النتيجة تعكس تأكيد أفراد العينة
وإجماعهم على أهمية هذه الوسيلة الدعوية وأثرها المهم على السجناء
وعنايتهم بها.

وتبين نتائج الجدول الآتي رقم (٢٤) إجابات أفراد العينة حول عبارة:
(أرى أن الكلمات التوجيهية القصيرة بعد الصلوات مفيدة جداً)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٠٣	٤	٣٥,٤٪	٢٩	موافق جداً
		٤٠,٢٪	٣٣	موافق
		١٨,٣٪	١٥	موافق إلى حد ما
		-	-	غير موافق
		٦,١٪	٥	غير موافق مطلقاً
-	-	١٠٠٪	٨٢	المجموع

يتضح من أرقام هذا الجدول موافقة عالية جداً من أفراد العينة
بأهمية الكلمات التوجيهية القصيرة بعد الصلوات على السجناء^(١)،
وأثرها الإيجابي عليهم؛ حيث حظيت بقبول عال منهم زادت نسبتته
عن ٩٣٪ - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة ،، وبلغت درجة
المتوسط الحسابي (٤ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في
إجابات هذا الجدول (١,٠٣)، وهذه النتيجة تظهر ترحيباً كبيراً من

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) سبق بيان جوانب من الكلمات المقامة في سجن الملز، انظر: الجدول رقم (٥).

قبل السجناء - بحسب أفراد العينة - بهذه الوسيلة الدعوية؛ مما يؤكد على القائمين على هذه البرامج الدعوية أهمية العناية بها، وحسن اختيار الدعاة الملقين لها، والموضوعات المناسبة لحياة السجناء وظروفهم؛ وفي المقابل رأى ٦,١٪ من العينة أن هذه الوسيلة غير مفيدة بشكل كبير على السجناء؛ ولعل هؤلاء يرون أن هذه الكلمات القصيرة ذات نتائج قصيرة المدى.

وتوضح أرقام الجدول الآتي رقم (٢٥) آراء أفراد العينة حول عبارة: (الحوافز المادية والمعنوية تساهم في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٠٧	٤,٤٠	٦٨,٣٪	٥٦	موافق جداً
		١٧,١٪	١٤	موافق
		٨,٥٪	٧	موافق إلى حد ما
		-	-	غير موافق
		٦,١٪	٥	غير موافق مطلقاً
-	-	١٠٠٪	٨٢	المجموع

وتظهر نتائج هذا الجدول موافقة عالية جداً من أفراد العينة بأثر الحوافز المادية والمعنوية تساهم في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية؛ حيث ذكر أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة بموافقتهم على هذه العبارة - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة، وبلغت درجة المتوسط الحسابي (من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول، وفي المقابل ذكر ٦,١٪ من أفراد العينة عدم موافقتهم على هذه العبارة؛ وهم يرون أن ذلك ليس له أثر كبير في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية.

خلاصة البحث:

تناولت الدراسة في هذا البحث آراء أفراد عينة الدراسة في الجهود الدعوية المتنوعة المنفذة في سجن الملز العام، وقد تبين فيه نتائج مهمة، ومن أبرزها:

- ظهرت موافقة أغلبية أفراد العينة على اهتمامهم بحضور البرامج الدعوية في السجن وتفاعلهم معها؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٧٧٪ من العينة.
- رأى أكثر من ٩٢٪ من أفراد العينة أن هذه البرامج الدعوية أسهمت في زيادة تعلمهم لأحكام دين الإسلام وآدابه.
- أكد غالبية أفراد العينة أثر البرامج الدعوية في عزمهم على بناء حياة جديدة بعد خروجهم من السجن - بإذن الله -؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٨٥٪ منهم على ذلك.
- أجمع أفراد العينة على أهمية البرامج الدعوية في ملء فراغ أوقاتهم بالمفيد داخل السجن.
- قال أكثر من ٨٥٪ من أفراد العينة باستفادتهم من الدورات العلمية المقامة داخل السجن.
- اتضح في هذا البحث بأن أكثر من ٧٧٪ من أفراد العينة يحرصون على الانتظام في الدروس العلمية المتخصصة في السجن.
- أجاب ٧٠٪ من السجناء بحرصهم على حضور المحاضرات العامة.
- أكثر من ٩٠٪ من أفراد العينة يؤكدون تفاعل السجناء مع البرامج الثقافية المتنوعة.
- أجمع أفراد العينة على أثر حفظ القرآن الكريم على السجناء واهتمامهم بذلك.

• قال أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة بأهمية الكلمات التوجيهية القصيرة بعد الصلوات على السجناء، وأثرها الإيجابي عليهم.

• حظيت عبارة: (الحوافز المادية والمعنوية تساهم في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية) بموافقة أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة.

المبحث الثالث : تقويم أفراد عينة الدراسة للجهود الدعوية

المنفذة في سجن الملز العام :

رغبة في معرفة تقويم أفراد عينة الدراسة للجهود الدعوية المتنوعة المنفذة في سجن الملز العام؛ فقد تم سؤالهم عن ذلك بـعدة أسئلة في أداة الدراسة (الاستبانة)، وجاءت إجاباتهم عنها وفق الجدول الآتي:

الجدول رقم (٢٦) يبين آراء أفراد العينة حول عبارة: (في رأي أن البرامج الدعوية الموجودة حالياً في سجن الملز مناسبة للسجناء)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٦٧	٣,٢٠	%٣٩,٠	٣٢	موافق جداً
		%١٣,٤	١١	موافق
		%٢,٤	٢	موافق إلى حد ما
		%٢٣,٢	١٩	غير موافق
		%٢٢,٠	١٨	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠	٨٢	المجموع

يتبين من نتائج الجدول السابق أن هناك شبه تساوي بين أفراد العينة في تقويمهم لهذه البرامج الدعوية الموجودة حالياً في سجن الملز العام؛ وإن كان يظهر أن هناك اتجاهاً بالموافقة على مناسبة هذه البرامج الدعوية للسجناء، بنسبة إجمالية بلغت ٥٤,٨% . على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة .، ومما يقوي هذه النتيجة أن المتوسط الحسابي لهذا الجدول بلغ (٣,٢٠ من ٥)؛ وهي نتيجة ترتفع عن الوسط قليلاً، وبلغت نسبة الانحراف المعياري (١,٦٧)، وفي المقابل ذكر

٤٥,٢% من أفراد العينة أن هذه البرامج الدعوية المنفذة حالياً تحتاج إلى مزيد من العناية والتطوير.

تظهر أرقام الجدول الآتي رقم (٢٧) إجابات أفراد العينة حول عبارة: (البرامج الدعوية في السجن تحتاج إلى تجديد وتطوير)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
٠,٦٩	٤,٥٠	٥٧,٣%	٤٧	موافق جداً
		٣٦,٦%	٣٠	موافق
		٢,٤%	٢	موافق إلى حد ما
		٣,٧%	٣	غير موافق
		-	-	غير موافق مطلقاً
-	-	١٠٠%	٨٢	المجموع

تعزز نتائج هذا الجدول نتيجة الجدول السابق؛ حيث أجمع أفراد العينة على أهمية تجديد البرامج الدعوية في السجن وتطويرها بما يتوافق مع الضوابط الشرعية ووفق حاجة السجناء وظروفهم، ونالت موافقتهم بنسبة ١٠٠% - على اختلاف بينهم في نسبة هذه الموافقة -، ومما يقوي هذه النتيجة أن درجة المتوسط الحسابي بلغت (٤,٥٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (٠,٦٩)، وهذه النتيجة تعكس تأكيد غالبية أفراد العينة على أهمية العناية بهذه البرامج ومراجعتها دورياً؛ بغرض تطويرها، ومعالجة أوجه القصور والسلبيات التي قد تحدث فيها؛ وذلك لأهمية هذه البرامج على السجناء وأثرها الكبير عليهم أثناء تمضيتهم فترة العقوبة، أو بعد خروجهم منه.

مجلة
الدراسات
الدعوية

وتعرض نتائج الجدول رقم (٢٨) آراء أفراد العينة حول عبارة:
(يتلقى السجناء الأجانب (الجاليات) دروساً دعوية مناسبة)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	النسبة	التكرار	الآراء
١,٤٧	٣,٦٠	%٢٨,٠	٢٣	موافق جداً
		%٤٧,٦	٣٩	موافق
		%١,٢	١	موافق إلى حد ما
		%١,٢	١	غير موافق
		%٢٢,٠	١٨	غير موافق مطلقاً
-	-	%١٠٠	٨٢	المجموع

يتبين من أرقام هذا الجدول أن أغلبية أفراد العينة يرون أن السجناء الأجانب (الجاليات) يتلقون دروساً دعوية مناسبة؛ حيث أجاب بالموافقة أكثر من ٧٦٪ - على اختلاف بينهم في درجة هذه الموافقة -، والمتوسط الحسابي بلغ (٣,٦٠ من ٥)، وبلغت نسبة الانحراف المعياري في إجابات هذا الجدول (١,٤٧)، وفي المقابل ذكر ٢٣,٢٪ من أفراد العينة أن البرامج المقدمة للسجناء الأجانب تحتاج إلى زيادة وتطوير.

- خلاصة البحث:

- ❖ ظهر في هذا البحث الذي يختص بتقويم أفراد عينة الدراسة للجهود الدعوية المنفذة في سجن الملز العام؛ حيث جاءت أبرز النتائج وفق الآتي هناك شبه تساو بين أفراد العينة في تقويمهم للبرامج الدعوية المنفذة حالياً في سجن الملز العام؛ وإن كان ظهر أن الاتجاه العام يميل إلى الموافقة على مناسبة هذه البرامج الدعوية للسجناء، بنسبة إجمالية بلغت ٥٤,٨% من أفراد العينة.
- ❖ أجمع أفراد العينة على أهمية تجديد البرامج الدعوية في السجن وتطويرها بما يتوافق مع الضوابط الشرعية.
- ❖ أغلبية أفراد العينة يرون أن السجناء الأجانب (الجاليات) يتلقون دروساً دعوية مناسبة؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٧٦%^(١).

-
- (١) قدّم بعض أفراد العينة مقترحات وملحوظات عديدة في الفقرة المفتوحة في آخر أداة الدراسة "الاستبانة"، وأبرز ما ورد في ذلك الآتي:
- يقترح بعض السجناء أهمية استضافة بعض السجناء الثائبين وعرض تجاربهم في العنابر الأخرى.
 - يقترح بعض السجناء توفير بعض الأجهزة الاتصالية - بما يتوافق مع الأنظمة الأمنية - لنقل محاضرات ودروس الجوامع الكبيرة في مدينة الرياض.
 - أن بعض الدعاة الذين يأتون من خارج السجن (غير الدعاة العاملين في السجن) لا يستشعرون حاجات السجناء، ويكررون بعض الموضوعات.

الغائمة

وبعد.. فإن الباحث قد بذل وسعه في بيان متطلبات هذه الدراسة، وحاول أن ينقل صورة حقيقية و متكاملة عن واقع البرامج الدعوية في سجن الملز العام؛ الذي يعد أنموذجاً حسناً لبقية السجون في المملكة العربية السعودية، وأما أبرز ما ورد في هذه الدراسة من نتائج، فهي على النحو الآتي:

أولاً: أبرز نتائج الجانب النظري:

١. أهمية النظر إلى السجن بكونه ميداناً بارزاً من ميادين الدعوة؛ حيث تُبلَّغ فيه دعوة الإسلام بما حوته من عقيدة وشريعة وآداب، وهو مكان خصب - بإذن الله - لتهديب النفوس البشرية التي استمرت الجريمة، وتعاطت المحرمات، وارتكبت المحظورات.

٢. إن السجن قد يجد في السجن فرصة لمراجعة نفسه، وتصحيح مساره في دنياه وآخريته، وفي الوقت نفسه، فإن هذه العقوبة تكفير لذنوبه - بإذن الله - كما أفتى بذلك أهل العلم.

٣. تناولت هذه الدراسة جوانب متعددة لأوجه العناية بالسجناء في المملكة العربية السعودية، كما عرضت أبرز مواد نظام السجن والتوقيف المعمول به في المملكة العربية السعودية، الصادر بموجب قرار مجلس الوزراء المؤقر رقم (٤٤١) بتاريخ ١٣٩٨/٦/٨هـ، والمتوج بالمرسوم الملكي الكريم رقم (م/٣١) بتاريخ ١٣٩٨/٦/٢١هـ.

٤. إنَّ المطلع على أنظمة السجن والتوقيف في المملكة العربية السعودية، وواقعها في الوقت الحاضر؛ يجد أن المسؤولين عنها ينظرون إلى السجناء وكأنهم مرضى يحتاجون إلى علاج إيماني ونفسي وسلوكي، فهم يهتمون - قدر الاستطاعة - بمعالجتهم دعويًا وسلوكيًا ونفسيًا ومهاريًا، ويبدلون جهودهم للإفادة من عقوبة السجن للعمل

مجلة
الدراسات
الدعوية

لإصلاح واقع السجناء واغتنام أوقاتهم، بما يعود عليهم بالنفع.
٥. الأثر الكبير والتفاعل المتميز للمكرمة الملكية المتضمنة إعفاء السجن الذي يتمكن من حفظ كتاب الله الكريم (عن ظهر قلب) أثناء فترة سجنه من نصف محكوميته.
٦. إن العمل الدعوي في السجون ينفذ من خلال منهجية منضبطة، تعتمد على وضع الخطط المتنوعة المناسبة لأحوال السجناء وبيئاتهم.
٧. إن البرامج الدعوية في سجون المملكة تقوم على ركائز وقواعد متينة تكفل لها - بعد توفيق الله تعالى - النجاح، والتأثير الإيجابي في السجناء.

ثانياً: أبرز نتائج الجانب الميداني:

١. أن أغلب المشاركين في الإجابة على هذه الدراسة هم من فئة الشباب الذين تقل أعمارهم عن (٢٥ سنة فأقل) وقد بلغت نسبتهم ٤٨,٧٨٪.
٢. أن غالبية أفراد العينة من الذين يحملون المؤهل الثانوي فأقل بنسبة بلغت ٦٨,٢٩٪.
٣. تبين أن أكثر من ٧٥٪ من المجيبين على الاستبانة هم ممن أمضوا (سنة فأقل) في السجن.
٤. أن جميع أفراد العينة من السعوديين.
٥. ظهرت موافقة أغلبية أفراد العينة على اهتمامهم بحضور البرامج الدعوية في السجن وتفاعلهم معها؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٧٧٪ من العينة.
٦. رأى أكثر من ٩٢٪ من أفراد العينة أن هذه البرامج الدعوية أسهمت في زيادة تعلمهم لأحكام دين الإسلام وآدابه.

٧. أكد غالبية أفراد العينة أثر البرامج الدعوية في عزمهم على بناء حياة جديدة بعد خروجهم من السجن - بإذن الله -؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٨٥٪ منهم.
٨. أجمع أفراد العينة على أهمية البرامج الدعوية في ملء فراغ أوقاتهم بالمفيد داخل السجن.
٩. قال أكثر من ٨٥٪ من أفراد العينة باستفادتهم من الدورات العلمية المقامة داخل السجن.
١٠. اتضح أن أكثر من ٧٧٪ من أفراد العينة يحرصون على الانتظام في الدروس العلمية المتخصصة في السجن.
١١. أجاب ٧٠٪ من السجناء بحرصهم على حضور المحاضرات العامة.
١٢. أكثر من ٩٠٪ من أفراد العينة يؤكدون تفاعل السجناء مع البرامج الثقافية المتنوعة.
١٣. أجمع أفراد العينة على أثر حفظ القرآن الكريم على السجناء واهتمامهم بذلك.
١٤. قال أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة بأهمية الكلمات التوجيهية القصيرة بعد الصلوات على السجناء، وأثرها الإيجابي عليهم.
١٥. أكد أكثر من ٩٣٪ من أفراد العينة على أهمية الحوافز المادية والمعنوية في تشجيع السجناء على التفاعل مع البرامج الدعوية. هناك شبه تساوي بين أفراد العينة في تقويمهم للبرامج الدعوية المنفذة حالياً في سجن الملز العام؛ وإن كان ظهر أن الاتجاه العام يميل إلى الموافقة على مناسبة هذه البرامج الدعوية للسجناء، بنسبة إجمالية بلغت ٥٤,٨٪ من أفراد العينة.

السجن وتطويرها بما يتوافق مع الضوابط الشرعية وحاجة السجناء وظروفهم.

١٧. أغلبية أفراد العينة يرون أن السجناء الأجانب (الجاليات) يتلقون دروساً دعوية مناسبة؛ حيث أجاب بالموافقة على ذلك أكثر من ٧٦٪.

وفي ختام هذه الدراسة يوصي الباحث بالتوصيات الآتية:

- زيادة عدد الدعاة العاملين في السجون؛ ليتناسب ذلك مع عدد النزلاء؛ وخصوصاً أن الباحث قد لمس من زيارته لسجن الملز تفاعلاً واهتماماً من السجناء بالبرامج الدعوية المتنوعة التي تعينهم على قضاء أوقاتهم بما ينفعهم، وكذلك رغبة في صلاحهم وهدايتهم والتأثير فيهم إيجابياً؛ ليمتد أثر ذلك عليهم حتى بعد خروجهم من السجن - بإذن الله -.

- إقامة برامج تدريبية (شرعية، واجتماعية، ونفسية) متنوعة لزيادة تأهيل العاملين في إدارة الإرشاد والتوجيه وأقسامها في السجون؛ حتى يواصلوا أداء مهمتهم الجليلة في دعوة السجناء ومتابعتهم وتعاهدهم بكل كفاءة واقتدار.

- زيادة تفاعل الجهات الحكومية ذات العلاقة في مد يد العون المادي والمعنوي للمديرية العامة للسجون في مهمتها الكبرى في إصلاح السجناء وتهذيبهم.

- زيادة تفاعل رجال الأعمال والمؤسسات الخيرية في دعم البرامج الدعوية المقدمة للسجناء؛ وذلك لآثارها المهمة عليهم، وقياماً بالواجب نحوهم.

- أهمية عناية القائمين على البرامج الدعوية بحسن اختيار الدعاة المتميزين والمؤثرين في السجناء؛ لأن هؤلاء المدعويين يحتاجون إلى دعاة

لهم قدرة وكفاية في حسن اختيار الموضوعات والأساليب المؤثرة على السجناء - بعد توفيق الله تعالى ..

- أن السجنون مجال خصب للبحث والدراسة في مختلف التخصصات العلمية الشرعية والقانونية والاجتماعية والتربوية؛ لذا يوصي الباحث إخوانه وأخواته الباحثين والباحثات بدراسة جوانب متنوعة من قضايا السجنون، وأحوال السجناء بما يتناسب مع تخصصاتهم العلمية.

- هذا ما تيسر بيانه وذكره، أسأل الله تعالى أن يجعله صواباً متقبلاً، وأن يتجاوز سبحانه عن القصور والخلل الذي هو طبع البشر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بحق إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. أثر العفو عن العقوبة لمن يحفظ كتاب الله في الحد من العودة إلى الجريمة، دراسة نظرية تطبيقية على سجون المملكة، عوض بن مطلق القحطاني، مرحلة الماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم الشرطة، برنامج القيادة الأمنية، عام ١٤٢٠هـ.
٣. أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام، د.حسن أبوغدة، الكويت، مكتبة المنار، ط١، ١٤١٠هـ.
٤. الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، علاء الدين علي البعلي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٦هـ.
٥. أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، د.أحمد عودة ود.فتحى ملكاوي، إربد، ط٢، ١٤١٣هـ.
٦. أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، د.فوزي غرايبة وآخرون، عمان، ط٢، ١٤٠١هـ.
٧. أساليب البحث العلمي في العلوم الإدارية، د.علي العلاونة، عمان، دار الفكر النشر، ط١، ١٤١٦هـ.
٨. الإصابات في تمييز الصحابة، العلامة ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، ١٤١٢هـ.
٩. البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والإلكترونية، عامر قنديلجي، عمان، دار اليازوري، ط١، ٢٠٠٢م.
١٠. البحث العلمي، د.ذوقان عبيدات وآخرون، الرياض، مؤسسة أسامة، ١٩٩٧م.

١١. البحوث الإعلامية أسسها أساليبها مجالاتها، د.محمد الحيزان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
١٢. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، مصر، المطبعة الجمالية، ط١، ١٩٢٨م.
١٣. البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، بيروت، دار المعارف، ١٩٨٢م.
١٤. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، إبراهيم بن علي بن فرحون، مصر، ط٢، ١٣٥٦هـ، بدون ذكر الناشر.
١٥. تدريس القرآن الكريم في السجون ودور الملاحظة الاجتماعية، محمد حبيب أحمد مختار، ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ.
١٦. تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٤هـ.
١٧. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤هـ.
١٨. دعوة النساء في السجون، دراسة ميدانية تقويمية على نزيلات السجون والقائمين بالدعوة بمنطقة الرياض، لمياء بنت سليمان الطويل، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، ١٤٢٧هـ.
١٩. الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن بن سليمان الخليفي، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، ١٤١٦هـ.

٢٠. دليل اختيار العينة، د.سعود الضحيان، القاهرة، الثقافة المصرية للطباعة، ١٤٢٠هـ.
٢١. زاد المعاد في هدي خير العباد، العلامة ابن القيم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٥هـ.
٢٢. السجن وموجباته في الشريعة الإسلامية، مقارناً بنظام السجن والتوقيف في المملكة العربية السعودية، محمد بن عبد الله الجريوي، مرحلة الدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء، قسم السياسة الشرعية، ١٤٠٧هـ.
٢٣. السنن، لابن ماجة القزويني، الرياض، دار السلام للنشر، ط١٤٢٠، ١هـ.
٢٤. السنن، لأبي داود السجستاني، الرياض، دار السلام للنشر، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٥. السيرة النبوية، ابن هشام، القاهرة، دار الريان، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق عمر تدمري.
٢٦. صحيح الإمام البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر، الرياض، مكتبة الرياض، ودار الفكر، بدون سنة طبع، رقم أبوابه الشيخ محمد عبد الباقي، وقرأ أصله الشيخ عبدالعزيز بن باز.
٢٧. صحيح الإمام مسلم المطبوع مع شرح النووي (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ١٤١٨هـ، تحقيق خليل شيعا.
٢٨. صحيح سنن ابن ماجة، الشيخ محمد الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ط١، ١٤١٧هـ.
٢٩. صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٠. صحيفة الجزيرة، العدد ١٣٤٢٠، الصادرة يوم الجمعة ١٤٣٠/٧/٣هـ.
٣١. صحيفة الرياض، العدد ١٤٦٣٨، الصادرة يوم الثلاثاء ١٤٢٩/١٠/٢٨هـ.
٣٢. الطبقات الكبرى، ابن سعد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٣٣. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، العلامة ابن القيم، دمشق، طبع الاتحاد الشرقي، ١٣٩٧هـ.
٣٤. فقه السجن والسجناء، سعيد بن مسفر الوادعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط١، عام ١٤٢٥هـ.
٣٥. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، بيروت، دار الرسالة، ١٤١٣هـ.
٣٦. لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، بدون سنة طبع.
٣٧. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع الشيخ ابن قاسم، ط٢، ١٤٠٢هـ.
٣٨. المحلى، ابن حزم، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٢هـ.
٣٩. مختار الصحاح، الرازي، بيروت، دار لبنان، ١٩٨٦م.
٤٠. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح العساف، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٦هـ.
٤١. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، إستنبول، المكتبة الإسلامية.
٤٢. المغني والشرح الكبير على متن المقنع، لابني قدامة المقدسي، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ.
٤٣. النظام الإحصائي SPSS فهم وتحليل البيانات الإحصائية، د. محمد الزعبي وعباس الطلافحة، عمان، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٠م.
٤٤. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، العلامة محمد الشوكاني، بيروت، دار الريان للتراث، بدون سنة نشر.

الرَّحْمَةُ خلق دعوي وقيمة إسلامية

إعداد

الدكتور: توفيق بن عبدالعزيز السديري
وكيل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة
والإرشاد لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه أما بعد :
فقد كانت البشرية قبل بعثة النبي محمد ﷺ في ضلالة عمياء
وجاهلية جهلاء، لا تعرف معروفًا ولا تتكر منكرًا، أحسنهم حالًا
من كان على دين معرّفٍ مبدل، التبس فيه الحقّ بالباطل، واختلط
فيه الصدق بالكذب، فبعث الله سبحانه نبيّه ومصطفاه محمدًا ﷺ
بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون،
وكانت الرحمة المطلقة العامّة هي المقصد من بعثته صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١)، فحصر سبحانه
وتعالى المقصد من بعثة النبي ﷺ في تحقيق الرحمة للعالمين، والعالمون
جميع الخلق، فالرحمة خصيصة سائدة في شرع الإسلام كله، كتابًا
وسنة، ونظامًا وحياة، وتعاملاً مع الآخر، في كل حال من سلم أو
حرب، ومن تمكين أو ضعف، كما في قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَصِيرَتِ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(٢)، فالقرآن كله بمنزلة بصائر للقلوب،
لأقوم حياة للناس كافة، وهداية للناس من الضلال، ورحمة للمهتدين
به كما هو رحمة للمارقين من حيث تأخير عقوبتهم في الدنيا لعلمهم
يهتدون، فشرعية الإسلام رحمة كلها، فلا تكاد تجد قضية تناولها
القرآن إلا وكانت الرحمة علتها ومقصدها، سببها وغايتها.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٠.

إلا أن هذا الدين دين الرحمة أضحى الآن يوصف بأنه دين الدم والإرهاب ويوصف نبيه ﷺ بأبشع الأوصاف من قبل أعدائه المغرضين وما الصور المسيئة منا ببعيد وذلك لأن أهله وأتباعه لم يقدموا الصورة الحقيقية لهذا الدين على المستوى العملي أو حتى المستوى النظري الذي يبرز جمال هذا الدين وكونه رحمة للناس جميعا لأن المسلمين لو تمكنوا من بيان هذا الدين للناس نظريا وعمليا لعلمت البشرية كلها أن سعادتها لا يمكن أن تتحقق إلا بإتباع هذا الدين.

- أسباب اختيار الموضوع:

- ١- بيان قيمة ومكانة الرحمة في الشريعة الإسلامية وما لها من أثر في الدعوة إلى الله.
- ٢- محاولة إبراز الصورة الحقيقية للإسلام ودعوته التي شوهها الإعلام الغربي.
- ٣- بيان سبق الإسلام للعناية بحقوق الإنسان وأن المبادئ العالمية لحقوق الإنسان ليست كما يدعي الغرب وليدة الثورة الفرنسية.
- ٤- إثبات أنه ليس هناك معارضة بين الدعوة للجهاد والرحمة التي نادى بها الإسلام.
- ٥- عرض صورة ونموذج لمنهج النبي ﷺ وكيف دعا إلى الله تعالى.

- مخطط البحث:

- ولقد اشتملت خطة البحث على ثمانية محاور وهي:
- الأول: التعريف بمفهوم الرحمة.
 - الثاني: الرحمة في الإسلام أساس الدعوة.
 - الثالث: دعوة الإسلام إلى الرحمة العامة.
 - الرابع: دعوة الإسلام إلى رحمة الضعفاء خاصة.
 - الخامس: الحدود ودعوى تعارضها مع الرحمة.
 - السادس: الرفق بالحيوان دعوة إسلامية خالصة.
 - السابع: دعوى تعارض الرحمة مع الجهاد.
 - الثامن: الرحمة واجب دعوي.

المحور الأول: التعريف بمفهوم الرحمة:

الرحمة مشتقة من رحم قال ابن فارس: (رحم) الرء والحاء والميم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الرِّقَّة والعطف والرِّأفة. يقال من ذلك رَحِمَهُ يَرْحِمُهُ، إذا رَقَّ له وتعطفَ عليه. والرُّحْمُ والمرحمة والمرحمة بمعنى. والرَّحِم: علاقة القرابة، ثم سمَّيت رَحِمُ الأنثى رَحِمًا من هذا، لأنَّ منها ما يكون ما يُرْحَمُ وَيُرَقَّ له مِن ولد" (١).

وقال الراغب: «الرَّحِمُ: رَحِمُ المرأة...، ومنه استعير الرحم للقرابة؛ لكونهم خارجين من رحم واحدة، يقال: رُحِمَ ورُحِمَ قال تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ (٢)، والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلانا.

وإذا وصف به البارئ فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الأدمين رقة وتعطف (٣).

ولقد وردت الرحمة في القرآن الكريم في كثير من المواضع بمعنى كثيرة ووجوه متعددة وقد ذكر ابن الجوزي هذه الوجوه وهي على ستة عشر وجهاً، قال ابن الجوزي: الرحمة النعمة على المحتاج، قال ابن فارس: يقال رحم يرحم إذا رق والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى واحد وذكر أهل التفسير أن الرحمة في القرآن على ستة عشر وجهاً، أحدها الجنة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّيْلَ مَأْمُونًا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٤٧/١ تحقيق عبدالسلام هارون، طبعة دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. مجلة

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨١. الدراسات

(٣) مفردات غريب القرآن للراغب ٤٩٨/٢ تحقيق صفوان عدنان ذودي، طبعة بيروت ١٤١٢هـ. الدعوية

سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلَىٰ لَكَ بِرَجُلٍ رَحِمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ
 آيَبْتَتْ وُجُوهُهُمْ فَمَن رَّحِمُوا اللَّهُ فَمِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا ﴾ ﴿٢﴾ ، وفي سورة النساء: ﴿ فَأَمَّا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسُخِّرْنَا لَهُمْ فِي رَحْمَتِنَا وَقَضَلْنَا وَهَدَيْتَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ
 مُّسْتَقِيمًا ﴾ ﴿٣﴾ ، وفي العنكبوت: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَفَايَسْتِ اللَّهُ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ
 يَكْسِبُونَ مِنْ رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٤﴾ ، وفي الجاثية: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿٥﴾ .

والثاني الإسلام ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ مَا يَوْذُو الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الشُّرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ
 يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٦﴾ ، وفي سورة الإنسان:
 ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿٧﴾ .

والثالث الإيمان ومنه قوله تعالى في سورة هود: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْنَتٍ
 مِنْ رَبِّي وَأَنبِيَ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ رَبِّكُمْ فَقُلِيبَتِ عَلَيْكُمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْهَا نُورًا لِّمَا كُنتُمْ هَٰؤُلَاءِ
 مِنْ رَّبِّي وَرَأَيْتُمْ أَن كُنتُمْ هَٰؤُلَاءِ لَٰئِقِينَ ﴾ ﴿٨﴾ .

والرابع النبوة ومنه قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿ أَهْمَرْتُمْ سِمُونَ
 رَحِمَتَ رَبِّكَ إِذْ نَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعَشَرَكَمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّتَسْخَرُوا
 مِنْ بَعْضِهِمْ ﴾ .

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٣.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٣٠.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٧) سورة الإنسان، الآية: ٣١.

(٨) سورة هود، الآية: ٢٨.

بِعَظْمِهِمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١﴾ ، وفي سورة ص: ﴿ أَرْعَدْتَهُمْ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَعَابِ ﴾ ﴿٧﴾ .

والخامس القرآن ومنه قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ يَقْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٣﴾ ، وفي بني إسرائيل: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّسْقِئًا لِّئَلَّا يَزِيدَ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٤﴾ .

والسادس المطر ومنه قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنَاتِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا بِقَاعٍ لَّاسِقِنَّةٍ لِّإِبْرَاهِيمَ مَتِينٍ فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَنْزَعْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتِىَّ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ، وفي سورة الروم: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ مَائِنَّا رَحِمَتِ اللَّهُ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجَىٰ الْمَوْجِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٦﴾ وفيها: ﴿ وَمَنْ أَيْبَسَهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتِي وَيُذَيِّقَكُمِنْ رَحْمَتِيهِ . وَلِتَجْرِيَ الْأَنْهَارُ بِأَمْرِهِ . وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ . وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧﴾ .

والسابع الرزق ومنه قوله تعالى في بني إسرائيل: ﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَسْكُمُوهَا إِسْكَافًا وَمَكَانًا لَّاسِقِنَّةً لِّإِبْرَاهِيمَ مَتِينٍ ﴾ ﴿٨﴾ ، وفي سورة الكهف: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ﴿٩﴾ ، وفيها: ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّسْقِئًا لِّئَلَّا يَزِيدَ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿١٠﴾ .

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٢) سورة ص، الآية: ٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.

(٤) سورة إسرائيل، الآية: ٨٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٦) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٧) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٨) سورة الإسراء، الآية: ١٠٠.

(٩) سورة الكهف، الآية: ١٠.

(١٠) سورة الكهف، الآية: ١٦.

والثامن النعمة ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) ، وفي سورة الكهف: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^(٢).

والتاسع العافية ومنه قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكَةٌ رَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٣).

والعاشر النصر ومنه قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَصِفُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِثُّونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^(٤).

والحادي عشر المنة ومنه قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَنْتُمْ مِنْ نَادِرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

والثاني عشر الرقة ومنه قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾^(٦).

والثالث عشر المغفرة ومنه قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلِذَٰلِكَ أَكْرَمَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَّمْتُ عَلَيْكُمْ كَتَبْتُ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَجَلَ مِنْكُمْ سَوْءَ الْجَهَنَّمَ شُرَابًا يَمْشِي وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَنْفُورٌ رَجِيمٌ﴾^(٧).

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٧.

(٥) سورة القصص، الآية: ٤٦.

(٦) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

والرابع عشر السعة ومنه قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿ذَلِكَ تَخْوِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنَ أَعْدَائِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فَكَلِمَةٌ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

والخامس عشر المودة ومنه قوله تعالى في سورة الفتح:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

والسادس عشر العصمة ومنه قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعْتُ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣).

وقد ألحق بعضهم وجها سابع عشر فقال الرحمة الشمس ومنه قوله تعالى في سورة الشورى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^{(٤) (٥)}.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٨.

مجلة

(٥) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص ٣٣١ - ٣٣٤ تحقيق محمد عبدالكريم كاظم، مؤسسة الدراسات

الدعوية

الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

المحور الثاني: الرحمة في الإسلام أساس الدعوة:

أقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٢)، وقال النبي ﷺ: (بعثت بالحنيفية السمحة)^(٣).

وفي سورة النمل يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَأْتِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَكْثَرِ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٤) وَأِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ^(٥)، وفي سورة لقمان: ﴿الَّذِي هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُحْسِنِينَ﴾^(٦)، وهذا المعنى مهم في الرحمة لدرجة أن الله أمر نبيه أن يعرف الناس عليه صراحة، فقال تعالى في سورة يونس: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧)، فهذا نداء من الله تعالى إلى الناس كافة أن يعلموا أن رسالة الله لهم هي شفاء وهدى ورحمة، فمن أراد الرحمة من الله تعالى فليكن من أتباع النبي الذي جاء بالموعظة من ربه وفيها الشفاء والهدى والرحمة، ولقد وصف الله تعالى رسالة الإسلام بأنها رحمة للناس كافة في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٢٦٦/٥ والطبراني في المعجم الكبير ٣١١/٥ وأخرجه البخاري بلفظ (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحاء) صحيح البخاري: ١٦/١ (كتاب بدء الوحي - باب الدين يسر).

(٤) سورة النمل، الآية: (٧٦ - ٧٧).

(٥) سورة لقمان، الآية: (١ - ٣).

(٦) سورة يونس، الآية: ٥٧.

رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾، ثم إن الله تعالى وبعد إبرازه معنى الرحمة وكونها عامة يأمر الرسول - ﷺ - بأن يواجه المكذبين المستهزئين، بخلاصة رسالته التي تتبع منها الرحمة للعالمين: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، فهذا هو عنصر الرحمة الأصيل في تلك الرسالة، عنصر التوحيد المطلق الذي ينقذ البشرية من أهام الجاهلية، ومن أثقال الوثنية، ومن ضغط الوهم والخرافة. والذي يقيم الحياة على قاعدتها الركينة، فيربطها بالوجود كله، وفق نواميس واضحة وسنن ثابتة، لا وفق أهواء ونزوات وشهوات، والذي يكفل لكل إنسان أن يقف مرفوع الرأس فلا تنحني الرؤوس إلا لله الواحد القهار.

مجلة

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٨.

الدراسات

الدعوية

المحور الثالث: دعوة الإسلام إلى الرحمة العامة:

دعا الإسلام إلى رحمة عامة لا تختص بالمسلمين وحدهم، بل هي شاملة لهم ولغيرهم من المخلوقات في الدنيا، فقد أمر ﷺ أمته برحمة كل من أوجده الله تعالى على هذه الأرض، من إنسان وحيوان. كما روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء...)^(١)، والظاهر أن (مَنْ) الموصولة في قوله: (ارحموا من في الأرض) شاملة للإنسان مسلماً أو كافراً، وللحيوان كذلك، وعلى هذا حملها العلماء.

قال الحافظ رحمه الله: "قال ابن بطلال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب..."^(٢)، وقد وردت أدلة أخرى يدل عمومها على أن هذا الشمول مقصود، فقد وصف الله تعالى المؤمنين بالتراحم بينهم، كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾^(٣)، والكفار الذين يكون المؤمنون أشداء عليهم، هم المحاربون لهم المعتدون عليهم، الذين يقاتلونهم ويخرجونهم من ديارهم، أو يدعمونهم على ذلك ويظاهرونهم، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُوكُمُ اللَّهُ

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤٤٠/٤ (كتاب الأدب - باب الرحمة - حديث رقم ٤٩٤٣)

والترمذي في سننه ٣٢٢٣/٤ (كتاب البر والصلة - باب رحمة المسلمين - حديث رقم ١٩٢٤)

وأحمد في مسنده ١٦٠/٢ حديث رقم ٦٤٩٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤٤٠/١٠) طبعة دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩ هـ.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا لَكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبْرَهُمْ وَقَسَبُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِبِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْتَظِرُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَلَمُوا عَلَيَّ إِخْرَاجَكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾، ونفى الله تعالى رحمته عن من لم يرحم الناس، كما في حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)^(١)، وهو نفي عام يدخل فيه كل الناس، والنفي هنا للوعيد والتحذير والتفجير من الغلظة والشدّة والعدوان على الناس، ولا يلزم منه حرمان من فقد الرحمة الواجبة من رحمة الله له في الدنيا، بمنحه الرزق والصحة والقوة المادية والذرية وغيرها، سواء كان من المسلمين أو غيرهم، ابتلاء له وامتحاناً، لأن رحمة الله في الدنيا تعم جميع خلقه^(٢).

ومن الأدلة على شمول رحمة الإسلام لكل الخلق أن جعل من يقوم على اليتامى، بالإنفاق والكفالة الشاملة التي يحتاجون إليها، شركاء لرسوله ﷺ في الجنة، كما في حديث سهل عن الرسول ﷺ، قال: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى) وفرج بينهما شيئاً^(٣)، وبين في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه يستوي في هذه المنزلة من كفل يتيماً من أقاربه أو من غيرهم، فقال رسول الله ﷺ: (كافل اليتيم - له أو لغيره - أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك

(١) سورة الممتحنة، الآية: (٨ - ٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٤١/٩ (كتاب بدء الوحي - باب قوله تعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى").

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٣/١

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ٦٨/٧ (كتاب الطلاق - باب اللعان - حديث رقم ٥٣٠٤)

بالسبابة والوسطى^(١)، وهو يشمل كذلك يتامى المسلمين وغيرهم، كما تدل عليه صيغة العموم، لأن "أل" في اليتيم للجنس، وأنزل ﷺ، من اهتم بالمحتاجين، وبخاصة الأرامل والمساكين، منزلة المجاهدين في سبيل الله، والمجاهدين في التقرب إلى الله بما يرضيه من فرائض العبادات ونوافلها ليلاً ونهاراً، كما روى أبو هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: (الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار)^(٢)، وهذا السعي شامل لكل المحتاجين من المسلمين وغير المسلمين، وشامل كذلك لكل ما يحقق مصالحهم من طعام وشراب وكساء ومسكن وتطبيب ودفع ضرر أو ظلم عنهم، لقد كانت رسالة محمد - ﷺ - رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة في أول الأمر على البشرية، لبعد ما كان بينها وبين الحياة الواقعية والروحية من مسافة. ولكن البشرية أخذت من يومها تقرب شيئاً فشيئاً من آفاق هذه المبادئ.

لقد جاء الإسلام ليسوي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون، في الوقت الذي كانت البشرية تفرق الناس طبقات، وتجعل لكل طبقة قانوناً. بل تجعل إرادة السيد هي القانون في عهدي الرق والإقطاع، فكان غريباً على البشرية في ذلك الوقت أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدأ المساواة المطلقة أمام القضاء، ولكن ها

(١) أخرجه مسلم ٢٢١/٨ (كتاب الزهد والرقائق - باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين ٧٦٦٠)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٨٠/٧ (كتاب الأدب - الساعي على الأرملة والمسكين - حديث رقم ٦٠٠٧) ومسلم في صحيحه ٢٢١/٨ (كتاب - الزهد والرقائق - باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم - حديث رقم ٧٦٥٩).

هي ذي شيئاً فشيئاً تحاول أن تصل - ولو نظرياً - إلى شيء مما طبقه الإسلام عملياً منذ اثنين وثلاثين وأربعمئة وألف عام. وغير هذا وذلك كثير يشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية وأن محمداً - ﷺ - إنما أرسل رحمة للعالمين، من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء. فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائفة أو كارهة، مستشعرة أو غير مستشعرة وما تزال ضلال هذه الرحمة وارفة، لمن يريد أن يستظل بها، ويستروح فيها نسائم السماء الرخيّة، في هجير الأرض المحرق وبخاصة في هذه الأيام.

المحور الرابع : دعوة الإسلام إلى رحمة الضعفاء خاصة :

تعد رحمة الضعفاء سمة من سمات الشريعة الإسلامية فقد حثت على الترفق بالضعفاء من أفراد المجتمع والأخذ بأيديهم نحو الكرامة الإنسانية، وقد تضافرت النصوص للدلالة على هذا الأمر، ولقد كان سلوك النبي محمد ﷺ ترجمة عملية لهذا الأمر، ولاغرو في ذلك فهو الرحمة المهداة فكلمنا قلبت النظر في سيرة وشمائل الحبيب ﷺ تجد الكمال في أخلاقه، والسمو في تعاملاته، فكلمات خلقه ﷺ آية كبرى، وعلم من أعلام نبوته، وقد مدحه الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ﴾^(١)، ومن الكمال الخُلُقِي الذي تحلى به رسول الله - ﷺ - خُلُقُ الرحمة والرأفة بالغير، فقد وهبه الله قلباً رحيماً، يرق للضعيف، ويحن على المسكين، ويعطف على الناس أجمعين، حتى صارت الرحمة له طبعاً، فشملت الصغار والكبار، والمؤمنين والكفار، والخدم والعبيد.

ولما كانت طبقة الخدم في المجتمعات هي الأولى بالحنو والعطف عليها لضعفها وفقرها وما تلاقيه من صلف وتكبر وشدة وقسوة وكانهم لا ينتمون للجنس البشري أردت أن أعرض صفحة ندية لتعامل النبي ﷺ مع هذه الفئة لعنا نتذكر.

لقد تجلت مظاهر رحمته ﷺ بالخدم والعبيد في أن جعل لهم حقوقاً، وأمر بالرفق بهم، بل وحث على تحرير الرقيق من رقهم.

وإذا تتبعنا التوجيهات والتوصيات التي أوصى بها النبي - ﷺ - بهم، فسنعرف مقدار الاهتمام الذي حازته هذه الفئة من المجتمع، في

وصايا النبي ﷺ، وقد ساهمت هذه الوصايا بشكل كبير في تحرير الأرقاء، ومن ثم وقفت قيادات قريش في وجه النبي ﷺ ودينه الذي يدعو إلى تحرير الرقيق، وينادي بالمساواة بينهم وبين السادة.

لقد اهتم رسول الله ﷺ بالمملوكين في حياته وأوصى بهم خيراً حين موته، فعن علي ﷺ قال: (كان آخر كلام رسول الله ﷺ الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم)^(١)، وحذر النبي ﷺ من ضرب المملوك أو إيذائه، فعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: (كنت أضرب غلاماً لي، فسمعتُ من خلفي صوتاً: اعلم أبا مسعود: لله أقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله. فقال: أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار)^(٢)، بل حض الرسول ﷺ على المعاملة الحسنة لهم، حتى في الألفاظ والتعبيرات، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي، وهتاي وهتاتي)^(٣).

وجعل النبي ﷺ كفارة ضرب المملوك عتقه، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (.. من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه)^(٤)، كما نهى النبي ﷺ عن تكليف الخدم بأعمال شاقة

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٢٩٠/١ حديث رقم ٢٦٥٢٦ وقال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح لغيره.

(٢) أخرجه مسلم في صحیحته ٩٢/٥ (كتاب الإيمان - باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده - حديث رقم ٤٣٩٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحیحته ٤٦/٧ (الألفاظ من الأدب - باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة - حديث رقم ٦٠١١).

(٤) أخرجه مسلم في صحیحته ٩٠/٥ (كتاب الإيمان - باب صحبة المماليك وكفارة من لطم عبده - حديث رقم ٤٣٩٠).

تفوق طاقتهم، أو الدعاء عليهم، فقال ﷺ: (لا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)^(١).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم)^(٢).

وكان ﷺ يوصي أصحابه بالعفو عن إساءة الخدم وخطئهم، فعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: أعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة)^(٣).

وأمر النبي ﷺ بالإحسان إلى الخدم، وعدم الاستهزاء بهم، بل وإطعامهم وإلباسهم من نفس طعام ولباس أهل البيت، فعن المعرور بن سويد قال: (لقيت أبا ذر بالريذة (موضع قرب المدينة)، وعليه حلة (ثوب) وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلاً، فغيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: (يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم (خدمكم وعبيدكم)، جعلهم الله تحت

(١) أخرجه البحاري ١٩٥/٣ (كتاب الإيمان - باب قوله العبيد إخوانكم ١٠٠ رقم ٢٥٤٥ - ومسلم ٩٣٠/٥ الإيمان - إطعام المملوك وإلباسه مما يليس).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤٧٩/١ (كتاب سجود القرآن - باب النهي عن أن يدعوا على ولده وخدمه - حديث رقم ١٥٣٢) قال أبو داود الحديث متصل الإسناد وقال الألباني صحيح.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ٥٠٦/٤ (كتاب الأدب - باب في حق المملوك حديث رقم ٥١٦٦).

أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم^(١).
ويحدثنا أنس رضي الله عنه خادم النبي ﷺ عن رحمته ووصيته ﷺ العملية بالخدم فيقول: (كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمر على صبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أنيس، أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله...)^(٢).

ويقول: (خدمت رسول الله - ﷺ - عشر سنين، والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي أف قط، ولا قال لي لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: إلا فعلته)^(٣).

ولا شك أن شهادة الخادم لسيدته صادقة، وخاصة من رجل كأنس رضي الله عنه، الذي نقل عن النبي ﷺ إلى الأمة آلاف الأحاديث، وكان معه كظله، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً ولا امرأة قط)^(٤).

لقد ترك هذا التعامل أعظم الأثر في نفوس الخدم الذين اتصلوا بالنبي ﷺ، فقد استطاع عليه الصلاة والسلام أن يأسر قلوبهم ويملك

(١) أخرجه البخاري ١٩٥/٣ (كتاب الأدب) - باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى يؤمروا بالعدل - ٦٠٥٠ - ومسلم ٩٣٠/٥ (كتاب الإيمان) - إطعام للملوك واللباس مما يلبس حديث رقم ٤٤٠٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٧٣/٧ (كتاب الفضائل) - باب كان أحسن الناس خلقاً حديث رقم ٦١٥٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٧٤/٧ (كتاب الفضائل) - باب كان أحسن الناس خلقاً حديث رقم ٦١٥٥.

(٤) أخرجه مسلم ٨٠/٧ (كتاب الفضائل) - باب مبادئه للأئمة حديث رقم ٦١٩٥ وأبو داود في سننه ٣٩٦/٤ (كتاب الأب) - باب في التجاوز في الأمر رقم ٤٧٨٨.

مشاعرهم بسماحة أخلاقه وكريم شمائله، وقصة زيد بن حارثة رضي الله عنه خادم النبي صلى الله عليه وسلم شاهد على ذلك، فقد عاش زيد في بيته صلى الله عليه وسلم، وظل يقوم على خدمته ويرعى شؤونه، حتى بلغت الأخبار إلى والده بوجوده عند النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلق مسرعاً إليه، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرد له ولده، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد وقال: (إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال: بل أقيم عندك)^(١)، فاختار زيد البقاء مملوكاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجوع حراً مع أبيه، لما رآه من طيب عشرة وحسن خلق الحبيب صلى الله عليه وسلم.

لقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم بهديه وشرعه الذي جاء به أبواباً متعددة لإخراج الرقيق من رقهم إلى سعة الحرية، فكان العتق هو الكفارة الأولى في قتل الخطأ، وفي جماع الرجل زوجته في نهار رمضان، وفي الظهار، وإذا أساء السيد إلى مملوكه بلطمه فليس لها كفارة إلا عتقه، كما جعل النبي صلى الله عليه وسلم عتق الأرقاء وسيلة من وسائل التكفير عن الذنوب والخطايا، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أيما امرئ مسلم أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار)^(٢).

إن مظاهر رحمة النبي صلى الله عليه وسلم قد حفلت بها سيرته وحياته، وامتثلت بها شريعته، فرحم الصغير والكبير، والقريب والبعيد، والمرأة والضعيف، واليتيم والفقير، والرقيق والخدم، وغيرهم فهل للمسلمين أن يتأسوا بنبيهم إقامة لدينهم؟

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٤/٤٧٩ حديث رقم ٤٥١٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٤/١١٧ (كتاب النذور والأيمان - باب فضل من أعتق - حديث رقم ١٥٤٧)

المحور الخامس : الحدود ودعوى تعارضها مع الرحمة :

وقد يعترض البعض ممن ليست لديهم دراية بجوهر الإسلام بالقول كيف تدعون الرفق بالحيوان وأنتم أشد قسوة على الإنسان فيما تسمونه بإقامة الحدود فتقطعون يد السارق وترجمون الزاني أو تجلدونه دون مراعاة لحقوق الإنسان أقول: من الحكمة أن نعلم أن الله تعالى لا يحب تعذيب خلقه، وما يشرع لهم إلا ما فيه صلاحهم، وحد السرقة على سبيل المثال روعي فيه زجر الفاعل، وحماية الأمن والأموال، وصيانة المجتمع عن أن يعيش في فوضى، ووضعت شروط لإقامة الحد، كأن يكون المسروق ذا قيمة مالية تبلغ نصابا، وأن يكون في شيء محفوظ، وألا يكون السارق محتاجا إلى ضرورة تتوقف عليها حياته، ولا سبيل له إلا السرقة، وأن يكون عاقلا بالغا.

وفي تطبيق حد السرقة حكمة تشريعية، فاستتباب الأمان في المجتمع من أجلّ النعم، وما أعظم أن يتحرك الإنسان كيف يشاء دون قلق على دمه أو ماله أو عرضه، عندما دعا إبراهيم ربه للبلد الذي أسسه طلب له أمرين اثنين، رزقا مكفولا وأمنا مستقرا، وقدم الأمن على الرزق، وهو يسأل الله حاجته ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي زَكَاةً وَأَقْرَبًا وَارْتُزِقْ أَهْلَهُ. مِنْ الثَّرَاتِ ﴾^(١)، ولكي يشيع الأمان، ويطمئن كل إنسان شرع الله شرائع كثيرة، من أهمها حد السرقة، إن السرقة جريمة جديرة بالمطاردة والاستئصال، ووجودها مثار ضيق وقلق، فكيف إذا شاعت؟!

إن اللصوص اللئام يستولون على أموال الآخرين، فيتوسعون في إنفاقها وبيعثرونها في ملذاتهم دون حذر لأنهم ما تعبوا في كسبها.

لا ريب أن المجتمع المحترم يجب أن يخلص من هؤلاء، وأن يرصد لهم العقوبة التي تقطع دابرهم، وتروع قريبيهم وبعييدهم، إن اليد التي تقطع هي اليد التي ظلمت المجتمع، لا اليد التي ظلمها المجتمع، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَمْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾^(١)، والبلاد التي نفذت قطع يد السارق هدأت أحوالها، وسادتها طمأنينة كاملة وأغناها قطع يد واحدة عن فتح سجون كثيرة يسمن فيها المجرمون، ثم يخرجون أشد ضراوة وأكثر قساوة، والسطو على مال الغير جريمة فيها قابلية للنماء والتجدد، وتتحول من رغبة في المال الحرام إلى جراءة على الدم الحرام، وما أيسر أن يقتل اللص من يعترض طريقه وهو يسرق، سواء أكان المعترض حارس الأمن، أو صاحب المال.

ويغلب أن يتعاون اللص مع اللص في إدراك مأربه، ومن هنا تتكون العصابات التي تقطع الطريق، أو التي تتقاسم المهام في إتمام أعمال السلب والنهب، والسجون ساحات ممهدة لدراسة هذه المعاصي وإحكام خطتها، وطبيعي أن يتضاعف العقاب في استفحال الجرم على هذا النحو، وكثيرا ما يكون السطو المسلح على السيارات والقطارات أو على الحقول والمتاجر^(٢)، وإن تعجب فعجب من تلك المنظمات التي تتذرع بحقوق الإنسان فتدعوا إلى تخفيف تلك العقوبات وما راعها ما يحدث من ترويع للمجتمعات بفعل هذه الجرائم، وإني

(١) سورة المائدة، الآية: (٣٨ - ٣٩).

(٢) هذا ديننا للشيخ محمد الغزالي ١٧٦ - ١٧٩ طبعة دار الشروق ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

لشديد الريبة في ضمائر هؤلاء المدافعين، وأكاد أقول: ما يعطف على اللص إلا لص، ولا على القاتل إلا قاتل. وقد حسم الإسلام اللجاجة في مجازاة أولئك العابثين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأرجُلُهُمْ مِنْ جَانِبٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ أَنْ كَفَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَرَكُوا بِغْيَةً ﴿٣٤﴾﴾^(١)،

وهنا ثلاثة أمور لا بد من تقريرها:

أولها: أنه لا بد من الحفاظ على أموال الناس، وإقامة سياج منيع حولها، ورفض اشتهاه القاعدين الحصول عليها بالأساليب المعوجة، والحدود السماوية ضمان أكيد لهذا المعنى.

ثانيها: لا مكان للرحمة بمشيري الفوضى ومهدري الحقوق، فإن ترك هؤلاء فتح لأبواب العذاب على المجتمع كله، وإغراء بالظلم وإسقاط للقيم.

ثالثها: عندما يكون الانحراف خطأ عارضا، فالشارع أول المنادين بإقالة العثرات، وتيسير المتاب، وهو القاتل: أن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقاب.

لكن البون شاسع بين تعطيل الحدود، والتدقيق في إيقاعها، وهناك من يكذب، فيقول: إن القطع أوجد جمهورا من العاطلين العاجزين عن العمل، وهذا اجترأ غريب، فإن القطع خلال أربعة عشر قرنا نفع ولم يضر، ولم يحس المجتمع بوجوده إلا على ندره، لأن

الإرهاب بالقطع صرف اللصوص عن السرقة، وأغراهم بالبحث عن كسب معقول. و من عظيم ما يذكر في إقامة الحدود عموماً، أن الحالات التي وقعت من إقامة الحدود في العهد النبوي وعصر الخلفاء الراشدين لم تتعد أصابع اليد، في حين أن الجريمة تحدث طبق إحصائيات وزارات الداخلية في العالم كل بضع دقائق، وهذا يعني أن في إقامة الحدود بركة للعالمين، إن البلاد التي قامت على تطبيق الشريعة الإسلامية - والحدود جانب منها - تمتعت بالأمن والأمان التامين فبات مواطنوها قريبي العين، فليس هناك خشية على المال أو العرض أو النفس؛ مما جعل الكثيرين ممن لا يريدون خيراً للإسلام والمسلمين تثور ثائرتهم تحت دعاوى حقوق الإنسان، وكأنهم يقولون كيف لهذه البلاد أن تحقق هذا القدر من الأمان، في الوقت الذي تسطوا فيه العصابات المنظمة على البلاد والعباد في الدول المتقدمة، فيهدر الدم ويسلب المال ويهتك العرض؟

إن في تطبيق الحدود الرحمة التامة لأن في إقامتها الحفاظ على المقاصد الشرعية التي لا تستقيم الحياة إلا بها، فهي رحمة للمجتمعات لأنها سوف تحقق الأمان الذي افتقدته البشرية في هذه الأيام ولكن أكثر الناس يجهلون.

المحور السادس : الرفق بالحيوان دعوة إسلامية خالصة ؛

لم تغفل الشريعة الإسلامية ما يتعلق بأحوال الحيوان في معاملة الإنسان إياه وانتفاعه به، إذ هو مخلوق لأجل الإنسان قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمُونَ وَحِينَ تُسْرَخُونَ ﴿٦﴾ وَيَجْعَلُ اللَّهُ لَكُمْ إِنَّا بَلَدًا لَكُمْ لِكَيْ تَتَّقُوا بِلِيَمِهِ إِلَّا يَسِقَ الْآفَتِينَ إِنَّكُمْ بِرَبِّكُمْ لَرَعُوفٌ رَجِيمٌ﴾^(٢).

وقد أذنت الشريعة الإسلامية للناس في الانتفاع بما ينتفع به من الحيوان ولم تأذن في غير ذلك. ولذلك كره صيد اللهو وحرّم تعذيب الحيوان لغير أكله.

لقد أرست الحضارة الإسلامية الأساس الأول لمبدأ الرفق بالحيوان، منذ أن بزغ نورها، خلافاً لما يظنه البعض أنه من وضع الحضارة الغربية، التي أخذت هذا المبدأ وطورته ونظّمته تنظيمًا دقيقاً، حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم، وتوهم أبناء المسلمين أن الحضارة الإسلامية لم تعرف في يوم من الأيام هذه النظم والتشريعات التي تكفل للحيوان مثل هذه الرعاية، والأمر بخلاف ذلك، فالشريعة الإسلامية كانت الأسبق رعاية لحقوق الحيوان، بل والأكثر واقعية وتنظيماً، وذلك لأن رعاية هذه الحيوانات كانت بأمر الشارع الحكيم، فكان المنطلق إيمانياً وواجباً دينياً في المقام الأول، فالحيوان البهيم قد أعطاه الإسلام حظه من الرحمة والشفقة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النحل، الآية: (٥ - ٧).

والإحسان، وقد ذكر الرسول ﷺ لأُمَّته بعض القصص المتعلقة بالرفق والرحمة بالحيوان، حضا لهم على تطبيق ذلك السلوك السوي الذي يحقق رحمة الله العامة بكل مخلوقاته في الدنيا.

ومن أمثلة ذلك: حديث أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله! وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر)^(١).

وصح عنه ﷺ، أن الله غفر لامرأة بغى لسقيها كلبا اشتد عطشه كما في حديث أبي هريرة ؓ: (أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها)^(٢). وإذا كان الله تعالى يغفر بعض كبائر الذنوب للمسلم برحمة الحيوان والرفق به، فإنه تعالى يعذب من نُزعت الرحمة من قلبه، فيعذب الحيوان، كما في حديث ابن عمر ؓ، عن النبي ﷺ، قال: (دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤٧/٢ (كتاب المساقاة - باب فضل سقي الماء حديث رقم ٢٣٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٤/٧ (كتاب السلام - باب فضل ساقى البهائم المحترمة - حديث رقم ٥٩٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٧/٤ (كتاب بدء الخلق - باب سعة رحمة الله تعالى حديث رقم ٧١٥٨) ومسلم ٩٨/٨ (كتاب التوبة - باب سعة رحمة الله حديث رقم ١٥٦٦٧).

ونهى الرسول ﷺ عن ركوب الحيوان لغير غرض ومنفعة، وقد دخل رسول الله ﷺ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل، فقال لهم: (اركبوها سالمة أودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرباً مركبة خيراً من رакبها، وأكثر ذكراً لله منه)^(١)، بل إن الإسلام حث على رحمة الحيوان حال ذبحها فأمر الرسول ﷺ بالإحسان في القتل والذبح، فقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ)^(٢).

فأين جمعيات الرفق بالحيوان من هذه الآداب النبوية الرشيدة وكيف ينكرون فضل الإسلام وقد سبقهم بأربعة عشر قرناً من الزمان! وما زالوا لا يفرقون بين ما هو حق وما ليس بحق، حيث إنهم يعتبرون الذبح على الطريقة الإسلامية نوعاً من القسوة ولا يعرفون الفوائد الكثيرة لطريقة الذبح الإسلامية أما هم فيصعقون ذبائحهم بالكهرباء، أو يضربونها على رؤوسها فتموت ثم يذبحونها، ويعتبرون ذلك من الرحمة بالبهاائم، والمرء إذا لم يكن له هاد من الوحي خبط عشواء وتحكمت به الأهواء، وحسب كل بيضاء شحمة وكل سوداء تمرة، وتفاخر على غيره بما هو أصل المذمة والنقص، ولكن عين الهوى عمياء^(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣٩/٣ حديث رقم ١٥٦٦٧ قال شعيب الأرنؤوط حديث حسن.
 (٢) أخرجه مسلم ٧٢/٦ (كتاب الإمارة - باب الأمر بإحسان الذبح والقتل - حديث رقم ٥١٦٧).
 (٣) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، علي بن نايف الشحود ٤١٤/١٢.

المحور السابع: دعوى تعارض الرحمة مع الجهاد:

يدعي بعض أعداء الإسلام زوراً وبهتاناً أن هذا الدين يتبطن في تعاليمه أشياء تحث على اعتماد منهج العنف في التغيير، وأنه يحرض أتباعه على ممارسة أساليب إرهابية في قمع أعدائهم وإخضاعهم لسلطانه، وينشر دعوته بهذه الطريقة، ويستدلون على هذه الدعوى عادة ببعض الآيات والأحاديث التي تأمر المسلمين بالجهاد في سبيل الله، ويصرون على تصوير حقيقة الإسلام بهذا الواقع، وهذا مخالف لحقيقة دين الإسلام، كيف لا وقد حصر الله - سبحانه وتعالى - رسالة نبيه الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام في الرحمة للعالمين وإذا كان الإسلام ديناً بلغت الميول السلمية فيه مداها في قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ عَثِمٍ وَقُلُوبُهُمْ﴾^(١)، إلا أن الميول السلمية لا تتسع لمنع القائمين بهذا الدين الجديد من الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم الذي أنزله الله للإنسانية كافة، في عالم يضيع فيه الحق والعدل إن لم يكن لها قوة تحميها، فكان لا مناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذي يشهره خصومهم في وجوههم، ولذلك كان التعبير بقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ عَن تَصَرُّفِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٢) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع ربيع وصلوات ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولئنصررك الله من ينصره إنك الله لقوي عزيز^(٣).

أقول: كان التعبير بالإذن الذي يدل على المنع قبل نزول الآية يدل على طروء القتال في الإسلام وأنه ظل ممنوعاً طيلة العهد المكي وبعضاً من العهد المدني.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الحج، الآية: (٣٩-٤٠).

هذا ولم يفضّل الإسلام حتى في هذا الموطن موطن الدفاع عن النفس والدين أن ينصح لأتباعه بعدم العدوان؛ لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام ولا شفاء حزازات الصدور، الأصل أن يقوم المسلمون بدعوة غيرهم إلى هذا الدين، ليتمتعوا برحمة الله في منهج حياتهم في الدنيا، ولينالوا رضاه ورحمته في الآخرة، تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْمَلَائِكِينَ﴾^(١)، وأساس دعوتهم اللين والحكمة والموعظة الحسنة، كما أمر الله تعالى بذلك نبيهم، وأمره أمر لهم، فقال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْخَيْرِ وَخَدِّ لَهُم بِآلَتِي حُرِّمَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

ولشدة حرص الرسول ﷺ على إيصال رحمة الله إلى عباده، رَغِبَ المجاهدين في سبيل الله في دعوة الناس إلى هذا الدين، وربط دعوتهم برجاء ثواب الله الجزيل على هداية خلقه، كما في حديث سهل بن سعد الساعدي ؓ، أنه ﷺ قال لعلي ؓ عندما أرسله إلى يهود خيبر: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)^(٣).

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ٢٨٥/١، د/ محمود حمدي زقزوق وآخرين.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) صحيح البخاري ٧٣/٤ (كتاب الجهاد - باب فضل من أسلم على يديه رجل - حديث رقم ٣٠٠٩) ومسلم في صحيحه ١٢١/٧ (كتاب فضل الصحابة - باب فضائل علي بن أبي طالب).

ومع أن المسلمين هداة رحماء، فهم يجاهدون في سبيل الله، من اعتدى عليهم وعلى دينهم، لا يخافون فيه لومة لائم، يحفظون بجهادهم ضرورات حياة البشر، من الدين والنفس والنسل والعقل والمال، وما يحوطها من الحاجيات والتكميليات، ويحمونها من عدوان المعتدين وظلم الظالمين.

فهم إما يجاهدون دفعا لعدوان المعتدين على المسلمين، وإما لإزالة من وقف أمام دعوة الله في أرض الله، لدعوة الناس إلى عبادة الله، لتقوم بذلك الحجة على خلق الله...^(١)، ومن تتبع تاريخ جهاد المسلمين المنضبط بقواعد شرع الله تبين له أنه عام شامل لكل نشاط يحقق للمسلمين وللعالم ما فيه صلاحهم وسعادتهم، وأن القتال إنما هو جزء ضئيل من الجهاد الوارد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومعلوم كذلك أن الجهاد في سبيل الله لم يشرع لإكراه الناس على ترك دينهم والدخول في الإسلام، وإنما شرع لرد عدوان المعتدين، وتحطيم سدود القهر والاستبداد التي تحول بين الناس وبين التمتع بالحرية التي منحهم الله تعالى، فيدخلون في الإسلام بعد إقامة الحجة عليهم بأنه الحق مختارين راضين غير مكرهين، أو يبقون على دينهم الذي اعتقدوه، كما صرح الله تعالى بذلك في كتابه، وجرى على ذلك عمل الرسول ﷺ وأصحابه وأتباعهم، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين، ما تمسك المسلمون بهذا الدين: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، ولكن يجب على من رغب في البقاء على دينه، أن يلتزم بنظام الأمة العام الذي يأمنون فيه على ضرورات حياتهم وما يكملها.

(١) حقائق الإسلام في مواجهة حملات المشككين للدكتور محمود حمدي زقزوق وآخرين، طبعة

أقول إن الرائد لا يكذب أهله هذه دعوى نعلنها للناس في مشارق الأرض ومغاربها، بأن هذا الدين، ليس عدوا لأحد من البشر، وإنما هو رحمة للعالمين، ونحن نؤمن بذلك إيماناً صادقا لا يشوبه شك، لثلاثة أمور:

الأمر الأول: اعتقادنا الجازم بأن القرآن حق، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم حق، وأن الإسلام هو الدين الحق الذي يعتبر كل ما يخالفه باطل وليس بحق.

الأمر الثاني: دلالة الواقع التاريخي في العصور التي طبق فيها الإسلام على صحة ما نقول.

فقد سعد الناس الذين حظيت بلدانهم بدخول المسلمين فيها بما لم يكونوا يحلمون به من العدل والرحمة والحضارة، في ظل الإمبراطوريات اليونانية والفارسية والرومانية، والشاهد على ذلك أن غالب تلك الشعوب أصبحت تدين بالإسلام، بالدعوة المجردة من السلاح في أغلب المعمورة، ولم يستعمل المسلمون السلاح إلا عندما يقف البعض ضد حرية الدعوة وضد سماع الناس الحق سواء آمنوا به أم لا، والدليل على ذلك قلة الشعوب التي فتحها المسلمون عنوة، وكثرة الشعوب التي دخلت في الإسلام عن طريق التجار والدعاة المخلصين في بلدان آسيا وأفريقيا وغيرها.

الأمر الثالث: المقارنة النظرية بين ما تضمنه القرآن والسنة والسيره النبوية، وأبواب التشريع الإسلامي في كتب الفقه وغيرها، عن حقوق الإنسان، رجلا وامرأة، صغيرا وكبيرا، فردا وأسرة، ومجمعا، حاكما ومحكوما، وبين ما تضمنته القوانين الدولية المعاصرة في ذلك.

إن المنصف الذي يقارن بين ما تضمنه الإسلام وبين ما تضمنته تلك القوانين، ويتجرد من التعصب والهوى، سيجد في تشريع الإسلام كل ما تضمنته تلك القوانين من إيجابيات في أعلى صورها والمزيد الذي لم تتعرض له، مع تجنب التشريع الإسلامي السلبيات التي احتوت عليها

مجلة
الدراسات
الدعوية

المحور الثامن : الرحمة واجب دعوي :

أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقال ﷺ: (إنما أنا رحمة مهداة)^(٢)، كما وصفه ربه بها وقد كانت هذه الصفة هي المهيمنة على سلوكه فقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣)، بل أكد رب العالمين أن فضيلة الرحمة التي برزت في سلوكه كانت وراء النجاح العظيم الذي حققه في ميدان الدعوة إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿فِيمَا رَحَّمْتُم مِّنَ اللَّهِ لَئِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤)، فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم فجعلته عليه الصلاة والسلام رحيماً بهم، لينا معهم، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، يحمل همومهم ولا يعنيه بهمه ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا، يقول ابن القيم في حق هؤلاء: (جعل الله انبساطهم مع الخلق رحمة لهم كما قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحَّمْتُم مِّنَ اللَّهِ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٦/١٢٢ حديث رقم ٩٢٠٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

إِنَّتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّضْنَا مِنْ حَوْلِكَ ﴿١﴾ ، فالرب سبحانه بسط هؤلاء مع خلقه ليقبليهم بهم السالك ويهتدي بهم الحيران ويشفي بهم العليل ويستضاء بنور هدايتهم ونصحهم ومعرفتهم في ظلمات دياجي الطبع والهوى ، فالسالكون يقتدون بهم إذا سكتوا وينتفعون بكلماتهم إذا نطقوا فإن حركاتهم وسكونهم لما كانت بالله ولله وعلى أمر الله جذبت قلوب الصادقين إليهم وهذا النور الذي أضاء على الناس منهم هو نور العلم والمعرفة رحمة لهم ﴿٢﴾ .

وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس ، ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة ، بل أعطاهم كل ما ملكت يده في سماحة ندية ، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم ، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحبية ، وكان هذا كله رحمة من الله به وبأتمته ﴿٣﴾ ، وجماع القول في ذلك ما قاله العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - : (الذي تدل عليه السنة المطهرة ، سنة النبي ﷺ أن الواجب على الإنسان أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة وباللين وبالتيسير فقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ :

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ يَأْتِي مِنْ أَحْسَنُ ﴾ ﴿٤﴾ ،

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣ / ٣٠٢) ، لمحمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،

تحقيق محمد حامد ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

(٣) النور الخالد محمد رسول الإنسانية لفتح الله كولن ١ / ٢٣٤ ، طبعة دار الشروق .

(٤) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

وقال الله تعالى له: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَافِقًا لِّمَا تُكْفِرُونَ لَأَلْجِزَنَّهُنَّ مِنَ الْعَذَابِ لَئِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ غَافِقًا لِّمَا تُكْفِرُونَ لَأَلْجِزَنَّهُنَّ مِنَ الْعَذَابِ لَئِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ غَافِقًا لِّمَا تُكْفِرُونَ﴾ (١)، وقال الله تعالى حين أرسل موسى وهارون إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّسَانًا لَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٢).

وأخبر النبي ﷺ: (أن الله يعطي على الرفق ما لا يُعطي بالعنف) (٣)، وكان يقول إذا بعث بعثاً: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تتفروا فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين) (٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإن ما يحصل بهذه الرحمة لا يحصل بغيرها لبعض النفوس) (٥).

وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم إلى داع وواعظ يتصف بصفات رسول الله ﷺ، فيستحق رحمة الله، فتلين له قلوب العباد ويلتفون حوله، ليعيدوا للإسلام ازدهاره، وللمسلمين مجدهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (٦).

إن المبلغ هو بطل الشفقة والرحمة قبل كل شيء، لا يتوسل لدفع الآخرين إلى قبول الحق الذي يدعو إليه بالوسائل الخاطئة كاستعمال القوة والخشونة والإكراه، لأن استقرار الإيمان بالله في القلوب ليس

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٢/٨ كتاب البر، باب فضل الرفق.

(٤) أخرجه البخاري، ٧/٣ كتاب الأدب، باب: قوله عليه الصلاة والسلام: «يسروا...»، ومسلم، ١٤١/٥ كتاب الجهاد، باب: الأمر بالتيسير وترك التنفير. - وأنظر قول ابن عثيمين - رحمه الله

- في قسم العلم والدعوة (٢٨٢/٦).

(٥) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم - (٣٦٩/٢).

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

بهذه الوسائل قطعاً، بل الشفقة في الإرشاد تليّن القلوب وترقق الوجدان، وتجعلهما تستأنسان وتتهيآن لقبول الإيمان بالله وبرسوله ﷺ، المبلغ يدفع مخاطبه إلى التصديق بالإقناع، فيحيطه بعلمه ويجذبه إليه بفضائله، فكل من يتعرف ويشاهد المبلغ، يشاهده أنموذج شخصية مجهزة بالفضائل، فلا شك أن تسليمه له ورضاه عنه، له أبلغ الأثر في قبول كلامه، بينما الجموع التي قُذِفَ في قلوبهم الرعب، يتوجسون خيفة من شخص المبلغ الذي يعرض المسائل في جو من الإكراه والاستبداد، فيتهيّبون حتى الحقائق التي يعرضها. والحقائق التي يراد تبليغها مهما كانت حيوية وودّية، فالفتور لدى المبلغين سيترك طابعه على السامعين. فمثل هذه الأطوار لا تأتي بخير قطعاً. علماً أنه لا يحق لأحد كائناً من كان أن يدفع الناس إلى الفتور عن الإسلام والخوف منه نتيجة أخطائه^(١).

لقد اعتلت الشفقة الذروة في أخلاق الرسول ﷺ كما هي في جميع خصاله الأخرى. فلقد أسس ﷺ دعوته العظيمة على ركائز جليلة كالشفقة، وبلغها في جو دافئ من الحنان والعطف. حيث يقول: (إنما أنا لكم مثل الوالد)^(٢)، وكيف لا، وهو الوالد الرؤوف الرحيم، نعم، إنه يفتح صدره ليضم كل فرد من أفراد أمته، فرداً فرداً، كما يضم الأب الرحيم ابنه الوحيد إلى صدره، وبالمقابل كل فرد من أفراد أمته يحبه أكثر من حبه لوالديه بل حتى من نفسه. بمعنى أن الصفة التي يجب أن تلازم المبلغ والداعية هي: المحبة النابعة من الشفقة والحنان، والسلوك الذي يقابل بالاحترام. هذه الصفة لها امتياز خاص،

(١) النور الخالد محمد رسول الإنسانية لفتح الله كولن ٢٣٤/١.

(٢) أخرجه النسائي في سننه ٣٨/١ (كتاب الطهارة - باب النهي عن الإستطابة بالروث حديث رقم ٤٠) وأخرجه ابن ماجة في سننه ٢٠٨/١ (كتاب الطهارة - باب الاستنجاء بالحجارة - حديث رقم ٣١٣ وأخرجه أحمد في مسنده ٢٤٧/١٢).

لأنه لا محل للمحبة والاحترام فيما يخلو من الشفقة والرأفة نعم ربما يدفع الناس بالقوة إلى الطاعة في أمور معينة، إلا أنكم لن تدفعوا أحداً إلى محبة الحقائق التي تريدون تبليغها. وفي الحقيقة ليس أمام الشفقة والرحمة باب مسدود لا يمكن فتحه. فجبال الثلج التي لا تذوب بالشفقة والرحمة لا يذوبها شيء قطعاً. لذا إن كنتم تريدون ربط الناس بعضهم ببعض بمحبة دافئة عليكم أن تطوؤهم تحت جناح الرحمة والشفقة أولاً. وما لم تعفوا عن تقصيرات الناس وأخطائهم، وما لم تظهروا لهم الحقيقة مفعمة بالشفقة والحنان، لن تحلوا حلاً جذرياً أية مسألة من مسائل الناس الفردية والجماعية.

يعلّمنا الرسول ﷺ كيفية سلوكنا أمام أخطاء الأمة وتقصيراتهم بهذه الصورة التمثيلية: **(إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالْفَرَاشِ يَقَعْنَ فِيهَا فَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقْحَمُونَ فِيهَا)**^(١) يفتح الرسول الكريم ﷺ بهذا المثال طريقاً واسعاً جداً للإرشاد، ويوضح أن من سار في هذا الطريق يوصل التبليغ إلى جموع عظيمة في المجتمع، بينما النظرات المخالفة والأفكار المباينة لهذا الطريق تؤدي إلى التردّي والاضمحلال، وأدهاها دفع الناس إلى الهلاك، وهذه حقيقة فأنتم أيها الدعاة بأيديكم الشفيقة الحنونة ترشدون الناس على طريق الخروج من المعاصي والآثام إلى طريق الطاعة والإيمان الخالص الذي يبحثون عنه. فإذا تقرّبتم إلى هؤلاء بالإشفاق عليهم وبينتم لهم المسائل ضمن رحمة ورأفة موزونة، فسينظرون إليكم وإلى ما تقدمونه لهم من مسائل بعين اللطف، وإن لم يتقبلوها، هذه حقيقة مشاهدة، حيث إنه قد انشرح بالإيمان قلوب

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٦٣/٧ (كتاب الفضائل - باب الشفقة على أمته رقم الحديث ٦٩٥).

من لا نتوقعه من أناس وفيما لا نتظره من زمان، ولهذا مئات الألوف من الأمثلة. ولأنكم أصبحتم سبباً لهدايتهم فسيظلون طوال عمرهم في شكران لجميلكم، فضلاً عن أنه يسجل في سجل حسناتكم مثل ما يقومون به من أعمال صالحة.

وهكذا على مبلغي اليوم ومرشديه أن ينظروا من هذه الزاوية إلى الناس ومن يريدون دعوتهم وتوجيههم، فلا تليق بالداعية الحدة والضرب والشدّة والفظاظة، أما الكذب والمنافع السياسية فبعيدة عنه بفراسخ عديدة.

فالداعية ليس إلا مثال الحب والشفقة والرحمة وفدائي المحبة. ومن تتظره القلوب الظمأى إلى الإرشاد هو هذا الداعية. وقدوتنا في هذا سيدنا الرسول الأعظم ﷺ، انظروا إليه، إنه لأجل أن يقول الناس " لا إله إلا الله" مرة واحدة، تعرّض إلى مهالك كثيرة وعانى معاناة شديدة، والحال أن الذين رشقوه وأدموه، وضيقوا عليه الخناق ووضعوا سلا الجزور على رأسه وهو في الصلاة، والأشواك في طريقه، ما كان يريد لهم إلا الهداية و دخولهم الجنة، يريد لها حتى لأعدائه. فما كان ينتظر منهم شيئاً لنفسه قط، فلقد رُشق بالطائف وأدميت قدمه الشريفة ووجهه المبارك حتى احتفى إلى بستان، كان معه زيد ﷺ، وسعى الملك لإمداده قائلاً: "إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"، ولكن هذا الرؤوف الرحيم رفع يديه قائلاً: (أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده لا يشركُ به شيئاً)^(١) ولم يرد أن تصيبهم أية مصيبة.

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) أخرجه البخاري ٤٠/٤ (كتاب بدأ الخلق - باب ذكر الملائكة - حديث رقم ٤٧٥٤) ومسلم في صحيحه ١٨١/٥ (كتاب الجهاد والسير - باب ما لقي النبي من أذى المشركين - حديث رقم ٤٧٥٤).

وكذا في ساحة الحرب، عندما انكسرت سنّة الشريفة، ودخل جزء من مغفره في وجهه المبارك وقعت قطرات من دمه الطاهر إلى الأرض، فرفع يديه إلى السماء كأنه يريد أن يصد غضب الله بالدعاء فقال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)^(١)، فصد بذلك البلاء الذي قد ينزل على الكفار، وواضح جداً تفجّر الرحمة والشفقة من كل كلمة من هذا الدعاء، وأقول: إن الشباب الذي يضطرب بالآلام المعاصي والكفر يحتاج إلى إسباغ رحمتكم ورأفتكم عليه، فلن تحصدوا شيئاً بالقوة والإكراه.

فالإسلام رحمة للبشرية ومحمد ﷺ إنما أرسل رحمة للعالمين، من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء، والبشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حس هذه الرحمة ونداها.

وهي قلقة حائرة، شاردة في متاهات المادية، وجحيم الحروب، وجفاف الأرواح والقلوب.

ونحن ندعو الشعوب غير الإسلامية وبخاصة المفكرين منهم والمثقفين القادرين على دراسة حقيقة الإسلام، أن تجتهد في دراسة المبادئ الإسلامية في القرآن والسنة، وفي كتب الفقه الإسلامي، ويعملوا عقولهم متجردين من دعايات من نصبوا أنفسهم أعداء للإسلام والمسلمين، من بعض الساسة والإعلاميين وبعض المتعصبين، ليطلعوا بأنفسهم على عظمة الإسلام الذي لو حمله أي شعب من شعوب الأرض، في الغرب أو الشرق، لقاد به العالم إلى مراقي الفلاح والتقدم والحضارة النافعة السليمة من آفات الظلم والفساد الذي انتشر في الأرض اليوم بسبب البعد عن منهج الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين...

مجلة

(١) أخرجه البخاري في صحيحة ٢١٤/٤ (كتاب التفسير - باب قوله - حديث رقم ٣٤٧٧) ومسلم

الدراسات

في صحيحة ١٧٦/٥ (كتاب السير والجهاد - حديث رقم ٤٧٤٧).

الغاية

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أقول أن قيمة الرحمة متشعبة في رسالة الإسلام ولا يمكن لباحث أن يستوفي جميع أطر الرحمة في الإسلام وما قدمته غيظ من فيض، أردت من خلاله التنبيه على هذا الخلق الإسلامي الرفيع حتى يتلمسه المسلم في حياته علاوة على الدعاة والمرشدين.

ويمكن أن نرصد من خلال العرض السابق جملة من النتائج تتمثل في:

- ١- دعا الإسلام إلى رحمة عامة لا تختص بالمسلمين وحدهم ، بل هي شاملة لهم ولغيرهم من المخلوقات في الدنيا.
- ٢- أن الإسلام نادى بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسية والجغرافية. لتلتقي في عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد.
- ٣- أن رحمة الضعفاء سمة من سمات الشريعة الإسلامية فقد حثت على الترفق بالضعفاء من أفراد المجتمع والأخذ بأيديهم نحو الكرامة الإنسانية.
- ٤- أن الشريعة الإسلامية كانت الأسبق عناية بحقوق الإنسان والدعوة إلى قيم العدالة والمساواة والحرية.
- ٥- الشريعة الإسلامية كانت الأسبق رعاية لحقوق الحيوان بل والأكثر واقعية وتنظيماً وذلك لأن رعاية هذه الحيوانات كانت بأمر الشارع الحكيم فكان المنطلق إيمانياً وواجباً دينياً في المقام الأول، فالحيوان البهيم، قد أعطاه الإسلام حظه من الرحمة والشفقة والإحسان.

- ٦- القول بتعارض إقامة الحدود مع خلق الرحمة دعوى باطلة ففي تطبيق الحدود الرحمة التامة لأن في إقامتها الحفاظ على المقاصد الشرعية التي لا تستقيم الحياة إلا بها فهي رحمة للمجتمعات لأنها سوف تحقق الأمان الذي افتقدته البشرية في هذه.
- ٧- دعوى أن الإسلام يدعوا إلى إراقة الدماء دعوى باطلة وذلك لان الجهاد في سبيل الله لم يشرع لقتل الناس لإكراههم على ترك دينهم والدخول في الإسلام، وإنما شرع لرد عدوان.

المصادر والمراجع:

أ- القرآن الكريم.

ب- كتب السنة والمتون:

- ١ - الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: دار الشعب - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.
- ٢ - الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري طبعة دار الجيل بيروت.
- ٣ - سنن النسائي المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
- ٤ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٥ - سنن الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- ٦ - سنن ابن ماجة ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الناشر: مكتبة أبي المعاطي.

- ٧ - موطأ مالك - رواية يحيى الليثي مالك بن أنس أبو
عبدالله الأصبحي الناشر: دار إحياء التراث العربي -
مصر تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٨ - مسند أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله
الشيباني الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- ٩ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير
للخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني.

ج- مراجع متنوعة:

- ١- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو
حامد، دار المعرفة - بيروت.
- ٢- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد
الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور
التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان
الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ٣- جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد
الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن
محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المحقق: د.
محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض
الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٤- حقائق الاسلام في مواجهة حملات التشكيك د/
محمود حمدي زقزوق وآخرين طبعة المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية القاهرة.
- ٥- علل وأدوية، محمد الغزالي، دار نهضة مصر الطبعة:
الأولى.

- ٦- المحاور الخمسة للقرآن الكريم محمد الغزالي دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى.
- ٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ٨- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم دار العلم الدار الشامية مكان الطبع: دمشق - بيروت سنة الطبع: ١٤١٢ هـ، تحقيق: صفوان عدنان داودي.
- ٩- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٠- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى.
- ١١- النور الخالد (محمد مفضرة الإنسانية) فتح الله كولن - طبعة دار الشروق ٢٠٠٢م.
- ١٢- هذا ديننا محمد الغزالي طبعة دار الشروق القاهرة.

فقه الدعوة في سيرة صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه

إعداد

الدكتورة: بدرية بنت سعود البشر
الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب
في كلية الدعوة والإعلام

الصحابة هم صفوة الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، أئمة الهدى،
وقدوة المقتدي، أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة، ونصحوا للأمة، خير
القرون وخير أمة أخرجت للناس.

شرفهم الله بصحبة نبيه، ومرافقته في السراء والضراء، بذلوا
النفس والنفيس في سبيل مؤازرته والوقوف معه ونشر دعوته حتى
قالوا: لو خضت بنا البحر لخضناه معك.

أثنى الله عليهم في كتابه الكريم ووعدهم جنات النعيم، قال جل
وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحَسَنِ رِضْوَانِ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرِضْوَانَهُ وَآمَنُوا بِمَا جَاءَتْ تَجْرِي مَحْتَمًا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾^(١).

وأثنى عليهم رسول الله، ثناءً عظيماً، وأمر بمحبتهم واحترامهم،
وشدد في النهي عن التعرض لهم بالإساءة، فلا يتعرض لهم إلا ضال أو
مناق، بل من شدة تشدده حكم بعض العلماء على المسيء بالتعزير
وقال آخرون: يقتل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تسبوا أصحابي، لا
تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد
ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: لو في هذا الحديث دلالة واضحة
على أن الصحابة - رضوان الله عليهم - لا يلحقهم أحد ممن بعدهم في
فضلهم.

فهم أهل السبق والفضل ناصرُوا وقت الضعف وأنفقوا في زمن
الحاجة، وأخذوا الحق المبين من صدره، وتعلموا على يدي صفوة
الخلق أجمعين فنالوا الرفعة واستحقوا الثناء.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: (من كان مستأً فليستن بمنن قد
مات، أولئك أصحاب محمد، كانوا خير هذه الأمة، أبرها قلوباً
وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ونقل

دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد، كانوا على الهدى المستقيم).

وصهيب الرومي رحمه الله، كان من هذه الصفوة المختارة، ومن السابقين الأولين للإسلام، توجه لرسول الله، في دار الأرقم المخزومي متخفياً ليعلن التوحيد، ثم كان الجهاد بالنفس والمال وتقديم الآخرة الباقية على الدنيا الفانية فكان مثالا للمؤمن الصادق، والداعية الحق، نذر نفسه لله ولازم رسول الله، في جهاده وقراره، فحري بنا أن نستعرض هذه السيرة العاطرة لنقدمها أنموذجاً لدعاة اليوم يستلهمون منها الطريق، ويحتذون بها في الدعوة إلى الله تعالى.

الحمد لله الوهاب المنان المنعم علينا بنعمة الإسلام، حمدا يواظف
نعمة ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على خير الخلق على الدوام،
نبي الرحمة والهدى والسلام وعلى آله وصحبه البررة الكرام، وعلى
من تبعه واقتفى أثره واهتدى بهداه إلى يوم يقوم فيه لله الأنام.
أما بعد:

فمنذ جاء رسول البشرية بدعوة الحق وبلغ الناس الهدى؛ والنفوس
الطاهرة تقبل على هذه الدعوة فتخالط شغاف قلوبهم وتملك كل
كيانهم فتصغر الدنيا في عيونهم، وتسمو نفوسهم، ويصبح الإيمان
منطلق أقوالهم وأفعالهم فلا يبالون ببداءات الشيطان وتغيره، ولا
يثيهم جبروت الطغاة وسلطانهم فما عند الله هو خير وأبقى، باعوا
الدنيا الفانية واشتروا الآخرة فما ضرهم ما أصابهم في ذات الله بعد
ذلك.

وكان منهم صهيب بن سنان الرومي الذي أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١)،
فقد دفع ماله الذي أشقى نفسه وأتعب بدنه في جمعه ليهاجر بدينه
ويلحق بركب الصفة، إلى بلاد الإيمان طيبة الطيبة حيث أنصار
رسول الله، وحيث العمل الدؤوب لنشر الإسلام بلا حدود ولا قيود.
وقد ضرب لنا صهيب أروع الأمثلة في قوة الإيمان والصدق
والصبر، وكانت له مواقف جليلة جعلت منه مثلاً وقدوة لدعاة
الإسلام حري بهم في كل عصر وزمان أن يقتدوا به ويسيروا على
نهجه.

وعنه كانت هذه الدراسة التي تم تقسيمها إلى مبحثين: الأول منهما فيه استعراض لسيرته، وما فيها من مواقف وأحداث والثاني فيما نستفيده من هذه السيرة الطيبة من فقه وعبر وفضائل.

تقسيمات البحث :

يشتمل هذا البحث على مبحثين :

المبحث الأول: في سيرة صهيب الرومي ؓ، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: نسبه ونشأته.

المطلب الثاني: صفاته.

المطلب الثالث: إسلامه.

المطلب الرابع: هجرته.

المطلب الخامس: فضائله.

المطلب السادس: جهاده في سبيل الله.

المبحث الثاني: فقه الدعوة من سيرته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: ما يتعلق بموضوع الدعوة.

المطلب الثاني: ما يتعلق بالداعية.

المطلب الثالث: ما يتعلق بالمدعو.

المطلب الرابع: ما يتعلق بالوسائل والأساليب.

ثم الخاتمة

وفهرس المراجع.

المبحث الأول: في سيرة صهيب الرومي ؓ

المطلب الأول:

نسبه ونشأته:

صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن خزيمة، المعروف بالرومي أصله من النمر بن قاسط؛ سبته الروم من نينوى.

وإنما قيل له: الرومي، لأن الروم سبوه صغيراً، فأغارت الروم عليهم، فأخذت صهيباً وهو صغير، فنشأ بالروم. ووالدته: هي سلمى بنت قعيد بن مهيض بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم.

كان أبوه وعمه عاملين على الأبلّة وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل، وقيل: كانوا على الفرات من أرض الجزيرة، فسببت الروم صهيباً، وهو صغير، فابتاعته منهم كلب، ثم قدموا به مكة فاشتراه عبدالله بن جدعان التيمي منهم، فأعتقه، فأقام معه حتى هلك عبدالله بن جدعان.

وأما أهل صهيب وولده فيقولون: بل هرب من الروم حين بلغ وعقل فقدم مكة فحالف عبدالله بن جدعان وأقام معه إلى أن هلك.

المطلب الثاني:

صفاته:

كان صهيب، أحمر شديد الحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى القصر أقرب، أقرن الحاجبين، كثير شعر الرأس، وكان يخضب بالحناء.

وكان في لسانه عجمة شديدة بسبب نشأته في أرض الروم
ومخالطته لهم؛ روى زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى
مجلة الدراسات الدعوية

دخل على صهيب حائطا له بالعالية، فلما رآه صهيب قال: يناس يناس، فقال عمر: ماله لا أبا له، يدعو بالناس؟ فقلت: إنما يدعو غلاما له اسمه يُحنس، وإنما قال ذلك لعقدة في لسانه، فقال له عمر: ما فيك شيء أعيبه يا صهيب إلا ثلاث خصال، لولاهن ما قدمت عليك أحدا: أراك تتنسب عربيا ولسانك أعجمي، وتكثني بأبي يحيى اسم نبي، وتبذّر مالك. فقال: أما تبذيري مالي فما أنفقه إلا في حقه، وأما اكتنائي بأبي يحيى فإن رسول الله، كناني بأبي يحيى؛ فلن أتركها، وأما انتمائي إلى العرب فإن الروم سببني صغيرا، فأخذت لسانهم، وأنا رجل من النمر بن قاسط، ولو انفطقت عني روثة لانتميت إليها.

كان موصوفا بالكرم والسماحة، وكان فيه مداعبه وحسن خلق، فقد روى عبدالحكيم بن صهيب عن عمر بن الحكم بن ثوبان قال: قدم صهيب، على رسول الله، وهو بقباء ومعه أبو بكر وعمر، وبين أيديهم رطب قد جاءهم به كثوم بن الهدم أمهات جراذين، وصهيب قد رمد بالطريق وأصابته مجاعة شديدة، فوقع في الرطب. فقال عمر: يا رسول الله: ألا ترى إلى صهيب يأكل الرطب وهو رمد؟ فقال رسول الله،: تأكل الرطب وأنت رمد؟ فقال صهيب: وإنما آكله بشق عيني الصحيحة. فتبسم رسول الله.

وكان مشهورا بالتسديد في الرماية ولهذا خشيه النفر الذين تبعوه لما أراد الهجرة، فعن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي، فأتبعه نفر من قريش نزل عن راحلته، وانتثل، ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أنني من أركم رجلا، و أيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ثم أضرب بسيفي

مجلة
الدراسات
الدعوية

ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شئتم، دلتكم على مالي وثيابي
بمكة وخليتكم سبيلي؟ قالوا: نعم...).

المطلب الثالث:

إسلامه:

كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد بضعة وثلاثين رجلا،
أسلم وعمار في يوم واحد. فقد كان عائدا من إحدى رحلاته فسمع
بدعوة النبي، للناس للتوحيد وعبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان وسائر
المنكرات التي كان عليها الناس آنذاك. فقال: أليس هذا الذي يقبونه
بالأمين؟ فقالوا: بلى، وأخبروه عن مكانه في دار الأرقم بن أبي الأرقم
فتوجه إليه، ولقي عند الباب عمار بن ياسر فدخل على الرسول،
وأَمْضيا يومهما عنده، ولما خرجا كان الإيمان قد ملأ قلوبهما.

قال عمار بن ياسر: (لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم
ورسول الله فيها، فقلت له: ما تريد؟ قال لي: ما تريد أنت؟ فقلت:
أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك.
فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يوما على ذلك
حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون. فكان إسلام عمار وصهيب
بعد بضعة وثلاثين رجلا).

وكان من الأوائل الذين أظهروا إسلامهم وعُذِبَ في ذلك حتى لا
يدرِي ما يقول، فعن عبدالحكم بن صهيب، عن عمر بن الحكم
قال: كان عمار بن ياسر يعذب حتى لا يدرِي ما يقول، وكان صهيب
يعذب حتى لا يدرِي ما يقول، في قوم من المسلمين.

وقال ابن عباس ، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(١) ، أخذ المشركون - يعني عمار بن ياسر -

وأخذوا أباه وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم....!

وقال ابن مسعود: (أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله، وأبو بكر، وعمار وأمه سمية، وصهيب وبلال، والمقداد، فأما رسول الله، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس....).

المطلب الرابع:

هجرته :

لما هاجر رسول الله، إلى المدينة لحق به من بقي في مكة من أصحابه ومنهم صهيب، فتبعه نفر من المشركين، فنزل كنانته وقال لهم: يا معشر قريش، تعلمون أني من أركامكم، ووالله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا على مالك ونخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم عليه، ولحق برسول الله، فقال له رسول الله: ربح البيع أبا يحيى، فأنزل الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْغَاتٍ اللَّهُ وَاللَّهُ زَعِيمٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(٢).

المطلب الخامس:

فضائله:

فضائله عديدة، ويكفيه أن أنزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، عن ابن مسعود، قال: مر الملائكة من قريش على رسول الله وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار قالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء أتريد أن

نكون تبعاً لهؤلاء فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَقَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَتَقْرُؤَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

قال الإمام ابن سعدي - رحمه الله - :...فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم بل هم مستحقون لموالاتهم ومحبتهم، وإدنائهم وتقريبهم، لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، الأعداء في الحقيقة وإن كانوا عند الناس أذلاء.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، محباً لصهيب، حسن الظن فيه، حتى إنه لما ضرب أوصى أن يصلي عليه صهيب، وأن يصلي بجماعة المسلمين ثلاثاً، حتى يتفق أهل الشورى على من يُستخلف.

روى سالم عن أبيه: أن عمر قال: إن حدث بي حدث فليصل بالناس صهيب، ثلاثاً، ثم أجمعوا أمرهم في اليوم الثالث.

ولما قبضت روح عمر، تقدم صهيب، ليصلي عليه، فعن سعيد بن المسيب - رحمه الله - قال: (لما توفي عمر نظر المسلمون فإذا صهيب يصلي بهم المكتوبات بأمر عمر، فقدموا صهيباً فصلى على عمر).

وقال عنه عمر: (نعم الرجل صهيب، ولو لم يخف الله لم يعصه) معناه لو لم يكن فيه خوف الله لمنعته قوة دينه من معصيته فكيف وهو خائف.

وعن الحسن البصري - رحمة الله - أنه قال: لحضر أناس باب عمر وفيهم: سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب والشيخوخ من قريش، فخرج آذنه لأهل بدر كصهيب وبلال وعمار - وقال: وكان والله بدريا، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم - فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط ! إنه يأذن لهذه العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا. فقال سهيل بن عمرو: أيها القوم إني والله قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضايا فأغضبوا على أنفسكم، دعي القوم ودعيتم؛ فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل فيما يرون أشد عليكم فوتا من بابتكم هذا الذي تنافسون عليه، ثم قال: إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فألزموه، عسى الله عز وجل أن يرزقكم الجهاد والشهادة، ثم نفض ثوبه فقام فلقح بالشام، قال الحسن: صدق والله، لا يجعل الله عبدا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه.

وروى عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال، في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي، فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فأتاهم أبو بكر فقال: يا أخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي.

المطلب السادس:

جهاده في سبيل الله:

قال عنه أبو نعيم في حلية الأولياء: السابق المهاجر، المطعم المتاجر، لماله بذول، ولنفسه قتول، ولدينه عقول، وبريه تعالى يجول ويصول.

فصهيب، احتمل من مجاهدة النفس والصبر على الابتلاء الشيء الكثير حتى ما يستوي قاعدا من شدة التعذيب ثم هاجر إلى المدينة وفي طريق الهجرة بذل كل ماله في سبيل الخلاص بدينه والاتحاق برسول الله، وفي المدينة كان مع رسول الله في جهاده لرفع راية الدين، يقول صهيب: (لم يشهد رسول الله، مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا وكنت أمامهم، ولما وراهم إلا كنت وراهم، وما جعلت رسول الله، بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله. وقد استمر يجاهد بعد رسول الله، و أمضى حياته جنديا مخلصا في جيش الإسلام الفاتح، حتى كانت الفتنة الكبرى؛ فتنة مقتل عثمان، فاعتزل الناس، واجتنب الفتنة، وأقبل على العبادة حتى توفاه الله.

وكانت وفاته على الراجح سنة ثمان وثلاثين؛ ذكر الإمام ابن العماد(ت: ١٠٨٩هـ) في شذرات الذهب في أخبار سنة، ثمان وثلاثين: لوفي شوال منها توفي صهيب بن سنان الرومي، أحد السباق الأربعة... وتوفي بالمدينة...).

وقال الواقدي (ت: ٢٠٧هـ): حدثني أبو حذيفة رجل من ولد صهيب عن أبيه عن جده قال: مات صهيب في شوال سنة ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين.

وقال المدائني (ت: ٢٢٤هـ): عاش ثلاثا وسبعين سنة.

وقال الفسوي (ت: ٢٧٧هـ): عاش أربعاً وثمانين سنة.

المبحث الثاني : فقه الدعوة من سيرة صهيب ؓ

المطلب الأول:

ما يتعلق بموضوع الدعوة:

١. بيان أن الهداية بيد الله تعالى ييسرها لمن يشاء من عباده:
فهذا صهيب، أتى من بلاد بعيدة ليدخل الإسلام بعد أن سمع عن خروج نبي جديد برسالة جديدة فيها هداية البشرية وصلاحها، فيتتبع الأمر ويحرص على السؤال عن صاحب الرسالة محمد، ثم يتأكد من صفاته ليطباقها مع الصفات التي ذكرها علماءهم وقساوستهم ثم يتجه إليه ليعلن إسلامه رغم خطورة الأمر في بداياته.
بينما في بلد الإسلام ومنطلق الرسالة مكة المكرمة من لم يقبل الدين ومات على شركه.

٢. أهمية العقل السليم في هداية صاحبه إلى الحق:

ظهر ذلك جليا في قول صهيب، عندما سمع بدعوة محمد، الناس للتوحيد، حيث قال: (أليس هذا الذي يقبونه بالأمين) فمعرفة صهيب، بسيرة رسول الله، ووصف قومه له بالخصال الحميدة، ومنها الأمانة جعله يوقن أنه لن يتقول أو يكذب ويتأكد من ذلك عندما علم أنه لم يعهد منه ذلك مما وصفوه به.

٣. بيان حال الدعوة في بداياتها:

بدأت دعوة رسول الله، سرية فقد كان يجتمع بأصحابه، في دار الأرقم خفية، وكان أصحابه ومن أراد أن يسلم يأتونه مستخفين عن أعين قريش خشية أن يعلموا بهم فيؤذوهم أو يصدوهم عما جاءوا له.

قال عمار بن ياسر: (لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله، فيها، فقلت له: ما تريد؟ قال لي: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه، قال: وأنا أريد ذلك. فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مستخفون..)

ورغم أن هذه حالهم من التخفي والخوف من الاعتداء والبطش إلا أنه أسلم فيها جماعة كثيرة من قريش بفضل الله ومنته.

٤. بيان أن من ترك شيئاً لوجه الله عوضه الله خيراً منه:

فهذا صهيب، ترك ماله لقريش مقابل أن يظفر بدينه ويلحق بركب رسول الله، فأبدله الله بخير من ذلك كله وهو إخبار الرسول، له بالريح في هذه الصفقة رغم الخسارة الظاهرة، إضافة إلى نزول آيات فيه تتلى إلى قيام الساعة وهذا مصداق قول رسول الله: ((إنك لن تدع شيئاً لله إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه))، أما المال فقد فتح الله، عليهم فامتلكوا كنوز كسرى وقيصر.

٥. وجوب احترام الصالحين واتقاء ما يغيظهم:

احترام ذوي المكنات وأهل العلم والصلاح وتقديرهم من سمات المجتمع المسلم، لذا أمر الرسول، أمته بتجنب ما يؤذيهم أو يسيء لهم أو يثير غضبهم.

نجد ذلك في سيرة صهيب حين قال النبي، لأبي بكر مع فضله ومكانته: ((لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك)).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: [ويستفاد منه احترام الصالحين، واتقاء ما يغيظهم، أو يؤذيهم، فإن في ذلك غضب الله، أي حلول عقابه بمن آذى أحداً من أوليائه].

٦. مشروعية المزاح إذا لم يكن فيه كذب أو تجني على أحد :
فالمزاح مشروع بضوابط وذلك بأن يكون بالقول الصادق ولا يتضرر به أحد كأن يترتب عليه وقوع خلاف أو الإساءة لأحد، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: ((نعم غير أنني لا أقول الا حقاً)). وهذه هي المداعبة التي حافظ عليها طوال حياته.

ومنه أيضا ما ورد أنه جاءت عجوز إلى النبي، وقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: ((يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز))، قال: فقلت تبكي ثم قال: ((أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز وإن الله يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَىٰ ﴿١﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٢﴾ عُرًّا وَأُرُبَّاءَ ﴿٣﴾)).
ومن هذا المنطلق كان صهيبا، يمازح رسول الله، وأصحابه حتى وصف بأن فيه دعاية، ومنها ما كان منه مع رسول الله، حين رد عليه بقوله: (إنما آكله بشق عيني الصحيحة).

٧. تحقيق مبدأ المساواة في الإسلام:
إن ميزان التفاضل في الإسلام يقوم على أساس التقوى والإيمان وليس المكانات والمراتب الاجتماعية، لذا جاء النهي من الخالق، لنبيه، أن يستجيب لطلب كبار قريش بإبعاد صهيب وعمار وخباب وأمثالهم عن مجالسه والاكتماء بمجالسه عظماء القوم: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْعَيْشِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾؛ ذلك أن الدعوة تبلغ لهم جميعا، وقراءة القرآن عليهم وتعليم أمور الدين حق عام لا يستثنى منه أحد، فلا اعتبار في الإسلام ولا تفاضل بالمنزلة الاجتماعية، بل الجميع سواء.

المطلب الثاني :

ما يتعلق بالداعية:

(١) أهمية الإعداد الإيماني والنفسي للمسلم الجديد :

وهذا ظاهر مما كان يقوم به النبي ﷺ، في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي حيث كان يجتمع بصحابته ليعلمهم أمور هذا الدين ويتلو عليهم ما ينزل عليه من القرآن الكريم، ويباحثهم في شأن الدعوة، وما وصلت إليه، وموقف المعارضين لها والصادقين عن سبيلها. ويعددهم ويهيئهم ليوأجلها مجتمعاً عاش دهوراً على الجهل والضلال وليس من السهل انتشاله منه، بعزيمة لا تحبطها الصعوبات والمعوقات.

(٢) من صفات الداعية: التثبت في، النقل عن رسول الله ﷺ:

النقل عن رسول الله ﷺ، ليس كالنقل عن غيره لأن أقوال الرسول ﷺ، وأفعاله هي تشريع واجب الاتباع، لذا كان الصحابة، يتحرون في الحديث عن رسول الله ﷺ، خشية أن يلتبس عليهم أمر أو يختلف الفهم للمراد.

وصهيب كان يتهيب أن يقول قال رسول الله ﷺ، من شدة حرصه على التثبت والنقل الصحيح.

أخرج ابن سعد في الطبقات عن سليمان بن حرب قال: أخبرنا جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن سليمان بن أبي عبد الله قال: كان صهيب يقول: هلموا نحدثكم عن مغازينا، فأما أن أقول: قال رسول الله ﷺ فلا.

المطلب الثالث:

ما يتعلق بالمدعو:

(١) من صفات المؤمن: الصبر على الابتلاء:

فلقد ابتلي صحابة رسول الله ﷺ، بأنواع الابتلاء من جلد وحرق وصهر برمضاء مكة واضطهاد لا تحمله إلا القلوب المؤمنة الصابرة المحتسبة، ثم هاهم يتركون أموالهم وتجارتهم ومساكنهم عند مضطهديهم في مكة كما كان من صهيب عند هجرته في سبيل أن يستعلي إيمانهم وأن يتمكنوا من تطبيق منهج ربهم، كما صبروا من قبل على الإيذاء والاضطهاد والسخرية في مكة في سبيل أن يثبتوا على الحق الذي ملأ قلوبهم اقتداء بنبيهم الذي ناله أشد الإيذاء من قومه ومع هذا لم يكن منه إلا أن يدعو لهم بأن يغفر الله لهم ويلتمس لهم العذر عند ربهم بأنهم لا يعلمون حقيقة ما جاء به.

عن سعد بن أبي وقاص، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: ((الأنبياء ثم الأمثل، فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة)).

(٢) من صفات المؤمن: الشجاعة:

إن من أكمل صفات المؤمن: الشجاعة والإقدام؛ وتزيد تبعاً لزيادة الإيمان في قلبه لأنه بقدر الإيمان في قلبه وقدر معرفته بربه ويقينه بأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له يكون إقدامه إلى رضوان ربه وبسالته خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى كما

مجلة
الدراسات
الدعوية

كان من صهيب في كثير من المواقف مع رسول الله والصحابة الكرام حيث كان في مقدمتهم كما حدث بذلك في قوله: (وما

خافوا أمامهم قط إلا وكنت أمامهم، ولأما وراهم إلا كنت وراهم، وما جعلت رسول الله، بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله ﷺ).

(٣) من صفات صهيب ؓ: الصدق:

عرف صهيب رضي الله عنه بصدق القول، حتى قبل إسلامه، دل على ذلك تصديق قريش له حين قال لهم: (فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا على مالك ونخلي عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم عليه) فتركوه وشأنه متجهاً إلى أرض غير أرضهم، وإلى من سيحميمهم منهم، ولم يطلبوا منه بينه، ولم يشكوا في صدقهم بما أخبرهم به.

(٤) من مناقب صهيب سبقه للإسلام:

تعددت مزايا صهيب، وفضائله وكان من أعظمها وأجلها كونه من السابقين الأولين للإسلام حيث كان إسلامه بعد بضع وثلاثين رجلاً، حين اتجه إلى دار الأرقم حيث كان رسول الله، والقلعة القليلة من تابعيه لينتقل بدخوله من باب تلك الدار من عالم التيه والضلال إلى عالم الهدى والرشاد.

(٥) علو منزلة صهيب ؓ:

دل على ذلك قول النبي ﷺ: ((لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك))، وهذا الاستفهام الإنكاري موجه لأبي بكر، أفضل صحابة رسول الله ﷺ، وأعلام منزلة.

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في هذا الحديث: يدل على

رفعة منازل هؤلاء المذكورين عند الله تعالى.

(٦) من فقه صهيب رضي الله عنه اعتزاله الفتن:

فإنه لما قامت الفتنة في عهد علي، اعتزلهم صهيب، مسترشدا بتوجيه النبي، لأتمته في حال حدوث الفتن كما جاء في الصحيح عن حذيفة قال: يا رسول الله! أبعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها))، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: ((هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا)) قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم)) قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: ((فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)) وعن أبي بردة قال: دخلت على محمد بن مسلمة فقال: إن رسول الله، قال: ((إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف فإذا كان فائت بسيفك أحدا فاضربه به حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية))، فقد وقعت، وفعلت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام السندي - رحمه الله -: ليريد أن الصبر على الموت فيها أحسن من الحركة لكون الحركة تزيد في الفتنة .أ.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن))؛ يشرب لبنها ويأكل من لحمها ويرتزق من رزق الله، وهو محافظ على دينه لا يسمع لهذا ولا ذاك ولا يؤثر فيه أحد من الناس، ناجيا بنفسه، سالما من الفتن.

وفي موقعة الجمل عندما خرجت عائشة رضي الله عنها تطلب دم

عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما كان من عقد الصلح بعد القتال الشديد بين الفريقين، سار كعب بن سور إلى أهل المدينة يسألهم عن بيعة طلحة

مجلة
الدراسات
الدعوية

والزبير لعلّي، فلما قدمها اجتمع الناس إليه، وكان يوم الجمعة، فقام وقال: يا أهل المدينة، أنا رسول أهل البصرة، نسألكم هل أكره طلحة والزبير على بيعة علي أم أتياها طائعين؟ فلم يجبه أحد إلا أسامة بن زيد، فإنه قام وقال: إنهما بايعا وهما مكرهان، فأمر به تمام بن العباس فوثبه سهل بن حنيف والناس، وثار صهيب وأبو أيوب في عدة من أصحاب النبي، فيهم محمد بن مسلمة حين خافوا أن يقتل أسامة فقالوا: اللهم نعم، فتركوه، وأخذ صهيب أسامة بيده إلى منزله وقال له: أما وسعك ما وسعنا من السكوت؟ قال: ما كنت أظن أن الأمر كما أرى.

فصهيب، لم يكتف بعدم الخروج للقتال بل لما جاءوا له في المدينة وسألوه في أمر يتعلق بالفتنة القائمة لم يجب، بل ودرأ شراً كان سيكون بإجابة أخيه أسامة، كل ذلك كان حرصاً منه على إخماد الفتنة ووأدها في مهدها.

المطلب الرابع:

ما يتعلق بالوسائل والأساليب:

١. من وسائل الدعوة: الجهاد في سبيل الله:

إن من وسائل الدعوة العظيمة: الجهاد في سبيل الله ولهذا بذل الصحابة، جهدهم ومالهم في سبيل نشر دين الله وتبليغه للناس كافة؛ ولهذا الأهمية حرص صهيب رضي الله عنه، على ملازمة الرسول في غزواته كلها لم يفته منها شيء وكان في كل منها في مقدمة الصفوف وفي حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول صهيب رضي الله عنه في ذلك: (لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مشهداً قط إلا كنت حاضره، ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزاة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا وكنت أمامهم، ولأما وراءهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم).

٢. من أساليب الدعوة: التبشير بالخير:

إن من الأساليب المهمة في الدعوة تبشير الداعية إخوانه بما يسرهم لتطمينهم وإدخال الفرح والسرور إلى نفوسهم، ولهذا فإنه بمجرد رؤية النبي، لصهيب، قادماً إليه في المدينة وهو يعلم ما حدث له مع قريش قال: ((ربح البيع أبا يحيى)) مطمئناً له ومخبراً له خبر اليقين أن ما فعله فيه الخير الكثير له.

٣. من أساليب الدعوة: ذكر الداعية بعض عمله للاقتداء به:

فإن من التحفيز ورفع الهمم عند المدعوين أن يذكر الداعية بعض أعماله - وإن كان فعلها، لوجه الله ورغبة في الثواب منه سبحانه - وذلك بغرض الاقتداء به والسير على نهجه لا رياء وسمعة، كما فعل

صهيب، حين أخبر بمواقفه البطولية كونه شارك في جميع غزوات رسول الله ﷺ باستبسال وتقدمهم في لحظات الخوف، وحمى رسول الله ﷺ.

وقد أكد على أهمية هذا الأسلوب الإمام النووي - رحمه الله -

حيث قال:

استحباب إخفاء الأعمال الصالحة وما يكابده العبد من المشاق في طاعة الله تعالى، ولا يظهر شيئاً من ذلك إلا لمصلحة مثل بيان حكم ذلك الشيء والتنبية على الاقتداء به فيه ونحو ذلك.

٤. من أساليب الدعوة: الثناء على المحسن:

أسلوب الثناء من الأساليب القرآنية حيث أثنى الله، في آيات عدة على رسله وعلى الصالحين وذوي الفضائل والخصال الحميدة كما في قوله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُ أُوذِيَ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَةً مِنْهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا مِمَّا هُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ مَثَلَهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرِيمٍ أَخْرَجْتُكَ مِنْهَا فَتَنَّاكَ مَا تَسْقُطُ فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُرُوقٍ يُضَيِّطُ بِهِنَّ الْكُفَّارُ وَصَالِحُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهِيَ الْفَالِحَةُ مِنْهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : (وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم... ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم).

وفي هذه السيرة ورد ثناء النبي، على صهيب، : ((ربح البيع أبا يحيى)) حين باع الدنيا واشترى دينه وآخرته :فقد أثنى على صنيعه وأيده على فعله وبشره بالعوض من الله تعالى.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يقتدي برسول الله ﷺ، ويتخذ هذا الأسلوب في دعوته لحث الناس وترغيبهم في الاستمرار في طريق الخير فيقول للمحسن أحسنت ليشعره بقيمة عمله.

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

الختامة :

أحمد الله تعالى أن يسر لي هذا البحث ووقفني للنهل من سيرة هذا الصحابي الجليل الذي كان في سيرته، فوائد عظيمة تجلت في معرفة شخصية تمثل أنموذجا لصحابة رسول الله، وما كانوا عليه من التمسك الشديد بدينهم رغم شدة الظروف وقسوة المعارضين، وبذلهم ما يملكون في سبيل الحفاظ على عقيدتهم ؛ بل والسعي إلى التلذذ بممارسة دينهم دون قيود أو إيذاء من المخالفين، وضربوا أروع أمثلة القدوة في الثبات على دين الله مهما كانت الإغراءات والعقبات، والتضحية من أجله والعمل لإعلاء رايته والتمكين له في الأرض. ومن هذه الفوائد :

- وجوب الاقتداء بأصحاب رسول الله، لأنهم يمثلون أنموذجا للمؤمن الحق الذي يسير على هدى من ربه، وكل همه الحصول على مرضاة الخالق جل وعلا والفوز بالنعيم في روض الجنان في الآخرة.
- اليقين بأن طريق الدعوة شاق ومليء بالصعوبات ولهذا كان الجزاء من الله تعالى لمن صبر واحتسب جنة عرضها كعرض السموات والأرض، لذا كان لزاما علينا أن نشحذ الهمم وندفع نفوسنا دفعا نحو مدارج السالكين إلى رضوان رب العالمين.
- أن في تصرف صهيب، مع قريش وإيثاره للأخرة درسا عظيما وقاعدة جليلة تزهد في الدنيا وتسمو بالنفوس إلى طلب ما عند المولى جل وعلا ينبغي أن يضعها المؤمن نصب عينيه.

- أن الفتن من سنن الحياة وهي واقعة لا محالة لذا حرص النبي ﷺ، على تعليم أمته كيفية التعامل معها، وتصرف صهيب، يعد تطبيقاً لهذه التوجيهات النبوية الشريفة.
- أن من واجبات الداعية إنزال الناس منازلهم لكن لا يعني هذا إقصاء الفقراء والمساكين، ولهذا نجد أن رسول الله، لم يمنع صهيباً وأمثاله من مجالسته بعد ما قاله الملأ له بشأنهم بل قربهم وأدناهم تحقيقاً لمبدأ المساواة في الإسلام.
- وختاماً أسأل الذي يسره أن ينفع به، وأصلي وأسلم على خير الخلق وصفوتهم أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - تحقيق علي محمد البجاوي - الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م - دار الجيل - بيروت.
- الإصابة في تمييز الصحابة للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالمودود والشيخ علي محمد معوض - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م - دار الكتب العلمية - بيروت.
- أسباب النزول للإمام الشيخ علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، - دراسة وتحقيق الدكتور السيد الجميلي - الطبعة الثالثة - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م - دار الكتاب العربي - بيروت.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري - تحقيق وتعليق محمد البنا ومحمد عاشور ومحمود فايد.
- إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع / تقي الدين أحمد بن علي المقرئزي، - تحقيق محمود محمد شاكر - الطبعة الثانية، - مطابع قطر الوطنية - الدوحة.
- البداية والنهاية للإمام الحافظ أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي - حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه علي شيري - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م - دار الكتاب العربي - بيروت.
- تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للفقهاء المحدث أبي العلى محمد عبدالرحمن عبدالرحيم المباركفوري - قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه رائد بن صبري بن أبي علفة - بيت الأفكار الدولية - عمان - الأردن.
- تفسير القرآن العظيم / للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار الفكر.
- تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني - تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا والشيخ عمر السلامي والشيخ علي بن مسعود - دار المعرفة - بيروت.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني - حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف - الطبعة الثالثة - ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م - مؤسسة الرسالة - بيروت.
- التوابين / لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي - تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م - دار الكتب العلمية - بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن من كلام المنان للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق عبدالرحمن بن معلا

اللوحيق - الطبعة الثالثة - ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م - مكتبة الرشد - الرياض.

• الجامع لأحكام القرآن/لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - بدون معلومات غلاف.

• حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني - الطبعة الأولى - ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م - مطبعة السعادة.

• حياة الصحابة للعلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي - تحقيق الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة - الطبعة الثانية - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م - دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، - دمشق.

• السلسلة الصحيحة / محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

• سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة.

• السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية / مهدي رزق الله أحمد - ، الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م - مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض.

• شذرت الذهب في أخبار من ذهب للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحى بن أحمد بن محمد ابن العماد - دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت.

مجلة
الدراسات
الدعوية

- شرح سنن ابن ماجه القزويني / للإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، - دار الجيل - بيروت.
- شرح صحيح مسلم للإمام النووي محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي - حققه وعلق عليه ووضع فهارسه لجنة من العلماء بإشراف الناشر - راجعه الشيخ خليل الميس - دار القلم - بيروت.
- صحيح سنن ابن ماجه (الإمام المحدث الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني) / محمد ناصر الدين الألباني _ الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م - المكتب الإسلامي - بيروت.
- صحيح سنن الترمذي (الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي) / محمد بن ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع -، الرياض.
- صفة الصفوة للإمام جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي - ضبطه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: عبدالرحمن اللاذقي وحياة شيحا اللاذقي - الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م - دار المعرفة - بيروت.
- الطبقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري - ١٢٩٨هـ / ١٩٧٨م - بيروت للطباعة والنشر - بيروت.
- الكامل في التاريخ للشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد

- الشيباني المعروف بابن الأثير - ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م - دار صادر - بيروت.
- فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - حققه وخرج أحاديثه وصي الله بن محمد عباس - الطبعة الأولى - ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م - مؤسسة الرسالة - بيروت.
 - المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية - صالح العساف - الطبعة الثانية - ١٤٢١هـ - مكتبة العبيكان - الرياض.
 - معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م - دار صادر - بيروت.
 - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي - حققه وعلق عليه وقدم له محيي الدين متو ويوسف بديوي وأحمد السيد ومحمود بزال - دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
 - الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي - الطبعة الثانية - ١٤١١هـ / ١٩٩١م - دار صادر - بيروت.

تكريم الدعوة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

الدكتور: محمد هلال الصادق هلال
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
في جامعة الملك سعود

المقدمة

الحمد لله الذي شرفنا بحمل لواء الدعوة إليه، نحمده - سبحانه - ونسأله أن يجعلنا من الدعاة المخلصين، الذين يقولون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون.

والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، ففتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صمماً، وقلوباً غلفاً، وجاهد في سبيل ربه حتى أتاه اليقين، أما بعد...

فإن الدعوة إلى الله - تعالى - شرف عظيم، يصطفي الله له خيرة خلقه من أولي النفوس التقية والهمم العلية، وقد قرر الحق - سبحانه - خيرية الأمة الإسلامية بما نيط بها من حمل لواء الدعوة إلى الله تعالى، قال - جل وعلا - : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَا يَكْفُرُ لَكُمْ أَنْ يَأْتِيَ كِتَابًا مِمَّنْ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فِي سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَكْفُرُ بِهِ مِنْ لَدُنْ اللَّهِ وَمَا تَكْفُرُ بِهِ مِنْ لَدُنْ نَفْسِكُمْ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ يُخَوِّفُ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا الْإِسْلَامَ فَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (١).

فخيرية هذه الأمة مشروطة بأن تكون أمة دعوة إلى الله، والخير في هذه الأمة ممدود إلى يوم القيامة، والجهود المخلصة التي تستهدف إخراج الناس من الظلمات إلى النور تزداد يوماً بعد يوم بفضل الله، وسيبقى - بإذن الله تعالى - لواء الدعوة عالياً خفاقاً تتفانى أنفس مؤمنة نفيسة وغالية في سبيل حمله إلى ربوع العالمين؛ إيقاناً بأن حمل هذا اللواء أنفس وأغلى، وأن الجزاء عند الله أوفى.

من أجل هذا رفع الإسلام قدر هؤلاء الدعاة، وكرمهم تكريماً يتناسب مع سمو هدفهم ونبل غايتهم، ورصد لهم من الأجر العظيم ما

يتناسب مع وعورة الطريق، فتكريم الإسلام للدعاة تكريمٌ جدارة واستحقاق.

ولا شك أن لتكريم الدعاة في الإسلام أثراً كبيراً في ميدان الدعوة إلى الله تعالى؛ إذ إنه من ناحية يمثل طاقة دافعة لهؤلاء الدعاة، تعينهم على مواصلة الطريق وتحمل مشقاته وعقباته، ومن ناحية أخرى يوحي إلى نفوس المدعوين بعظمة المهمة وروعة الرسالة ورفع مكانة القائمين بتبليغها؛ الأمر الذي ينعكس احتراماً للدعاة، ومن ثم الاستجابة للدعوة والخضوع لمرادها، خاصةً عندما يُترجم هذا التكريم واقعاً ملموساً في حياة الدعاة إلى الله تعالى.

وغني عن البيان أن تجاهل دور الدعاة أو النيل منهم - بأي شكل من الأشكال في أي زمان أو مكان - ينذر بخطر محقق تبدو شواهد هجرًا للدعوة والدعاة، وضرباً بأقوالهم عرض الحائط، ومن ثم انتشار الانحراف الفكري والسلوكي في كافة أنحاء المجتمع وقطاعاته، ومجتمع هذا شأنه سرعان ما تتفكك أوصاله، ويتقطع نسيجه، ويأوي إلى زاوية الظلام في ذاكرة التاريخ.

ومن هنا تتبع أهمية هذا البحث الذي جعلته بعنوان:

(تكريم الدعاة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى)

ويستهدف هذا البحث التذكير بتكريم الدعاة في الإسلام؛ تعميقاً لمكانتهم في النفوس، واستنهاضاً للقائمين على أمر الدعوة في بلاد الإسلام - وخاصة البقاع التي يتراجع فيها تكريم الدعاة - لإحداث التناسب بين هذا التكريم الإسلامي للدعاة وتكريمهم في الواقع المعاش مادياً ومعنوياً؛ كي يتحقق الأثر المنشود في ميدان الدعوة بإذن الله تعالى.

مجلة
الدراسات
الدعوية

وتأتى خطة هذا البحث على الوجه التالي:

- المقدمة.
- التمهيد: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.
- المبحث الأول: تكريم الدعوة في الإسلام: أدلة ودلالات.
- المبحث الثاني: مؤهلات استحقاق الدعوة لتكريم الإسلام.
- المبحث الثالث: تكريم الدعوة بين التأصيل والتفعيل.
- المبحث الرابع: أثر تكريم الدعوة في الدعوة إلى الله تعالى.
- الخاتمة: وتشتمل على أبرز نتائج البحث وأبرز التوصيات.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

وبعد:

فلست أزعم أنني أنظر إلى بحثي هذا بعين الرضا التام، فالكمال لله وحده، والعصمة لأنبيائه ورسوله، ولكن حسبي أنني قد استقرغت فيه طاقتي، وبذلت فيه جهدي، فإن كنت قد أصبت فالفضل لله - تعالى - وحده، وإن كانت الأخرى فعذري أنني قصدت الخير، وشفيعي قول الحق - جل وعلا - : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفِتْرَةَ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ آخِلَانًا كَثِيرًا ﴾^(١).

والله أسأل أن يجعل هذا البحث نور هداية وإرشاد، وسبيل توفيق وسداد، ونبع خير وإسعاد، يعم ببركته العباد والبلاد... آمين.

التمهيد

التعريف بمصطلحات عنوان البحث:

إن تعريف المصطلحات التي يشتمل عليها عنوان البحث يعد الخطوة الأولى على طريق البحث الذي حُدِّدَ موضوعه وعنوانه، وقد اشتمل عنوان هذا البحث (تكريم الدعاة وأثره في الدعوة إلى الله تعالى) على أربعة مصطلحات بارزة جديرة بإلقاء الضوء عليها؛ بيئاً لمفهومها، وتحديدًا لإطار الموضوع المُعْتَوَّنِ بها، وهذه المصطلحات هي: (تكريم - الدعاة - الأثر - الدعوة)، وبيانها كما يلي:

❖ (تكريم):

مصدر للفعل الرباعي (كَرَّم)، يقال: كَرَّم فلانٌ فلانًا تكريمًا؛ أكرمه وأنزله المنزلة اللائقة به. والتكريم والإكرام بمعنى^(١). ومن خلال هذا التعريف اللغوي يمكن القول: إن التكريم يعني: وضع ما هو جيد ومؤثر وفعال في موضعه اللائق به؛ تقديرًا لذاته - لقيمته وكفاءته وأثره الملموس - أو لمعنى فيه.

ولا شك أن حديثي عن تكريم الجدارة والاستحقاق، ومما لا يخفى أن التكريم قد يكون ماديًا، وقد يكون معنويًا، وغني عن البيان - كذلك - أن معنى التكريم ومغزاه، وما يجلبه من شرف وجاه، يفوق في نفوس أولي النهى كل ما هو مادي، أدناه وأعلاه، أرخصه وأغلاه.

مجلة

(١) الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: د/ إميل بديع يعقوب، الدراسات
د/ محمد نبيل طريفي، ٤٠٤/٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م. الدعوية

❖ (الدعاة):

(الداعي) في اللغة: اسم فاعل من الفعل (دعا)، يقال: دعا يدعو فهو داع، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة، فيقال عمن عرف بالدعوة: (داعية)^(١).

وأما في الاصطلاح فقد عرف الداعي بتعريفات كثيرة متغايرة في اللفظ متقاربة في المعنى، ومن تلك التعريفات ما يلي:

❖ الداعي هو: (المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه)^(٢) فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها، إلا أن الذي يقوم بهذه الأعمال جميعها هو الداعية الكامل^(٣).

❖ الداعي هو: (المبلغ للدعوة، الحامل لأمانتها، الحريص على نجاحها)^(٤).

❖ الداعي هو: (القائم بالدعوة، والمباشر لأدائها، والمزاوول لمهامها، سواء كان متطوعاً أو رسمياً، فرداً كان أو جماعة)^(٥).

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين أبو الفضل بن منظور الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١ هـ) تحقيق / عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ٢ / ١٣٨٥، دار المعارف، القاهرة، (بدون).

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، ص ٤٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د/ محمد أبو الفتح البيانوني، ص ٤٠.

(٤) يسألونك في الدين والحياة، د/ أحمد الشرياصي، ٦ / ٦٣٥، دار الجيل، بيروت، ط الثانية ١٩٨٠ م.

(٥) المصطلحات الدعوية: تعريفات ومفاهيم، د/ عبد الله بن محمد المجلي، ص ٢٥٠، بحث علمي

محكم ومنشور بالعدد الأول من مجلة الدراسات الدعوية بجامعة الإمام / محمد بن سعود الإسلامية، محرم ١٤٢٩ هـ

وغني عن البيان أنه لا قيام للدعوة بدون داعية يؤمن بها، ويتحمل أمانتها ومسؤولية تبليغها، راجيا عموم بركتها وانتشار خيرها. وعند ذكر بركة الدعوة وخيرها تتبادر الأذهان إلى دعوة الإسلام.

❖ (الأثر):

بالنظر في معاجم اللغة العربية يتضح أن لكلمة (الأثر) عدة معانٍ، منها:

- ١- النتيجة: وهي الحاصل من الشيء.
- ٢- ما يترتب على الشيء، وهو المسمى عند الفقهاء بالحكم.
- ٣- العلامة، وهي السمة الدالة على الشيء.
- ٤- بقية الشيء: وفي المثل: (لا تطلب أثراً بعد عين) يضرب لمن يطلب أثر الشيء بعد فوت عينه.
- ٥- الخبر المروي والسنة الباقية.
- ٦- ما خلفه السابقون.

وجمع (أثر): (آثار)، وهي اللوازم المعللة بالشيء.

وقد يطلق الأثر على الشيء المتحقق بالفعل باعتباره حادثاً عن غيره، وهو بمعنى ما مرادف للمعلول أو للمسبب عن الشيء^(١).

والمعنيان: (الأول والثاني) هما المرادان في هذا المقام، فكما أن تكريم الدعاء إلى الله - تعالى - يُعدُّ - في حد ذاته - أثراً أو نتيجة مترتبة على عوامل متنوعة، كذلك يُعدُّ - من ناحية أخرى - سبيلاً يصل الدعاء من خلاله إلى أثر محمود، وهو تحول المجتمع بالدعوة

يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه من خير أو شر، والاصطلاح أو المقام هو الذي يحدد المقصود من الدعوة.

الدعوة في الاصطلاح: لقد تعددت تعريفات الدعوة في الاصطلاح تبعاً لتعدد رؤى الباحثين، وكل ما ورد من تعريفات للدعوة لا تخرج عن أحد مفهومي الدعوة: الدعوة بمعنى (الدين)، والدعوة بمعنى (البلاغ)، والعلاقة وثيقة بين المعنيين، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، والتلازم بينهما هو التلازم الذي بين الرسالة والرسول، فلا رسول بدون رسالة، والرسالة لا تصل ولا تثمر ثمارها بدون رسول صنعه الله على عينه واجتباها واصطفاه لتبليغ رسالة الحق إلى الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وقد وردت تعريفات كثيرة للدعوة بمعنى (الدين)، ومن هذه التعريفات أنها "برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس؛ ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"^(١)، ولعل القارئ الكريم يلاحظ أن هذا التعريف يصلح تعريفاً للدين الإسلامي.

وكذلك وردت تعريفات كثيرة للدعوة تركز على الجانب التبليغي تطبيقاً، كما وردت تعريفات أخرى تركز على الجانب التبليغي علماً.

فمن التعريفات التي ركزت على الجانب التبليغي التطبيقي للدعوة أنها "حثُّ الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة عاجل والآجل"^(١).

ومن التعريفات التي ركزت على جانب التبليغ كقولها "أنها العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"^(٢).

ومن خلال التعريفات السالف ذكرها أستطيع أن أعرف الدعوة إلى الله - تعالى - بأنها (بذل كافة الجهود النظرية والتطبيقية الرامية إلى تبليغ الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهدايتهم إلى صراط الله العزيز الحميد)

كما قال - سبحانه وتعالى - في مطلع سورة إبراهيم: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِنَّ صِرْطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٣).

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ / علي محفوظ، ص ١٧، دار الاعتصام، القاهرة، ط الخامسة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد أحمد غلوش، ص ١٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧م.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١.

المبحث الأول: تكريم الدعاة في الإسلام؛ أدلة ودلالات

إن ميدان الدعوة إلى الله - تعالى - يضم بين جنباته دعاة اللسان، ودعاة البنان، ودعاة السلوك بالجوارح والأركان، ويدور هذا المبحث حول بيان تكريم الإسلام للدعاة الذين حملوا أمانة الدعوة في قلوبهم، وترجموها في واقع حياتهم، وجعلوا هداية الناس من أسمى غاياتهم، ويتجلى ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: أدلة تكريم الدعاة في الإسلام:

لقد تضافرت الأدلة - قرآنًا وسنة - على مدح أهل الدعوة إلى- الله تعالى - وبيان فضلهم ومكانتهم، وأن الدعوة إلى- الله تعالى - تأتي في عداد - بل في مقدمة - المؤهلات الإيمانية التي تؤهل أربابها إلى ما يلي:

١- الخيرية على المستوى الفردي والجماعي:

قال - سبحانه - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي

مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

وقال النبي - ﷺ - مادحًا أهل الدعوة إلى الله - تعالى - :
(خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم)^(٢).

هذا بالنسبة للخيرية التي تحققها الدعوة إلى الله - تعالى - على المستوى الفردي، وأما بالنسبة للخيرية التي تحققها الدعوة إلى الله - تعالى - على المستوى الجماعي فقد جعل الحق - سبحانه -

(١) سورة فصلت، الآية رقم / ٣٣.

(٢) أخرجه الإمام / أحمد في المسند عن درة بنت أبي لهب برقم (٢٧٣٠٧) (١٨ / ٥٤٦)، وقال المحقق أ / حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

الدعوة إلى صراطه المستقيم ومنهجه القويم أساساً لخيرية الأمة الإسلامية، وصفة ملازمة لها، وفي هذا يقول - جل وعلا - : ﴿ كُتِبَ خَيْرَ أَمْوَالٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمَّا أَهْلُ الْكُتُبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ إِنْ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(١).

٢- نيل عظيم الثواب:

وفى هذا يقول النبي - ﷺ - : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)^(٢).

ويقول - ﷺ - لسيدنا علي بن أبي طالب - ﷺ - : (فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)^(٣).

٣- النجاة من عموم العقاب:

عندما يقوم الدعوة إلى الله - تعالى - بواجبهم في مجتمع يرفض الاستجابة والامتثال، ويصر على مبارزة الله بالمعاصي فإنهم بذلك يقدمون المعذرة إلى الله وبناءً عليه تكون النتيجة نجاة الدعوة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من عقاب الله إذا ما نزل بمن أعرضوا عن دعوة الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة آل عمران، من الآية رقم / ١١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - ﷺ - في كتاب (العلم) باب (من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) حديث رقم (٢٦٧٤) (بشرح النووي ١٦ / ٢٢٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه عن سهل بن سعد - ﷺ - في كتاب (الفضائل) باب (فضائل علي بن

أبي طالب ﷺ) حديث رقم (٢٤٠٦) (بشرح النووي ١٥ / ١٧٨)، وحرر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه.

ويدل على هذا قول الله - سبحانه - : ﴿ وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْبِ وَاللَّيْلِ ﴾

كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلَّوْهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا مَا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِنَّكُمْ رَبُّكُمْ وَاللَّهُمَّ يَتَّفِقُونَ ﴿٣٤﴾ فَلَمَّا سَأَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الشُّرْعِ وَأَخَذُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِمْ يَظَاهِرُ لَهُمْ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٥﴾

٤- رحمة الرحمن الرحيم والفوز العظيم بجنات النعيم:

قال - سبحانه - : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٧﴾

وقال - جل شأنه - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُعَدِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ عَلَيْهِمْ حَافٍ التَّوَرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْفُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِهِ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي بَاعَ بِكُمْ بِهِمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٨﴾ السَّاجِدُونَ الْعَاكِفُونَ الْمَسْكُوتُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾

(١) سورة الأعراف، الآيات رقم / ١٦٣ - ١٦٥.

(٢) سورة التوبة، الآيات رقم / ٧١، ٧٢.

(٣) سورة التوبة، الآيات رقم / ١١١، ١١٢.

٥- الفلاح في الدنيا والآخرة:

وهي الثمرة الكبرى الشاملة لما سبقها، وفي هذا يقول الحق - سبحانه - : ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، واللام في (ولتكن) للأمر، والأمر للوجوب، والفلاح هنا فلاح مطلق يشمل فلاح الدنيا والآخرة.

وبذلك يتضح تكريم الإسلام للدعاة الذين يسلكون مسلك الأنبياء والمرسلين، وينالون من الله الأجر العظيم وخير الدنيا والآخرة.

ثانياً: دلالات تكريم الدعاة في الإسلام:

بشيء من التأمل في الأدلة السالف ذكرها، والتي تضافرت لبيان تكريم الإسلام للدعاة إلى الله، تُستخلص دلالات كثيرة جليلة الأثر في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، ومن تلك الدلالات ما يلي:

١- الدعوة إلى الله - تعالى - هم أحسن الناس وخير الناس بشهادة رب العالمين وشهادة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وشرف الدعاة مستمد من شرف الرسالة التي يحملون أمانة تبليغها، وانتسابهم إلى طريق الأنبياء والمرسلين "فالرسل بعثوا ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ودعاة الحق كذلك يقومون بالدعوة وينشطون لها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور"^(٢).

٢- أجر الدعاة إلى الله - تعالى - أجر عظيم، ممتد ومتجدد باستمرار الأثر الطيب للدعوة في حياة الناس إلى أن يأذن الله - سبحانه - بانتهاء الحياة، وفي هذا تحفيز للهمم كي تبذل أقصى ما في وسعها في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

(١) سورة آل عمران، الآية رقم / ١٠٤.

(٢) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، لسماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، ص ٤٢، رقاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط الرابعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣- عموم التكريم لكل من انخرط بصدق في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، يقول الإمام / ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قول الله - سبحانه - : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) : "وهذه الآية عامة في كل من دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد"^(٢).

٤- خيرية الأمة الإسلامية مرتبطة بكونها أمة دعوة، يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في تفسير قول الله - سبحانه - : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) : في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإن تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم"^(٤).

فالأمة الإسلامية تتحقق خيريتها بمجموعها إذا ما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منتشرًا بين أفرادها.

٥- تكريم الدعوة في الإسلام مرصود لمن سلك طريق الدعوة متجردا مخلصا النية لله رب العالمين، وليس مرهونا بتحقيق الهداية في حياة الناس؛ انطلاقا من كون الله - سبحانه - يحاسب على الأخذ

(١) سورة فصلت، الآية رقم / ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ / عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، ٤ / ١٠٠، مكتبة مصر، القاهرة (بدون).

(٣) سورة آل عمران، من الآية رقم / ١١٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ٤ / ١١١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الخامسة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

بالأسباب فحسب، إذ إنه ليس من الضروري أن تأتي الأسباب بالنتائج المتوقعة، فالعباد يأخذون بالأسباب والنتائج على الله جل وعلا.

٦- ترك الدعوة إلى الله - تعالى - مجلبة للذم والغضب والعقاب، وقد كان ترك الدعوة إلى الله - تعالى - أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر سبباً من أسباب استحقاق بني إسرائيل اللعنة من رب العالمين، لما يعقب هذا الترك من انتشار الفساد الاجتماعي واضطراب أحوال البلاد والعباد، قال - سبحانه - ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٣٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا أَخَذْنَاهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٤١﴾﴾^(١)، وهذا الذم الذي لحق بني إسرائيل يلحق كل من فعل فعلهم إلى قيام الساعة.

وما أكثر الأحاديث والآثار الواردة في التهيب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها:

❖ عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)^(٢).

❖ وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت - : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)^(٣).

(١) سورة المائدة، الآيات رقم / ٧٨ - ٨١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٣٢٩) (٣/ ٦٥) وقال المحقق أ/ أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.
(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب (الفتن) باب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) حديث رقم (٤٠٠٤) (٢/ ٤٩٧) وقد انفرد به ابن ماجة عن الكتب التسعة.

❖ وعن قيس بن أبي حازم قال: قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَمْتَدَّ يَدَهُ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعَكُمْ جَمِيعًا فَبِئْسَ كُفُلًا ﴿١﴾﴾^(١)، وإننا سمعنا النبي - ﷺ - يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)^(٢).

❖ وعن حذيفة بن اليمان عن النبي - ﷺ - قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتتهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)^(٣).
ومن خلال هذه الأدلة وغيرها يتضح أن ترك الدعوة إلى الله - أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر - أمر جد خطير، وخيمة عواقبه على الفرد والمجتمع: فالفرد لا يجد مجتمعا فاضلا يقف له بالمرصاد، منعاً له من الانحراف، وتقويماً لما اعوج من سلوكه، وبيانا للطريق المستقيم، وأخذاً بيده إلى هذا الطريق، وبالتالي تكثر خطى الفرد وتسرع في طريق الغواية والانحراف.

(١) سورة المائدة، من الآية رقم / ١٠٥.

(٢) أخرجه أبو داود بلفظه في سننه في كتاب (الملاحم) باب (في الأمر والنهي) حديث رقم (٤٣٣٨)

(٥ / ٥٦)؛ وكذا أخرجه الترمذي في سننه في كتاب (الفتن) باب (ما جاء في نزول العذاب إذا لم

يغير المنكر) حديث رقم (٢١٦٨) (٤ / ٤٠٦) وقال: حديث صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب (الفتن) باب (ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

حديث رقم (٢١٦٩) (٤ / ٤٠٦) وقال: حديث حسن.

والمجتمع الذي يتكون من مجموعة أفراد إذا ما ضعفت لبناته ونخر سوس الانحراف أعمدته وركائزه فسرعان ما تتفكك أوصاله، ويتقطع نسيجه ويأوي إلى زاوية الظلام في ذاكرة التاريخ. وليس هناك أخطر ترهيباً ولا أكثر ترويعاً من عدم استجابة الدعاء أو عموم العقاب وشموله للعاصين بمعصيتهم وللطائعين بسكوتهم مع قدرتهم على الإنكار أو محاولة التغيير بما تيسر لهم من قدرة، ومن هنا جاء التحذير الإلهي: ﴿ وَأَعْوَابِنَا لَا نُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(١).

ولا يعدم إنسان أن يكون قادراً على إنكار المنكر بحسب حاله: باليد أو باللسان أو بالقلب، كما بين ذلك سيدنا رسول الله - ﷺ - في حديثه الشريف حيث قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)^(٢).

وإذا كان ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مذموماً هذا الذم، ومعاقباً عليه بهذا العقاب الشديد فما بال الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف؟ أولئك هم الموصومون بالنفاق والفسق وياتباع خطوات الشيطان، وما أسوأ المصير، وفي ذلك يقول الحق - جل وعلا - : ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بِمَعْشَرَ مِنَ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْرَأُونَ آيَاتِهِمْ تُسَوِّأُ اللَّهُ فَسِيحُهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمْ

(١) سورة الأنفال، الآية رقم / ٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري - ﷺ - في كتاب (الإيمان) باب (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان) حديث رقم (٤٩) (شرح النووي ٢ / ٢٢).

الْفٰسِقُوْنَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللهُ الْمُنٰفِقِيْنَ وَالْمُنٰفِقَاتِ وَالْكٰفِرَاتِ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيْمٌ ﴿٦٨﴾ (١).

ويقول - جل جلاله - : ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّبِعُوْا خٰطِرَاتِ الشَّيْطٰنِ وَمَنْ يَّبْتَغِ خٰطِرَاتِ الشَّيْطٰنِ فَاِنَّهٗ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاۗءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهٗ مَا زَكٰنَ مِنْكُمْ مِنْ اٰحَدٍ اَبَدًا وَلٰكِنَّ اللهُ يُزَكِّيْ مَنْ يَّشَآءُ وَاللهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴿٢﴾ (٢).

ويقول - ﷺ - : (ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) (٣).

٧- لم تترك الدعوة الإسلامية أمر تبليغها وتحقيق عالميتها للانتفاع بخيرها رهنا بهمة أتباعها، بل أصلت لذلك التبليغ حكما تشريعيا، هو أن تبليغ الدعوة الإسلامية واجب على كل مسلم ومسلمة، كل بقدر استطاعته، ممدوحٌ فاعله ومكرمٌ ومثاب، مذمومٌ تاركه ومعرضٌ للعقاب، وهذا أمر ثابت بنص الكتاب والسنة، كما سبق بيانه.

٨- تكريم الدعوة في الإسلام يهيب بكل من ينخرط في ميدان الدعوة إلى الله - تعالى - أن يحترم دعوته، وأن يترفع عن كل ما يؤثر على طهارة الدعوة ونقاؤها وجليل أثرها.

٩- تكريم الدعوة في الإسلام يهيب بأولي الأمر في بلاد المسلمين أن يعنوا بالدعوة والدعاة: ماديا ومعنويا.

(١) سورة التوبة، الآيتان رقم / ٦٧، ٦٨.

(٢) سورة النور، من الآية رقم / ٢١.

المبحث الثاني : مؤهلات استحقاق الدعاة لتكريم الإسلام

إن تكريم الإسلام للدعاة لا يشمل الأذعياء، وإنما يحظى به من تتوافر فيه مجموعة من المؤهلات تؤهله لاستحقاق ذلك التكريم الإسلامي، وفيما يلي بيان لأبرز تلك المؤهلات:

أولاً: الداعية مفارة هداية بحاله ومقاله:

فقد تحقق في شخصه الاهتداء والانتفاع بنور الدعوة، فأصبح قدوة حسنة يؤثر بحاله قبل مقاله، واللّه - عز وجل - يقول: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيِّنَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾^(١)، ويقول - سبحانه - : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا زَادْنَاهُمْ هُدًى وَآتَيْنَاهُم تَقْوَاهُمْ﴾^(٢)، وعلى وجه العموم فإن الاهتداء الشخصي والثبات عليه من مؤهلات استحقاق التكريم، فضلاً عن حب الاهتداء للآخرين والعمل الجاد لتحقيقه في واقع حياتهم.

ثانياً: الداعية طراز فريد من البشر:

إن الداعية يفوق سائر الناس بعلو همته وسمو غايته ودقة خطته وحكمة مسيرته، وإخلاص السريرة وحسن السيرة... إلخ، "فالدعوة إلى الله - تعالى - أمانة ودراية، وعلم وفن، ولذلك كان القيام بالدعوة على وجهها مع التزام أصولها وآدابها غير ممتسر لكل من هب ودب، فإنه واجب ثقيل جليل نبيل، ويحتاج إلى الأخيار من الرجال والأبرار من الأبطال، المتدربين بالحكمة، المتذرعين بالصبر،

(١) سورة مريم، من الآية رقم / ٧٦.

(٢) سورة محمد، الآية رقم / ١٧.

المتضلعين من المعرفة واليقين ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١) (٢).

ولا يستطيع الداعية أن ينجح في ميدان الدعوة إلى الله - تعالى - إلا إذا توافرت فيه عدة مقومات تجعله قادرا على خوض ميدان الدعوة متفاعلا مع كافة فئات المدعوين محققا للأثر المنشود بإذن الله تعالى، ومن تلك المقومات ما يلي:

١- التزام القول الحسن، فالكلمة الطيبة حسنة راجحة في ميزان الإسلام، والداعي إلى الله ينبغي أن يكون كلامه أحسن قول مستطاع في طاقة البشر، بحيث لا يكون هناك من هو أحسن كلاما من الداعية إلى الله تعالى.

٢- الجمع بين القول الحسن وبين العمل النقي الطيب.

٣- الإخلاص في القول والعمل، وفي قول الحق - سبحانه - :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣)

يقول العلامة شيخ الإسلام / محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - : "فيه التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه"^(٤)، "فالذي يدعو إلى الله هو الذي لا يريد إلا أن يقوم دين الله، والذي يدعو إلى نفسه هو الذي

(١) سورة يوسف، الآية رقم / ١٠٨.

(٢) الموسوعة الشريافية في الخطب المنبرية، د/ أحمد الشريافي، ١ / ٦٩، ٧٠، دار الجيل، بيروت، (بدون)، من خطبة بعنوان (الدعوة إلى الله).

(٣) سورة يوسف، الآية رقم / ١٠٨.

(٤) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - رحمه الله -، ص ٩٤، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، للمملكة العربية السعودية، ط السادسة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

يريد أن يكون قوله هو المقبول، حقا كان أم باطلا^(١)، "الداعية إلى الله لا يريد من الناس أن يردوا إليه جزاء على دعوته، وإنما يريد الأجر من الله، كما قال - سبحانه - : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمَهُدَّهِمْ أَقَدَرُ قُلْ لَا أَتَمَلَّكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، والداعية إلى الله لا يريد الرفعة والعلو في الأرض، وإنما يريد المصلحة للناس ومنفعة الناس ويريد إخراجهم من الظلمات إلى النور. هذا الذي يريده الداعية الناجح. أما الذي بعكس ذلك يريد مظهرا أو يريد ثناء من الناس فهذا لا شك أنه يرجع من أول الطريق عندما يقابل أول عقبة، أما الذي يدعوا إلى الله فإنه لا ينثني، بل يستمر في دعوته"^(٣).

٤- الاعتزاز بالعقيدة، وإعلان كلمتها، وتأكيد الثبات عليها، والافتخار بالانتساب إليها والتحدث عنها بلا ريب أو تردد.

٥- القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين الصواب والخطأ، وتمجيد الشيء الحسن والميل إليه بالقلب والحس، وتقبيح الأمر السيئ والبعد عنه، فهناك أولا فرق واضح بين الحسنة والسيئة، وكذلك هناك بين الحسنة والحسنة تفاوت ودرجات، فهناك حسنة خير من حسنة أو أعلى منها، وكذلك يوجد بين السيئة والسيئة تفاوت ودرجات، فهناك سيئة هينة أو

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - ، ١/ ١٢٩ ، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الثانية ١٤٢٤ هـ.

(٢) سورة الأنعام، الآية رقم/ ٩٠.

(٣) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ٣/ ٢٥٧ مجلة
بتصرف، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى
الدراسات
الدعوية
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

محتملة، وهناك سيئة ثقيلة أو وبيلة، وهكذا. ومعرفة الفروق بين الحسنات والسيئات، أو بين الحسنات والحسنات، أو بين السيئات والسيئات تحتاج إلى علم وبصيرة وحكمة.

٦- العمل على كسب الأصدقاء والأولياء باسم الله تبارك وتعالى، وباسم الدعوة إلى دين الله عز وجل، وتحويل الأعداء إلى أنصار وأحاب على أساس من الإيمان واليقين ببراعة وذكاء، ويتحقق هذا بمقابلة السيئة بالحسنة، ودفع السوء بالعمل الصالح الطيب، ومقاومة الشر بعوامل الخير، وإزالة الخبث بظهور الإيمان، فالداعية مطالب بأن يلزم التي هي أحسن، أي أحسن الخصال، وأحسن الأحوال، وأحسن الأقوال، وأحسن الأعمال، والمقابلة بالتي هي أحسن إنما تكون عند الإساءة التي تقبل الاحتمال أو الإغفال، ولكن إذا كانت الإساءة موجهة إلى العقيدة أو الأمة، أو أخذت صورة البغي والطفيان، فهناك تكون الحسنة نعم الحسنة هي التأديب والردع، ولذلك قال الله - عز وجل - : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ كَرِهُوا لَكُمْ﴾^(١)، وقال - سبحانه - : ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٢).

٧- توطين النفس على تحمل تبعات الدعوة إلى الله تعالى، وتحمل تلك التبعات يحتاج إلى عزيمة راسخة وإرادة ثابتة وصبر جميل.

٨- عدم الاستجابة لهواتف التردد أو الشك، والبعد عن وسوسة الشيطان أو الاستجابة له في شيء، والاعتصام بحبل الله القوي المتين أمام إغراء الشيطان ومخادعته والتحصن بقوة الله العلي الكبير.

٩- اليقين بأن الله - جل جلاله - هو المراقب المشاهد، وهو المثيب المجازي؛ لأنه يسمع كل شيء، ويعلم كل أمر، وهو لا يضيع أجر العاملين، فما على الداعية إلا أن يبذل جهده في الدعوة إلى الله، وأجره على الله، استجاب الناس أم لا.

هذه المقومات السابق ذكرها مستخلصة من قول الله - عز وجل

- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْمَسْنُونَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِالْقِيَامِ إِلَى اللَّهِ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَكِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُرِّيَةُ عَظِيمٍ ﴿٣٨﴾ وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعًا سَوْدًا بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾﴾^(١) (٢).

١٠- مواكبة الداعية لأحداث عصره، وهو أمر غاية في الأهمية؛ ليجعل الداعية المدعويين معايشين لواقع أمتهم بهدي الإسلام، وليرتبط الداعية مع المدعويين برياط الأحداث؛ حرصا على وصل الدين بالمجتمع، فالدين يجب أن يكون للحياة، وأن يكون مؤثرا وموجها للأحياء، وبغير ذلك يكون الداعية في وادٍ والمدعو في وادٍ آخر. ومن توافرت في دعوته تلك المقومات السالف ذكرها فتح الله لدعوته العقول والقلوب، ويكون بذلك قد كرم نفسه ودعوته فاستحق بذلك تكريم الإسلام، ومن لا يكرم نفسه لا يكرم.

(١) سورة فصلت، الآيات رقم / ٣٣ - ٣٦.

(٢) لمزيد بيان حول تلك المقومات راجع: الموسوعة الشريافية في الخطب النبوية، ١ / ٦٩ - ٧٣ في مجلة الدراسات الدعوية الفوزان، ٣ / ٢٥٣ - ٢٦٨.

ثالثاً: الداعية صاحب رسالة لا وظيفة:

إن الداعية - في الأصل - صاحب رسالة لا صاحب وظيفة، ورسالته امتداد لرسالة الأنبياء والمرسلين، ومن الأهمية بمكان استصحاب الداعية لهذا الأصل؛ كي يبذل وسعه في سبيل الدعوة، ويتقنن في الوسائل والأساليب التي يصل بها إلى مأربه الدعوي، ويتحمل العنت والأذى وكل ما يصيبه في طريق الدعوة المليء بالعقبات والتحديات، ويتقبل كل الطوارئ التي تواجهه بطيب نفس واستعداد لبذل المزيد والمزيد وتقديم التضحيات.

وعندما تتحول الدعوة إلى مجرد وظيفة تتراجع الدعوة إلى الوراء، ويفقد الناس هداية نورها.

وإذا تقررَ أن الداعية صاحب رسالة لا صاحب وظيفة، فلنا أن

نتساءل: ما هي رسالة الداعية ؟

١- رسالة الداعية دعوة الناس إلى دين الله في إطار من ترتيب الأولويات، "فبيدأ أولاً بإصلاح العقيدة؛ لأنها هي الأساس الذي تبنى عليه سائر الأعمال، ومن هنا كانت دعوات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أول ما تتجه إلى إصلاح العقيدة بالدعوة إلى التوحيد وترك الشرك، قال - تعالى - ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْفِرِينَ ﴾^(١)، وهكذا كانت دعوة نبينا محمد ﷺ، فقد لبث ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك قبل أن يأمرهم بصلاة أو زكاة أو صيام أو حج، مما يدل على أن منهج الأنبياء - عليهم الصلاة

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) سورة النحل، من الآية رقم / ٣٦.

والسلام - في الدعوة منهج واحد، وهو البداية بالدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك ثم إلى بقية الأحكام، وحتى لو كان المجتمع مسلماً فإنه لا يخلو من وجود أنواع من الشرك في بعض الناس وبعض البلاد بسبب انتشار الجهل وبسبب انتشار المشعوذين والدجالين الذين يحاولون إفساد عقائد الناس^(١).

٢- "رسالة الداعية غوص إلى الأعماق، وتقويم للأخلاق، ومهاجمة للبدع والخرافات، وحكم في المشكلات"^(٢).

٣- "اليقظة والانتباه؛ لتتبع الشبهات والأباطيل، والكر على الطعون الدينية والافتراءات الإلحادية بما يقضي عليها القضاء المبرم، وهذا يستلزم من الداعية مواصلة البحث، ومداومة الدرس، والعكوف على المصادر والمراجع والكتب، فيتسع أفقه الثقايف، ويتضاعف محصوله العلمي، فيكون خير مثال لرجل الدين اليقظ الغيور"^(٣).

٤- تحقيق عالمية الدعوة، ونشر نورها في ربوع العالمين، ولن تتحقق العالمية للدعوة الإسلامية إلا إذا قامت الأمة الإسلامية متمثلة في الهيئات الدينية والمؤسسات الدعوية بإعداد دعاة قادرين على خوض ميدان الدعوة عالمياً، خاصة الإعداد اللغوي الذي يتناسب مع المدعويين؛ ليحقق البيان، وتقوم الحجة على بني الإنسان. وهذا ما أوصى به المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، والذي عقد بالمدينة المنورة (٢٤ - ٢٩ / ٢ / ١٣٩٧ هـ - ١٢ - ١٧ / ٢ / ١٩٧٧ م)،

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ١/ ١٢٦، ١٢٧.

(٢) انظر: الموسوعة الشريافية في الخطب للنبرية، د/ الشريافي، ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩ بتصرف، من مجلة الدراسات الدعوية.

(٣) يسألونك في الدين والحياة، د/ الشريافي، ٢/ ٦٠٩.

حيث أوصى بضرورة "دراسة اللغات الأجنبية حتى يستطيع الدعاة تبليغ رسالة الله بكل لسان تحقيقاً لعالمية الرسالة"^(١).

وغني عن البيان أن النبي - ﷺ - حث أصحابه على تعلم اللسان غير العربي خدمة لدعوة الإسلام، ومن ذلك ما ورد أن النبي - ﷺ - قال لسيدنا زيد بن ثابت - رضي الله عنه -: "يا زيد، تعلم لي كتابة اليهود، فإنني لا آمنهم على ما أقول" فقال: لبيك يا رسول الله، وأكب من توه على (العبرية) حتى حدقها في وقت يسير، وجعل يكتبها لرسول الله - ﷺ - إذا أراد أن يكتب لليهود، ويقرؤها له إذا هم كتبوا إليه.

ثم تعلم (السريانية) بأمر منه، عليه الصلاة والسلام، كما تعلم (العبرية)، فأصبح الفتى زيد بن ثابت ترجمان رسول الله ﷺ^(٢).

وقد بعث - ﷺ - ستة رجال من أصحابه في يوم واحد ليتفرقوا إلى الملوك الذين أرسلهم النبي - ﷺ - إليهم، وكان كل واحد منهم يتقن لغة القوم الذين بعثه إليهم"^(٣)، بل إن النبي - ﷺ - تعلم كثيراً من الكلمات غير العربية ونطق بها^(٤).

"لقد كان رسول الله - ﷺ - يخاطب كل قبيلة بلغتها أو لهجتها أو أسلوبها؛ ليبليغ إليهم ما نزل عليه من ربه، ولو فرضنا أن جاءه أفواج

(١) دعاة لا بغاة، د/ علي جريشة، ص ١٧٦، دار البشير، طنطا، ط الثالثة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(٢) صور من حياة الصحابة، د/ عبد الرحمن رأفت الباشا، ص ٣٦٤، ٣٦٥، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٣) انظر: فقه السيرة، د/ محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٢٦٨ بتصرف، دار الفكر، ط السابعة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

(٤) راجع: فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ/ ابن حجر العسقلاني، كتاب الجهاد، باب (من تكلم بالفارسية والبطانية، وقوله تعالى: "واختلاف ألسنتكم وألوانكم"، وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه...").

من الأجانب الذين لا يعرفون إلا لغات غير عربية لتلمس الرسول لإفهامهم دين ربهم بالطريقة التي يستطيعونها، بنفسه أو بأحد أصحابه.

هذا وإن أجدر الناس بتعلم هذه اللغات هم رجال الدين ودعاة الإسلام؛ ليبلغوا الدين إلى الشعوب المختلفة، وليقرؤوا الطعون الموجهة إلى الإسلام في اللغات الأخرى ويفندوها، ولينقلوا إلى العربية من مؤلفات الغرب الروحية ما يستخلصون منه الدلائل على ما يدعون إليه، وإن كان نور الله في ذاته لا يحتاج عند العقل السليم إلى دليل، فهو أسطع من النهار وأوضح من الشمس^(١).

ولدينا في بلادنا الإسلامية كليات وأقسام للغات والترجمة، بالإمكان أن يُعدَّ الدارسون فيها للدعوة إلى الله - تعالى - في الإطار العالمي.

وإني أهيب بكل المؤسسات الدعوية الإسلامية أن تعمل جاهدة على إنشاء مؤسسة دعوية تتخصص في إعداد دعاة للنطاق العالمي، يتخرجون من هذه المؤسسة مزودين بكافة المؤهلات التي تجعلهم سفراء للإسلام ودعاة إليه في كافة أرجاء الأرض.

المبحث الثالث: تكريم الدعوة في الإسلام بين التأصيل والتفعيل

كلمة (التأصيل): مصدر للفعل الرباعي (أَصَّلَ)، يقال: أَصَّلَ الشيءَ تأصيلاً: جعل له أصلاً ثابتاً يُبْنَى عليه، وَأَصَّلُ الشيء: أساسه الذي يقوم عليه^(١).

وأقصد بالتأصيل هنا: توضيح الأصول الدلالية والاستحقاقية لتكريم الدعوة في الإسلام.

وكلمة (التفعيل): مصدر للفعل الرباعي (فَعَّلَ)، يقال: فَعَّلَ الشيءَ تفعيلاً: أي أخرجته من الإطار النظري إلى نطاق الفعل وحيز التطبيق. وأقصد بالتفعيل هنا: توضيح مكانة الدعوة في أرض الواقع، وبيان مدى التناسب بينها وبين التكريم الإسلامي للدعوة.

أما عن الجانب التأصيلي فقد سبق بيانه في المبحث الأول الذي جاء بعنوان (تكريم الدعوة في الإسلام: أدلة ودلالات)، وكذا في المبحث الثاني الذي جاء بعنوان (مؤهلات استحقاق الدعوة لتكريم الإسلام).

وأما عن الجانب التفعيلي فهناك بعض الأخطار التي تنال من مكانة الدعوة إلى الله تعالى في بقاع متباينة: الأمر الذي يستدعي وقفة جادة لدرء تلك الأخطار؛ تفادياً لما قد يترتب عليها من مشكلات وتداعيات تؤثر على المجتمع في كافة القطاعات.

وفيما يلي توصيف لتلك المشكلة واقتراحات لحلها:

أولاً: أخطار تهدد مكانة الدعوة إلى الله تعالى:

لا نستطيع أن ننكر مكانة الدعوة إلى الله - احتراماً وتقديراً - في قلوب الناس؛ إذ إنهم يمثلون عنصر التوجيه والإرشاد في حياة العباد، ولكن - وللأسف الشديد - هناك بعض الأخطار التي تهدد مكانة الدعوة إلى الله تعالى، ومن تلك الأخطار ما يلي:

١ - ابتلاء ميدان الدعوة بعناصر غير مؤهلة لهذا الميدان علمياً، أو خلقياً أو سلوكياً، أو منهجياً، فينفر الناس عنهم، وبالتالي تسقط مكانتهم، بل تسقط مكانة الدعوة ذاتها لدى الذين لا يفرقون بين الدعوة والدعاة، ويحكمون على الدعوة من خلال الدعاة !!

وهذا الأمر يلقي على كاهل ذوي السلطة وأرباب الاختصاص أن يبذلوا جهودهم في إعداد الدعاة إلى الله - تعالى - وأن يدققوا في اختيارهم - إعزازاً لدين الله تعالى - على أساس المستوى العلمي والخلقي والسلوكي كما يدققون في اختيارهم على المستوى الأمني، إذ خطر فاقد مؤهلات الدعوة على أمن المجتمع خطر عظيم.

كما يلقي مسؤولية خاصة على كاهل الأفراد الذين دخلوا ميدان الدعوة إلى الله - تعالى - عن غير رغبة فيه أو استعداد لتحمل صعابه ومشقاته، عليهم أن يتركوا أماكنهم لغيرهم من المؤهلين لهذا المقام حتى لا يكونوا وبالاً على الدعوة وسبباً في ضياع مكانة الدعوة إلى الله.

والنجاح يقتضي وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وكل

إنسان له عمله المناسب الذي تؤهله له قدراته وملكاته.

مجلة
الدراسات
الدعوية

٢- ضعف الدخل المادي للدعاة إلى الله - تعالى - في بعض البلاد الإسلامية، وإزاء هذا ترى الكثيرين منهم يمتهنون مهنة إضافية بجوار عملهم، وقد تكون هذه المهنة الإضافية غير مناسبة لمقامهم كدعاة وخطباء وأئمة للناس فتؤثر على مكانتهم، وقد تكون مناسبة، وعلى كل حال فإن ذلك يؤثر - بلا شك - على رسالتهم الدعوية ومواكبتهم لقضايا العصر ومتابعتهم لمستجدات الأحداث، فضلاً عما يسببه ضعف الدخل المادي من عدم قدرة الداعية على تكوين مكتبة خاصة تفيده في مجال الدعوة، وعدم مشاركته في المناسبات الاجتماعية المختلفة التي تتطلب البذل والإنفاق فتحدث فجوة بينه وبين الناس تتحول هذه الفجوة إلى جفوة وكل هذا يؤثر على مكانته بين الناس.

٣- النيل من الدعاة إلى الله - تعالى - عبر وسائل الإعلام، سخرية واستهزاء دون منع أو محاسبة تحت شعار الحرية الإعلامية، وفي هذا من الخطورة ما لا يخفى، حيث تذهب بذلك جهودهم في الدعوة والإصلاح أدرج الرياح، لأن الكلمة الصادقة الهادفة لا تؤتى ثمارها إلا إذا خرجت ممن احتل موقع القدوة في قلوب الناس.

فلا بد من تدارك الأمر قبل أن يتسع الخرق على الراتق، لا بد أن يدرك الجميع أن أصوات الحق وألسنة الصدق هي التي تعمل على توازن الحياة حتى لا تطفئ قوى الشر وترجح كفة الباطل، وساعاتها يشقى المجتمع، ولا ينفع الندم.

وبناءً عليه فإنه من الواجب العمل على تحقيق المكانة اللائقة للدعاة إلى الله رب العالمين؛ تحفيزاً لهم على بذل المزيد من الجهد وتحمل مصاعب الطريق، وتحقيق ذلك يمثل خطوة كبيرة على طريق الإصلاح.

ثانياً: كيف تتحقق مكانة الدعوة إلى الله تعالى ؟

إن تحقق مكانة الدعوة على أرض الواقع لا يأتي من فراغ، وإنما تتحقق بتضافر عدة عوامل، منها:

١- إخلاص الدعوة النية لله، فبإخلاص النيات ترتفع الدرجات وتُثال المَكَانَات.

٢- تعريف الناس بفضل الدعوة ومكانة الدعوة إلى الله - تعالى - من خلال وسائل الإعلام المختلفة: مقروءة ومسموعة ومرئية.

٣- أن يكون الداعي على مستوى تلك المكانة علماً وخلقاً وسلوكاً، ولا شك أن الارتقاء بمستوى الدعوة يتطلب رسم خطة لإعدادهم الإعداد المناسب، وهذا لن يكون إلا إذا عرف للدعاة قدرهم.

ويطيب لي في هذا المقام أن أذكر بعض التوصيات التي أوصى بها المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة^(١)، والذي عقد بالمدينة المنورة (٢٤ - ٢٩ / ٢ / ١٣٩٧ هـ - ١٢ - ١٧ / ٢ / ١٩٧٧ م)، حيث ورد في توصياته ما يلي: الداعية هو العنصر الفعال في الدعوة، ولا تقتصر الدعوة إلا بالداعية الذي يؤمن بها ويحسن عرضها، ويكون نموذجاً حياً لتعاليمها. ولهذا تجب العناية بإعداده لأداء رسالته إعداداً متكاملًا من جميع الجوانب، وفي ضوء هذه الأهمية للداعية يوصي المؤتمر بما يلي:

(١) للوقوف على توصيات المؤتمر الواردة في هذا الموضوع وفي المواضيع التالية من هذا البحث راجع: دعاة لا بغاة، د/ علي جريشة، ص ١٧٦ وما بعدها.

❖ العناية بالإعداد العلمي والثقافي للداعية، حتى تكون دعوته على بصيرة، كما أمر الله، بحيث يعرف دعوته، ويعرف عصره، ويعرف من يدعو، وكيف يدعو. وذلك عن طريق منهج متكامل، تشترك في وضعه لجنة من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي على أن تتوافر فيه المقومات التالية:

- دراسة إسلامية مؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح مع العناية بالسيرة النبوية، والحذر من الأحاديث الموضوعية والواهية.

- دراسة لغوية وأدبية تعين على فهم الإسلام، وحسن عرضه بأسلوب بليغ.

- دراسة التاريخ الإسلامي، بما فيه من أمجاد وبطولات، واستخلاص العبر منه، وخصوصا من سير الأبطال ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، مع التحذير من الزيف والتحريف الذي شاب هذا التاريخ قديما وحديثا.

- القدر المناسب من الثقافة العامة، والعلوم الحديثة، وبخاصة العلوم الإنسانية، على أن يدرسها من يوثق بدينه عقيدة وعملا.

- دراسة الأديان والمذاهب المعاصرة، وحاضر العالم الإسلامي وإبراز قضاياها، والقوى المعادية للإسلام، والفرق المنشقة عليه. بحيث يعرف الداعية من معه ومن عليه.

- دراسة اللغات الأجنبية حتى يستطيع الدعاة تبليغ رسالة الله بكل لسان تحقيقا لعالمية الرسالة.

❖ العناية بالجانب الخلفي للداعية، وذلك بغرس معاني الإيمان وتثبيتها في نفسه، والعمل على إنشاء مناخ إيجابي يعينه على أن يحيا الدعوية

حياة إسلامية قوية، فإن الداعية يؤثر بخلقه وسلوكه أكثر مما يؤثر بقلمه ولسانه.

❖ إنشاء مدارس ثانوية للدعوة لتربية الدعاة في سن مبكرة مع ضرورة دعم المدارس الموجودة حالياً وبخاصة الموجودة في الأماكن التي فيها النشاط المكثف للحركات المناوئة للإسلام.

❖ إنشاء كليات للدعوة في جهات متعددة من العالم كلما أمكن ذلك لإعداد الدعاة حسب المناطق التي سيقومون بالدعوة فيها ولسد حاجة كل منطقة حسب متطلباتها.

❖ التنسيق بين كليات الدعوة القائمة حالياً لتوحيد الأهداف والخطط والمناهج والأعمال بالتعاون مع المؤسسات والهيئات القائمة بالدعوة.

❖ التدقيق في اختيار أصلح المتقدمين للالتحاق بمدارس وكليات الدعوة ممن يتوافر لديهم الاستعداد المطلوب للداعية من حيث المواهب والصفات الخلقية والخلقية.

❖ تشجيع الطلاب المتقدمين لمدارس وكليات الدعوة بمزايا تعينهم على الالتحاق والاستمرار في دراسة علوم الدعوة.

❖ العناية بانتقاء أساتذة كليات الدعوة من أناس يؤثرون بالقدوة كما يؤثرون بالكلمة بأن يكونوا رجال علم ودعوة معاً.

❖ تنظيم دورات تدريبية لمجموعات من الدعاة يمارسون من خلالها مهام الدعوة بطريقة علمية مدروسة مع التعمق في العلوم الإسلامية وتزويد الدارسين بالثقافة العامة الضرورية لمواجهة التيارات المعادية

مجلة
الدراسات
الدعوية

❖ بما أن المنبر لا يزال له مكان الإعلام الأول فينبغي الاهتمام الكافي بالمسجد وإمامه علمياً وأديباً ومادياً مع التركيز على حسن اختيار الأئمة والخطباء الأكفاء وإقامة دورات لهم بما يجعلهم موضع القدوة للمجتمع كله.

٤- أن يكون الداعي على مستوى من الاستقرار الاقتصادي يوفر له الحياة الكريمة، ويعينه على التفرغ للدعوة ومعالجة قضايا ومشكلات المجتمع.

وقد أوصى المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة بما يلي:
❖ تشجيع الجامعيين المتخصصين في الدعوة بالمخصصات المالية المناسبة والحوافز التشجيعية لاستمرارهم في عملهم ورفع مستوى الدعاة بصفة عامة.

❖ حث الحكومات الإسلامية على تخصيص مبالغ في ميزانياتها لنشر الدعوة الإسلامية.

٥- وضع منهج لتحجيم الخلاف بين الدعاة وعدم تضخيم هذا الخلاف عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ كي لا ينعكس ذلك فقداً لهيبة الدعاة وإضعافاً للثقة بهم في نفوس الناس.

وقد ورد في توصيات المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في مجال مشاكل الدعوة والدعاة ما يلي:

تظهر بين الدعاة - أفراداً وجماعات - خلافات متنوعة منها ما هو في أمور العقيدة ومنها ما هو في فروع الفقه ومنها ما هو في أسلوب العمل، ولذلك فإن المؤتمر يوصي بما يلي:

- اعتماد القرآن والسنة في مجال الدعوة أساسا، وسيرة الرسول
ﷺ - منهاجا، وتربية المسلمين تربية عملية على عقيدة التوحيد
الخالص الخالي من البدع والخرافات.

- توكيد أن الخلافات الفرعية لا يجوز أن تكون مثار خصومة
وشقاق، وأن توحيد الصف الإسلامي فريضة لازمة تجاه الخصوم
الكثيرين الذين تألبوا عليه.

- وضع مناهج عمل مشتركة لتوحيد المفاهيم والأفكار لدى
الدعاة على ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح من قبل لجان
متخصصة تدعو إليها أمانة المؤتمر تشترك فيها بعض الحركات
والهيئات الإسلامية العاملة في ميدان الدعوة.

ومما يجب التنبه له - في هذا المقام - أن الاختلاف في ميدان
الدعوة إنما يحدث "إذا دخل في الدعوة من ليس أهلا لها، ومن لم
يتأهل لها بالعلم النافع والإخلاص لله عز وجل... أما إذا تفقه الدعاة
في الدعوة، وخلصت نيتهم لله عز وجل، وصار مقصودهم وجه الله
سبحانه وتعالى، فلن يختلفوا أبدا، وإنما يتعاونون ويكونون يدا
واحدة يتعاونون على البر والتقوى"^(١).

٥- "أن يكون للدعوة سند من ذوي السلطة في الدولة، فإن
الدعوة والسلطة هما دعامتا إصلاح الأمة، فإذا التقتا واجتمعتا تحقق
بهما الهدف والمقصود بإذن الله، وإن هما افتترقتا ضاع المجهود أو
ضعف إلى حد كبير، لذلك يتحتم على كل دولة تريد العزة

مجلة
الدراسات
الدعوية

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة، د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ٣ / ٢٦٨.

الحقيقية الثابتة والتمكين في الأرض أن تأخذ بدين الله - عز وجل - وتسير على هدي رسوله - ﷺ - مستغنية بذلك عن كل التعاليم والنظم التي لا تتفق مع دين الله - تعالى - وهدي رسوله - ﷺ - لأن كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر، فمن أخذ بكلمة الله ودينه فسيكون له العلو والظهور على كل من خالفه.. ويتحتم على كل دولة تريد العزة الحقيقية الثابتة والتمكين في الأرض أن تنصر الدعوة إلى الله - عز وجل - بكل ما تستطيع من أسباب النصر القولية والفعلية ترغيباً وترهيباً، فإن الله قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وإذا ضعف الإيمان في قلوب الناس صار الوازع السلطاني أردع لهم عن المعاصي وأقوم لهم في الطاعات حتى يستقيموا ويصلحوا.

وكذلك يتحتم على الدعوة إلى الله على بصيرة أن يتصلوا بذوي السلطة في الدولة، ويرغبوهم في السير على ما هم عليه من الحق وبيّنوا لهم ما في ذلك من العواقب الحميدة والسعادة في الدنيا والآخرة، ويحذروهم من مخالفة ذلك وبيّنوا لهم ما في مخالفة الحق من العواقب السيئة والشقاء في الدنيا والآخرة، ويرغبوهم كذلك في نصر الدعوة إلى الله - تعالى - بكل ما يستطيعون من أسباب النصر، ويحذروهم من خذلانها وفعل ما يقاومها ويضادها^(١).

مجلة

(١) انظر: رسالة إلى الدعوة، محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله - ، ص ٢٥ - ٣٧ بتصرف، الدراسات الدعوية إصدار جماعة أنصار السنة المحمدية، المركز العام، إدارة الدعوة والإعلام، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

فمساندة ذوي السلطان للدعاة إلى الله - تعالى - ترسخ للدعاة مكانة وهيبة في القلوب، وتعطي لکلمتهم قوة وتأثيراً.

٦- توافر جو الحرية للدعوة، فتوافر جو الحرية أمام الدعاة يدفع الدعاة إلى الأمام، ويوسع دائرة الإفادة والاستفادة، ولا شك أنني أقصد الدعاة الذين يحترمون جو الحرية ويقدرونها ويتعاملون معها تعاملًا مسؤولاً، لكن إذا لم يتوافر جو الحرية فإن الدعوة تُحجَّم وتقلص، ومع ذلك يقيض الله لها رجالاً يشقون الصعاب لتبليغها ورفع لوائها، ويجني الناس الثمار، لكن بعد طول انتظار.

٧- أوصى المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة بضرورة العمل على إيجاد نوع من الحصانة للدعاة لضمان الحفاظ على كرامتهم وحقوقهم وأداء رسالتهم.

تلك أبرز العوامل التي تحقق المكانة للدعاة إلى الله في أرض الواقع.

المبحث الرابع: أثر تكريم الدعاة في الدعوة إلى الله تعالى

- ١- في تكريم الإسلام للدعاة تحفيز للهمم كي تبذل أقصى ما في وسعها في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.
- ٢- تكريم الدعاة في الإسلام يرغب الكثيرين - في حالة ترجمته واقعيًا - في الإقبال على الدراسات الدعوية المتخصصة؛ كي ينخرطوا في عداد كتائب الدعوة إلى الله تعالى، وينالوا شرف الدنيا ونعيم الآخرة.
- ٣- تكريم الدعاة في الإسلام يحمل النفوس المعاندة المتمردة على احترام الدعاة، والاستجابة لدعوتهم.
- ٤- عندما تتحقق للدعاة إلى الله - تعالى - المكانة اللائقة برسالتهم العظيمة، ودورهم الرائد في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ينعكس هذا على المجتمع هداية واستقامة وازدهاراً؛ إذ في ظل تلك المكانة يزداد الدعاة قوة إلى قوتهم ونشاطاً إلى نشاطهم، فتعلو كلمة الله على ما سواها من كلمات، كما تزداد مساحة الاحترام والتقدير لدور الدعاة في قلوب الناس، ويترجم هذا إلى تقبل الدعوة وسرعة التلبية والاستجابة. فصلاح المجتمعات وتقدمها مرهون برفع لواء الدعوة فوق ربوع البلاد، والعكس بالعكس؛ إذ إنه عندما تترك الدعوة إلى الله تعالى - غفلةً أو تغافلاً أو إهمالاً أو قمعاً - ينتشر الفسق والفجور والخلل في كافة قطاعات الحياة، وبالتالي تتراجع المجتمعات إلى الوراء، فتكريم الدعاة دفع لطاقة العمل الإصلاحي في المجتمعات، ومحاصرة لطاقات الفساد والانحراف.

الغائمة

في ختام هذا البحث أحمد ربي جل في علاه، فالحمد لله أولاً وآخراً،
ويطيب لي أن أذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث،
وأبرز التوصيات التي من شأنها - من وجهة نظري - تحقيق تكريم
الدعاة في أرض الواقع بإذن الله تعالى، وبيان ذلك فيما يلي:

❖ النتائج:

- ١- تكريم الدعاة في الإسلام حقيقة ثابتة تضافرت لتقريرها الأدلة قرآنًا وسنة.
- ٢- تكريم الدعاة في الإسلام تكريمٌ جداريٌ واستحقاق؛ إذ إن رسالتهم رسالة الأنبياء والمرسلين.
- ٣- وجود الكثير من العقبات - المادية والمعنوية - في طريق الدعوة والدعاة.
- ٤- تراجع تكريم الدعاة في بعض البقاع؛ تجاهلاً لدورهم الجليل في واقع الحياة، أو عدم إدراك له. وفي هذا ما فيه من خطر جسيم، ويكفي أنه يضع كلمة الإسلام في هامش الحياة.
- ٥- على الرغم من وجود الكثير من العقبات والمعوقات في طريق الدعوة والدعاة إلا أنه ما زال هناك - وسيظل بإذن الله تعالى - الكثير والكثير من الدعاة يرحلون وييشرون بالإسلام هنا وهناك، وعلى أتم الاستعداد للتضحية وبذل كل غال ونفيس في سبيل الدعوة إلى الله - تعالى - صابرين محتسبين ذلك لوجه الله جل جلاله.
- ٦- حاجة ميدان الدعوة إلى أن يقوم كل مسلم بما عليه من

ووقته يحتسبه في سبيل الدعوة إلى الله، فيقول نصيحة، أو يكتب مقالة، أو ينشر كتابا، أو يرحل رحلة، أو ينفق بعض ما لديه في سبيل الإسلام والمسلمين؛ تدعيما للدعاة المتخصصين ومساندة لهم في مواجهة ظلمات الواقع، وما أكثرها !!، وما لا يدرك كله لا يتركه، والقليل مع القليل كثير، وبهذا يصلح أمر هذه الأمة كما صلح أمر أولها.

❖ التوصيات:

فيما يلي بعض التوصيات التي أوصي بها إخواني الدعاة؛ تكريما لأنفسهم ودعوتهم، و بعض التوصيات التي أوصي بها القائمين على أمر الدعوة في بلاد المسلمين؛ تكريما للدعاة:

❖ إلى إخواني الدعاة:

أوصيك أخي الداعية الحبيب ببعض الوصايا سائلاً الله - جل وعلا - أن ينفعني بها وإياك، وأن يضيء بها في طريق الدعوة مسعياً ومسعاً.

أولاً: أوصيك بتقوى الله العظيم، فهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَرَبُّكَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَقَدْ

وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُرْسِلُوا فِي الْأَرْضِ مِنْ قَبْلِكَ وَإِنَّا كُنَّا لَنَاقِلِينَ ﴾

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١﴾ ، وهي سبيل لتحصيل العلم وتفريغ الكرب وسعة الرزق وتيسير الأمر وتكفير الذنب وتعظيم الأجر.

مجلة
الدراسات
الدعوية

(١) سورة النساء، من الآية رقم / ١٣١.

ثانياً: وأوصيك باحترام رسالتك، فإنها رسالة الأنبياء، فلا تقصر في أدائها، وقدّر لها حقّ قدرها، وابذل جهدك لرفع لوائها، وكن على مستوى مكانتها وفضلها.

ثالثاً: وأوصيك بأن تكون نموذجاً إسلامياً حياً يسعى بين الناس، يطابق سلوكه قوله حتى لا تكون للناس فتنة.

رابعاً: وأوصيك بأن تكون صاحب رسالة لا صاحب وظيفة، فإن صاحب الرسالة في صعود، وصاحب الوظيفة في جمود.

خامساً: وأوصيك بأن تكون متجدداً في أفكارك وموضوعاتك وأسلوبك وطريقة عرضك وتناولك لقضايا الواقع المعاش حتى تكون منارة هداية وإرشاد.

سادساً: وأوصيك بالحرص على الاستفادة من تجاربك الشخصية وتجارب الآخرين - الإيجابية والسلبية - في ميدان الدعوة، لتضيف كل يوم لبنة إلى رصيدك المعرفي الواقعي.

سابعاً: وأوصيك بأن تضع جهودك الدعوية في بؤرة التقييم الشخصي تحقيقاً للتقويم الذاتي الذي يقع في النفس موقع القبول ولا يثير فيها ثورة الغضب والعناد ورفض الاستجابة كردّ فعل لمواجهة النقد الخارجي.

ومما يساعدك على تقييم مستواك وتقويمه أن تجعل لنفسك أرشيفاً تجمع فيه جهودك الدعوية مسجلة أو مدونة؛ لتتمكن من قياس مدى تقدمك يوماً بعد يوم، وليبقى الانتفاع بها على مدى الأيام.

ثامناً: وأوصيك بالألتقيد نفسك بقيد الرضا عن مستواك الدعوي؛ إذ إن ذلك هو بداية الهبوط، فالرقي لا سقّف له.

تاسعاً: وأوصيك بالتفاعل والتواصل مع إخوانك الدعاة؛ استفادة منهم وإفادة لهم فيما من شأنه النهوض بالدعوة وتحقيق أثرها المرجو في المجتمع.

عاشراً: وأوصيك بأن تحترم عقل المدعو وعاطفته، ليبادل ذلك احتراماً واحتراماً، فالمدعو هو ثروتك، فحافظ عليها وافتح مع المدعويين باب التواصل والحوار والاقتراح، ولا تغضب لنقد بناء، فالؤمن مرآة أخيه.

❖ إلى القائمين على أمر الدعوة في بلاد المسلمين:

١- أوصي القائمين على أمر الدعوة في بلاد الإسلام بضرورة وضع الدعاة في قمة الاهتمام من حيث: الاختيار، والإعداد، والإمداد (المادي والمعنوي)، والمتابعة.

٢- أوصي القائمين على أمر الدعوة في بلاد الإسلام بضرورة وضع علم الدعوة في قمة الاهتمام أيضاً، وذلك برصد الحوافز المادية والأدبية تشجيعاً للتأليف في هذا العلم، وإصدار بحوث متطورة تترجم واقع الميدان الدعوي، وتقدم برؤية بحثية ما هو جدير بالنهوض والازدهار به كما هو الشأن في العلوم الأخرى؛ إذ إن من تكريم الدعاة العمل على تطوير الدراسات الدعوية النظرية التي تثير لهم طريق الدعوة بمنهجية واضحة، ارتكازاً على المصادر الشرعية والخبرات الدعوية التي شهدتها تاريخ الدعوة عبر الزمان. مع ضرورة توفير تلك الدراسات بين يدي الدعاة إلى الله تعالى.

٣- أوصي القائمين على أمر الدعوة في بلاد الإسلام بضرورة توفير المزيد من الوسائل الإعلامية التي تقدّر الدعاة وتفتح لهم المجال العالمي للدعوة، وتكون قادرة على المنافسة الإعلامية العالمية، وخاضعة لمؤسسات دعوية صادقة ترعى الدعوة والدعاة. وفي المقابل التصدي بقوة لكل وسيلة إعلامية تتال من الدعاة بأي شكل من الأشكال.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مجلة
الدراسات
الدعوية

فهرس المراجع

❖ المراجع مرتبة ترتيبا هجائيا بدون (ال):

- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ / عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة مصر، القاهرة (بدون).
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ - ٢٩٧ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الخامسة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- دعاة لا بغاة، د / علي جريشة، دار البشير، طنطا، ط الثالثة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د / أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٧ م.
- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة، لسماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط الرابعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- رسالة إلى الدعوة، محمد بن صالح بن عثيمين، إصدار جماعة أنصار السنة المحمدية، المركز العام، إدارة الدعوة والإعلام، ط الأولى ١٤٢٠ هـ.

- سنن ابن ماجه، للحافظ / أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) وبهامشه كفاية الحاجة في تحقيق سنن ابن ماجه، والزوائد من مصباح الزجاجه، للحافظ / شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (٨٤٠هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- سنن أبي داود، للإمام / أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ) تحقيق / محمد عوامه، دار القبلة، جدة، مؤسسة الريان، بيروت، المكتبة المكية، مكة، ط الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: د / إميل بديع يعقوب، د / محمد نبيل طريقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، مكتبة الغزالي، دمشق، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (بدون).
- صور من حياة الصحابة، د / عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) حقق أصلها / عبد العزيز بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها / محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ / عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء،

- الرياض، المملكة العربية السعودية، ط السادسة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- فقه السيرة، د / محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، ط السابعة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الثانية ١٤٢٤ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين أبو الفضل بن منظور الأنصاري (٦٣٠ - ٧١١ هـ) تحقيق / عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (بدون).
- محاضرات في العقيدة والدعوة، د / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- المدخل إلى علم الدعوة، د / محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثالثة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- المسند، للإمام / أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) شرحه ووضع فهارسه أ / أحمد محمد شاكر (ج ١ - ٨) أ / حمزة أحمد الزين (ج ٩ - ١٨) دار الحديث، القاهرة، ط الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- المصطلحات الدعوية: تعريفات ومفاهيم، د / عبد الله بن محمد المجلي، بحث علمي محكم ومنشور بالعدد الأول من

- مجلة الدراسات الدعوية بجامعة الإمام / محمد بن سعود
الإسلامية، محرم ١٤٢٩ هـ .
- مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة)، للشيخ / محمد
الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط الخامسة
١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط وزارة التربية
والتعليم، ١٩٩٩م.
- الموسوعة الشريافية في الخطب المنبرية، د / أحمد
الشريافي، دار الجيل، بيروت.
- هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، للشيخ / علي
محفوظ، دار الاعتصام، القاهرة، ط الخامسة ١٣٧١هـ -
١٩٥٢م.
- يسألونك في الدين والحياة، د / أحمد الشريافي، دار
الجيل، بيروت، ط الثانية ١٩٨٠م.

دروس دعوية من الهدى النبوي في بناء العلاقات الزوجية

إعداد

الدكتورة: هند مصطفى شريفي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

في جامعة طيبة بالمدينة المنورة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، أحمدته عز وجل القائل متفضلا على عباده:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَوْفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ثُمَّ قَلَّ أَثَقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهَا لَئِنْ مَاتِنَا صَاحِبًا لَنَكُونَنَّ مِنْ

الشَّاكِرِينَ﴾^(١)، وأصلي وأسلم على هادي البشرية للخير الذي وصف

نفسه بقوله: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"^(٢) وبعد...

فقد أشرقت شمس الإسلام على الكون، وجاءت تشريعاته السامية التي أولت العلاقات الزوجية عنايتها، فرسمت لها منهجا متكاملا، و أزال ما يكدر صفوها، ببيان النموذج الإسلامي والهدي النبوي في بناء هذه العلاقة بين الزوجين، من خلال السنة النبوية المطهرة التي اشتملت على مادة ثرية غنية ينهل من معينها من ينشد السعادة والعلاقة الزوجية الناجحة.

لقد شرع الله عز وجل الزواج ليكون الوسيلة التي تجمع بين الرجل والمرأة، في علاقة سامية تتآلف فيها أرواحهما، وتطمئن نفوسهما، ولقد كانت عناية الرسول ﷺ بالأسرة واضحة للعيان، من خلال توجيهاته الكريمة وتطبيقاته، فكانت مشعل هداية تنير الطريق أمام الزوجين وتبهر القلوب وتدلل على طريق السعادة والصلاح.

ولقد اتفق العقلاء على أن الزواج هو الأساس الذي تقوم عليه الأسرة، التي تمثل اللبنة الأساس في بناء المجتمع، وهي الوضع السليم الذي ارتضاه رب العالمين لبني آدم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَحَمَلْنَا لَهُمُ الزَّوْجَا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِحَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(١)، والإنسان ذو الفطرة السليمة لا يجد أنسه وسعادته إلا في ظل الأسرة التي تشبع عاطفته ووجدانه وعقله وتستمر معه طوال حياته، فهي من منن الله التي تفضل بها على عباده قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَحَبَّلُوا بِهَا وَرَفَعْتُ بَيْنَكُمْ وَرَفَعْتُ بَيْنَكُمْ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنْفُسَكُمْ أَنْفُسًا يُرْسِلُونَهَا﴾^(٢)، وهذه الأسرة قوامها ودعامتها الأساس هما: الزوجان اللذان تنشأ بينهما علاقة قوية حميمة تسمو بقدر قيامها وبنائها على أسس واضحة ومبادئ سليمة تساعدها على تحقيق أهدافها المنشودة، والتي من أهمها السكن النفسي الناتج عن شيوع المودة والرحمة، وهذا هو التوافق الزوجي الذي يمثل هدفا ملحا لكل علاقة زوجية.

إن الإسلام لم يترك هذه العلاقة الزوجية تسير بشكل عشوائي قد يؤدي إلى التفكك والانحيار الأسري، بل رسم لها طريقا واضحا، وشكلا لها منهج حياة متكامل بكل أبعاده وجوانبه، وتعريف الناس بهذا المنهج وترغيبهم على الاستقامة عليه هي مهمة الدعوة إلى الله تعالى، حيث إن الدعوة إلى الله هي: "حث الناس على الخير والهدى،

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والأجل^(١)، والخير والهدى هو هدي نبينا ﷺ، والمعروف هو ما كان عليه في سيرته وطريقته، وهديه في بناء العلاقات الزوجية هو أكمل هدي وأصلحه لحياة الناس، الذين انتشرت في مجتمعاتهم المشاكل الأسرية والزوجية نتيجة بعدهم عن إتباع سنة النبي ﷺ والاقتداء بأثره، ففي كل يوم تشر الدراسات والأنباء والتقارير عن تفاقم هذه المشكلات الأسرية وتنوعها والآثار السلبية المترتبة عليها^(٢)، وقد علموا أن علاجها أول ما يكون بمعرفة الهدي النبوي في تأسيس هذه الأسر وبناء أركانها على مبادئ لا يختلف عليها العقلاء تكون -بعد توفيق الله- سببا في الحياة الطيبة والتوافق بين الزوجين.

ومن هنا كانت فكرة هذا البحث: بأنه لا بد من بناء العلاقة الزوجية عن طريق الاقتداء بهدي إمام الدعوة ﷺ الذي عاش الحياة الزوجية الحقيقية، وقدم نموذجا فريدا للمسلمين، يبين متانة وسمو هذه العلاقة عن طريق القدوة والتوجيه والدعوة إلى الطريق الأقوم، ومن خلال معالجه لقضايا الحياة الزوجية بوضوح وشمول وتكامل تتفق مع الفطرة السليمة والعقل الرشيد بتجاوب وانسجام بعيدا عن الأفكار الوافدة المنحرفة والمؤثرات المتناقضة التي تصطدم مع خصوصيات ثقافتنا الإسلامية وأحوالنا الاجتماعية.

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ص ١٧، ط: بدون (القاهرة،

الاعتصام ودار النصر للطباعة الإسلامية).

مجلة

(٢) انظر كتاب دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر الدراسات

الدعوية

السدحان، ط: بدون (مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، ١٤٢٧ هـ).

موضوع البحث:

في ضوء ما سبق يكمن موضوع البحث في السؤال الرئيس التالي:
ما أبرز الدروس الدعوية من الهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية،
ويتفرع من هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما المقصود بالهدي النبوي وما أهميته ؟
 ٢. ما مفهوم العلاقة الزوجية وما أهميتها وما أسس بنائها ؟
 ٣. ما أبرز جوانب الاقتداء بالهدي النبوي وتطبيقاته في بناء العلاقة الزوجية ؟
 ٤. ما أهم الدروس الدعوية المستنبطة من الهدي النبوي في بناء العلاقة الزوجية ؟
- ### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

- ١- التعرف على جوانب القدوة عند النبي ﷺ في مجال الحياة الزوجية.
- ٢- الكشف عن أهمية الحياة الزوجية وأسس بنائها.
- ٣- إبراز بعض التطبيقات الدعوية للهدي النبوي في بناء العلاقات الزوجية.
- ٤- تصحيح المفاهيم الخاطئة والصور المغلوطة عن طبيعة العلاقة الزوجية.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من خلال ما يأتي:
١)) يكتسب هذا الموضوع أهميته من الأهمية الحيوية الفائقة للأسرة في المجتمع المسلم، وضرورة معرفة أسس بناء العلاقة بين الزوجين في ضوء الدين الإسلامي.

٢)) هذا البحث محاولة لتأصيل جانب أساس من جوانب الدعوة إلى الاقتداء بهدي إمام الدعوة ﷺ في توجيهاته لبناء الأسرة المسلمة.
٣)) تعدد الجهات المستفيدة من مثل هذا البحث: فالدعاة إلى الله يستفيدون بتعرفهم على المنهج النبوي في الدعوة إلى أسس التعامل ومعالجة قضايا الحياة الزوجية المتنوعة، كما تفيد الجهات المختصة في مجال الإرشاد الأسري والإرشاد الزوجي والمؤسسات المهتمة بتوعية الأسرة وتنميتها.

٤)) الحاجة الماسة لمثل هذه الموضوعات، حيث تبين ذلك للباحثة بعد حصولها على دبلوم الإرشاد الأسري الذي تشرف عليه جامعة الملك فيصل بالإحساء، ويحكم تخصص الباحثة في الدعوة والاحتساب تؤكد ضرورة قيام الدعوة إلى الله بواجب توعية المجتمع في هذا الجانب، وتوجيه الناس ودعوتهم إلى الالتزام بالهدي النبوي في مجال العلاقات الزوجية والذي سيثمر - بإذن الله - الاستقرار الأسري.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية وصفا لها، للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية، وهو منهج مكمل لمنهج الاسترداد التاريخي الذي

يصف الظواهر في تطورها الماضي، حتى يصل بها إلى لوقت الحاضر، والباحث حينما يستخدم المنهج الوصفي لا يقوم بحصر الظواهر ووصفها جميعها، وإنما يقوم بانتقاء الظواهر التي تخدم غرضه من الدراسة^(١)، ثم يقوم بتحليل هذه الظواهر لاستنباط الحقائق العلمية منها.

الدراسات السابقة:

كتب العديد من الباحثين المعاصرين في العلاقات الزوجية، إلا أن هذه الكتابات تناولت المتغيرات المؤثرة في العلاقة وأثرها على التوافق الزوجي، أو دراسة العلاقة الزوجية في حياة الداعية وأثرها على الدعوة، ومن هذه الدراسات ما يأتي:

١- مشكلات التوافق الزوجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج في ضوء بعض المتغيرات: نوال عبد الله الحنطي، رسالة ماجستير في قسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود، ١٤٢٠هـ.

٢- التوافق الزوجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية وبعض سمات الشخصية، دراسة مقارنة بين العائلات وغير العائلات: منيرة عبد الله محمد الشمسان، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ.

(١) انظر، البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، عبد العزيز بن عبد الرحمن
الربيع، ص ١٨٠، ط: ٢ (الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠).

٣- أثر العلاقات الأسرية في حياة الداعية في الكتاب
والسنة: فاطمة سعود الكحيل، بحث ماجستير غير منشور
قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والعلوم الإنسانية
جامعة طيبة ١٤٢٧هـ.

وهذه الدراسات تناولت جوانب تتصل بالبحث من حيث بناء
العلاقة الزوجية، والعوامل المؤثرة فيها، ورغبة من الباحثة في تأصيل
أسس بناء هذه العلاقة السامية على الهدى النبوي وذلك لما سبق ذكره
من أهمية الموضوع، واستنباط أهم الدروس الدعوية المتعلقة بالمواقف
النبوية.

ولتحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث فقد تم تقسيمه بعد
المقدمة إلى ثلاثة مباحث أسردها كما يأتي:

المبحث الأول: الهدى النبوي والدعوة إلى الله، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالهدى النبوي وأهميته.

المطلب الثاني: التعريف بالدعوة إلى الله وحاجتها إلى الهدى النبوي.

المبحث الثاني: مفهوم العلاقة الزوجية وأهميتها وأسس بنائها في

الإسلام، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العلاقة الزوجية.

المطلب الثاني: أهمية العلاقة الزوجية.

المطلب الثالث: أسس بناء العلاقة الزوجية في الإسلام.

المطلب الرابع: دروس دعوية من الهدى النبوي في العلاقات الزوجية

المبحث الثالث: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في بناء العلاقات
الزوجية
المطلب الأول: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في الجانب
العبادي للعلاقة الزوجية.
المطلب الثاني: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في الجانب
الإنساني للعلاقة الزوجية
المطلب الثالث: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في الجانب
الأسري للعلاقة الزوجية
المطلب الرابع: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في الجانب
الجمالي للعلاقة الزوجية
المطلب الخامس: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في الجانب
الترفيهي للعلاقة الزوجية

المبحث الأول: الهدى النبوي والدعوة إلى الله

المطلب الأول: التعريف بالهدى النبوي وأهميته.

مفهوم الهدى النبوي: تُشير كلمة الهدى إلى السيرة والطريقة، فيقال: فلان يهدي بهدي فلان أي: يسير بسيرته، وما أحسن هديه: أي سمته وسكونه، ويقال: هو حسن الهدى: أي حسن الطريقة^(١)، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم".^(٢)

والهدى النبوي هو سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما سنه لنا من الأقوال والأفعال، والحاجة إلى ذلك لا تنفك في أي جانب من حياة المسلم، فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بالاتفاق بين العلماء، والتحاكم إلى السنة النبوية من علامات الإيمان، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣).

كما تصرح آيات القرآن بالحكمة من التعرف على الهدى النبوي في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾^(٤)، فقد من الله تعالى على هذه الأمة ببعثه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليقوم بأداء الرسالة وتزكية النفوس المؤمنة بالأعمال الصالحة

(١) انظر، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ٤٠٦/١٠، ط: ١ (مصر، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية، ١٣٠٦هـ).

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ك الأدب ب الهدى الصالح ح ٦٠٩٨، ط: ١، (الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١١٩٩٧م).

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

وواجبات الإيمان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ. وَرُزِّقَهُمُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ لِيِّنِي سَوَابِلًا مُّبِينًا﴾^(١)، فكان ﷺ معلما هاديا داعيا يعلم الناس الحلال والحرام، ويعالج ما في نفوسهم من ميل وانحراف، وضعف واستكبار، ولم يقف ﷺ في دعوة الناس إلى المنهج الأقوم والطريق الأمثل عند أمور العقيدة والعبادات، بل ربط ذلك بجميع شؤون حياتهم ودقائق أمورهم وخصائصها، لذا فإن دراسة الهدي النبوي أمر له أهميته الكبيرة عند كل مسلم لأنه يعينه على الاقتداء برسول الله ﷺ من خلال معرفة منهاج النبوة وشخصية النبي ﷺ وأعماله وأقواله، وثمرة هذا اكتساب المسلم لمحبة النبي ﷺ وتمييزها في قلبه.

المطلب الثاني: التعريف بالدعوة إلى الله وحاجتها إلى الهدي النبوي.

تعرف الدعوة في اللغة بعدة معان، مثل: الطلب والنداء والحث والسؤال والإمالة^(٢).

وللدعوة إلى الله عدة معان في الاصطلاح، منها: تبليغ الإسلام

^(٣)

للناس، وتعليمه لهم، وتطبيقه في واقع الحياة^(٣).

ولا تنفك حاجة الدعوة إلى الله إلى الهدي النبوي، حيث إن طاعة نبي الهدي ﷺ علامة صادقة لطاعة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٤)، ومن ذلك الدعوة إلى الله وإلى دينه، وإنما قيل إن الهدي

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) انظر، تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ١٢٦/١.

(٣) انظر، المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٧، ط: ٣ (بيروت، مؤسسة

الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

النبي هو المرجع الأساس الثاني للدعاة بعد القرآن الكريم فإن ذلك لعدة أمور:

١. إن الدعوة من أهم واجبات المسلمين حكاما ومحكومين، أمراء وجماعات، ذكورا وإناثا، حتى يتحقق لهم التمكين الذي وعد به تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عِنَبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١)، وهي السبيل الذي أمر ﷺ بإتباعه وأمر أمته كذلك بالسير على هداية.

٢. إن حياة النبي ﷺ هي حياة الداعية إلى الله منذ بعثه الله تعالى، فلم يزل ﷺ داعيا في حله وترحاله وعسره ويسره، ومع أزواجه وأصحابه، وفي سلمه وحربه، فقد كان داعيا في كل ظروفه وأحواله، ومع مختلف أصناف البشر وطبقاتهم، يدعو كل واحد بما يلائمه، ساعيا لهداية الناس إلى خير الدنيا والآخرة، فعلى كل داعية أن يقتفي أثره من خلال التعرف على سيرته.

٣. إن حياته ﷺ وعلاقته الزوجية حفظت للأمة منهجا متكاملا من خلال سيرة أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، ومن خلال المقربين من الصحابة وبتفاصيلها الدقيقة، فأخبروا بما يدور في بيت النبوة - حتى لو كانت هذه الأخبار أمورا خاصة - تبليغا للهدى والعلم، وطاعة لأمر الله تعالى الذي خاطبهن به: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾^(٢)، فكم نقرأ في السنة مثل

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

هذا السؤال : "كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان"^(١) ،
كذلك السؤال "أكان النبي ﷺ يرقد وهو جنب"^(٢) وهو قدوة
المسلمين والدعاة ﷺ.

العلاقة بين الدعوة إلى الله وبناء العلاقات الزوجية:
إن الدعوة إلى الله تنمي الشعور لدى الزوجين بقيمة استقرار
الحياة الزوجية وأهميتها، وضرورة ذلك للفرد والأسرة والمجتمع،
كما أنها تحقق لهما العديد من الأهداف المطلوبة كالتوعية بمقاصد
الزواج في الإسلام، والتبصير بحقوق الزوجية وواجباتها الخاصة بكل
طرف فيها، إضافة إلى بيان الأسس التي تقوم عليها الحياة الزوجية
الناجحة، وكذلك كيفية التعامل الإيجابي مع مشكلات الحياة
الطارئة بحكمة وفاعلية تحفظ لهذه العلاقة رونقها وسموها
وسعادتها، خاصة وأن استقرار المجتمع الإسلامي يعتبر من أهداف
الدعوة إلى الله، وتحقيق هذا الهدف ينطلق من إصلاح اللبنة الأولى
للمجتمع وهي: (الأسرة).

(١) صحيح البخاري، ك التهجد، ب قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره، ح ١١٤٧.

(٢) صحيح البخاري، ك الغسل، ب كينونة الجنب في البيت إذا توضأ، ح ٢٨٦.

المبحث الثاني: مفهوم العلاقة الزوجية وأهميتها وأسس بنائها

في الإسلام

المطلب الأول: مفهوم العلاقة الزوجية:

يعرف الزواج في الإسلام بأنه: "رابطة شرعية محكمة بين رجل وامرأة على وجه الدوام والاستمرار، وتتعقد بالرضاء والقبول الكامل منهما وفق الأحكام المفصلة شرعاً"^(١)، ويقوم الزواج على أسس ومبادئ وآداب تقوي هذه العلاقة، وتنظم الحقوق والواجبات بين الزوجين في ضوء القرآن والسنة، بما يحقق مقاصد الزواج السامية، ويحد من مظاهر النشوز والشقاق والتفكك الأسري، فالعلاقة الزوجية السعيدة هي العلاقة الاجتماعية والنفسية التي يحقق فيها الإنسان حياة الاستقرار والسكينة.

إن العلاقة الزوجية هي العلاقة التي ارتضاها الإسلام لبناء الأسرة الجديدة، وهذا يتصادم مع الهجمات الشرسة التي تسعى لتفكيك الأسرة وتحطيم كيانها وأسسها الشرعية عبر مؤتمرات عديدة تدعو صراحة لإلغاء مفهوم الأسرة القائم على ارتباط الرجل بالمرأة بميثاق شرعي، إلى اعتبار ذلك متحققاً من خلال أي ارتباط بين أي رجل

مجلة

(١) ميثاق الأسرة في الإسلام، د. أحمد العسال وآخرون، ص ١٢١، ط: ١، (الرياض، اللجنة الدراسات

الدعوية

الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، دار الرواد، ١٤٣٠هـ)

وامرأة ولو بلا ميثاق ولا عقد شرعي، والاعتراف بالعلاقات الجنسية بين الأفراد خارج نطاق الزواج .^(١)

المطلب الثاني: أهمية العلاقة الزوجية:

تتبع أهمية العلاقة الزوجية من أهمية الزواج ذاته، فهو منة من الله على عباده، وهو الأساس الذي تقوم عليه الأسرة والمجتمع قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَكُنْ مِنْكُمْ رِجَالٌ مُخَلَّفُونَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَرِجَالٌ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمَرُوا بِالْقِتَالِ لِيُطْبِقُوا عَلَيْكُمْ حَقَّهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أَزْوَاجٌ فَلَوْ لَمْ يَأْتِ الْوَعْدَ لَكُمْ مِنْكُمْ لَعَلَّكُمْ أَتَمْتُمْ وَلَسْتُمْ مِنْهَا حَافِظُونَ ﴾^(٢) ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يذكر الله نعمه على عبده بأن جعل لهم أزواجا من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل ائتلاف ومودة ورحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا وإناثا، وجعل الإناث أزواجا للذكور"^(٣).

وتمثل العلاقة الزوجية السلوك والتفاعل بين الزوجين، إذ إنها مجال ترجمة المشاعر والرحمة والسكون والمودة بينهما، وهي الارتباط الذي يحقق أهداف ومنافع الزواج، إن كانت العلاقة سامية متينة البنيان، يقوم كل طرف فيها بواجباته ومسؤولياته، والزواج منافعه عظيمة وغاياته نبيلة، فهو مستقر العواطف وسكنها كما

(١) انظر، العنوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، د.فؤاد عبد الكريم العبد الكريم، ص ١٧٥، ط: ١ (الرياض، كتاب البيان مطابع أضواء المنتدى، ١٤٢٦هـ)، دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ص ١٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٥٠٥/٤، ط: بدون (مصر، كتاب الشعب، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(١) ، ونعمة الله تتحصل بما رتب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة، فحصل بالزوجة الاستمتاع واللذة، والمنفعة بوجود الأبناء وتربيتهم، والسكون إليها، فلا نجد بين اثنين في الغالب مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة^(٢) وهو طريق إشباع الحاجات الجسدية الفطرية والعاطفية عند الرجل والمرأة، وقد قال النبي ﷺ: "يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"^(٣) ، وهو بذلك يحقق الأمن للمجتمعات من الانحرافات وبقائها من التفكك بما يحقق من إشباع للفطرة والغريزة، وتلك هي سنة المصطفى ﷺ: "ولكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"^(٤) .

كما أن العلاقة الزوجية هي أساس البناء الأسري وسبب لاستمرار بقاء الإنسان وامتداد نسله وتكثير سواد الأمة وقد حث نبينا ﷺ على ذلك بقوله: "النكاح من سنتي، فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم"^(٥) .

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٥٨٨، ط: ٧ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

(٣) صحيح البخاري، ك النكاح ب من لم يستطع الباءة فليصم ح ٥٠٦٥.

(٤) صحيح البخاري، ك النكاح ب الترغيب في النكاح ح ٥٠٦٣.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك النكاح ب ما جاء في فضل النكاح الدعوية ح ١٤٩٥، ط: ٣ (بيروت، للكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨).

المطلب الثالث: أسس بناء العلاقة الزوجية في الإسلام:

هناك جملة من الأسس الإسلامية والآداب التي تبنى عليها العلاقة الزوجية المتوافقة الناجحة، والتي بدورها إذا توافرت ساعدت على تحقيق مقاصد الزواج وأهدافه، ويمكن إجمالها على النحو التالي:

الأساس الأول: توافر أركان الزواج وشروطه:

وهي الأعمدة التي تلبي ضرورات الحياة الزوجية ولا قيام للعلاقة إلا بها، ومظانها كتب الفقه، وأذكر منها ما يأتي:

- الركن الأول: وجود الزوجين الخاليين من الموانع التي تمنع صحة النكاح.

- الركن الثاني: حصول الإيجاب، وهو اللفظ الصادر من الولي أو من يقوم مقامه، بأن يقول للزوج: زوجتك فلانة أو أنكحتكها.

- الركن الثالث: حصول القبول، وهو اللفظ الصادر من الزوج أو من يقوم مقامه، بأن يقول: قبلت هذا النكاح أو التزويج.

وأما شروط صحة النكاح فهي أربعة:

((١) نعيين كل من الزوجين.

((٢) رضی كل من الزوجين بالآخر فلا يصح الإكراه.

((٣) أن يعقد على المرأة وليها.

((٤) الشهادة على عقد النكاح ^(١).

(١) انظر، للملخص الفقهي، صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، ٢/ من
ص ٢٦٤ - ٢٦٦، ط: ١٢ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

الأساس الثاني: اختيار الأكفاء من الأزواج:

عندما يشب الفتى والفتاة ويصبحان في سن الزواج، وتتطلع أنفسهما لذلك، تعتريهما أصناف من الحيرة في تحديد مواصفات الزوج المناسب، فكل منهما قد نشأ وعاش في ظروف قد تكون متباينة تماما عن ظروف الآخر، ويتصف أحدهما بخصائص وسمات مختلفة غاية الاختلاف عن خصائص وسمات الآخر، ولكل منهما تكوينه النفسي والثقافي الفريد، وبالرغم من ذلك فلا ضير ولا خوف من زواج شخصين بينهما هذا الاختلاف، فالفروق الفردية تعد من الأشياء الطبيعية في الكيان الإنساني، والزواج ليس نهاية المطاف، بل هو بداية طريق جديدة، وعلاقة متينة تنجح - بعد توفيق الله - إذا تم الاختيار وفق أسس سليمة وواقعية دون غش أو تزوير أو خداع، وقد وجه الشرع الحكيم إلى أهم عنصر في الاختيار، وهو الدين في قوله ﷺ عن صفات المرأة: "تنكح المرأة لأربع: لجمالها وحسبها ولمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"^(١)، كما بين أن الدين والخلق هي أهم صفات الرجل، بقوله: "إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه"^(٢)، قال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد: "فالذي يقتضيه حكمه ﷺ اعتبار الدين في الكفاءة أصلا وكامالا، فلا تزوج مسلمة بكافر، ولا عفيفة بفاجر، ولم يعتبر القرآن والسنة في الكفاءة أمرا وراء ذلك، فإنه حرم

(١) صحيح البخاري، ك النكاح ب الأكفاء في الدين ح ٥٠٩٠.

على المسلمة نكاح الزاني الخبيث، ولم يعتبر نسبا ولا صناعة، ولا غنى ولا حرية، فجوز للعبد القن نكاح الحرة النسبية الغنية إذا كان عفيفا مسلما، وجوز لغير القرشيين نكاح القرشيات، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات، وللفقراء نكاح الموسرات^(١).

وكذلك إرشاده ومشورته لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها لما استشارته وقد تقدم لخطبتها معاوية بن أبي سفيان وأبو جهم رضي الله عنهم، فقال لها: "أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد" فكرهته، ثم قال: "انكحي أسامة" فنكحته، فجعل الله فيه خيرا واغتبطت^(٢)، قال الإمام النووي - رحمه الله - : "وأما إشارته ﷺ بنكاح أسامة فلما علمه من دينه وفضله وحسن طرائقه وكرم شمائله فنصحها بذلك، فكرهته لكونه مولى، وقد كان أسود جدا، فكرر عليها النبي ﷺ الحث على زواجه لما علم من مصلحتها في ذلك وكان كذلك"^(٣).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ١٥٩/٥، ط: ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، و الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

(٢) صحيح مسلم، ك الطلاق ب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها ح ١٤٨٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام النووي، ٩٨/١٠، ط: بدون (المطبعة المصرية).

الأساس الثالث: العشرة بالمعروف:

لقد أمر الله عز وجل الزوج بحسن العشرة، قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسُوهُنَّ أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا وَبِمَعْرِفَةِ اللَّهِ فِي خَيْرٍ كَثِيرًا﴾^(١)، وكرم الأخلاق والاحترام والتقدير المتبادل بين الزوجين أمر مهم لنجاح هذه العلاقة فالحياة الزوجية من المنظور الإسلامي مبناها التكرام والتذمم ومكارم الأخلاق... بمعنى أن يكون كل واحد من الزوجين - في حالة الوفاق وفي حالة الخلاف على السواء - غاية في كرم النفس، ونداوة الطبع، وفي غاية البعد عن الشح والأنانية، ومتى كان الزوجان بهذه المثابة من صفاء النفس ويقظة الضمير، كان مآلها إلى الوفاق وحسن المآل في كل حال^(٢).

وقاعدة العشرة بالمعروف تقوم على ركنين هما: حسن الخلق، والرفق، اللذان يزينان كل أمر كانا فيه، ويشينان كل أمر نزعاً منه، وقد تسوء معاملة الزوج لزوجته نتيجة موروثات فكرية خاطئة تقضي بأن على الرجل أن يفرض شخصيته القاسية على زوجته منذ يوم زواجهما الأول، مع الفهم المغلوط لمعنى القوامة وتغليظها بالقسوة، وقد أشارت إحدى الدراسات الخليجية إلى أن سوء المعاملة بين الزوجين كان سبباً أساسياً في ٧٩٪ من حالات الطلاق^(٣).

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) باختصار، موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتنا أخلاقها، حياتها العامة والخاصة، دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ١/٥٠٧، ط: ١ (الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

(٣) انظر، دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ص ٥٤.

الأساس الرابع: تحمل المسؤولية من كلا الطرفين:

لا يستقيم بناء العلاقة الزوجية إلا بتأدية الحقوق الواجبة -معنوية كانت أو مادية- لكل طرف على الآخر، وتحمل كل منهما مسؤوليته المناطة به في كيان الأسرة، ذلك أن المسؤولية مقسمة وموزعة في الحياة الزوجية على كلا الزوجين بما يتلاءم مع طبيعته وخلقته، قال ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الأمير راع والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"^(١)، وجمال الخطاب النبوي يتجلى بوضوح في هذا الحديث، كما بين الإمام الطيبي، حيث قال: "في هذا الحديث أن الراعي ليس مطلوباً لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك، فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه، وهو تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه، فإنه أجمل أولاً ثم فصل وأتى بحرف التثنية مكرراً... والفاء في قوله "فكلكم" جواب شرط محذوف، وختم بما يشبه الفذلكة، إشارة إلى استيفاء التفصيل"^(٢).

والعلاقة الزوجية علاقة تعاون بين الزوجين، حيث تقع عليهما مسؤولية حفظ هذا البناء كمسؤولية مشتركة بينهما، وبوجه عام يزداد التوافق إذا كان لدى الزوجين القدرة على أن يقوم كل منهما بواجبه ومسؤولياته تجاه الآخر، وتجاه الأبناء والأسرة بوجه عام،

(١) صحيح البخاري، ك النكاح ب المرأة راعية في بيت زوجها ح ٥٢٠٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني،، تصحيح ومقابلة:

الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ، ١٣/١١٣، ط: بدون نشر وتوزيع رئاسة إدارات

البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد).

وكذلك إذا كان لدى الطرفين القدرة على التعامل مع المشكلات الداخلية والخارجية بكفاءة وإيجابية في اتجاه الحل والمواجهة دون إخلال بدوره أو تفريط في مسؤوليته^(١) ، رغم أن الملاحظ في واقعنا المعاصر جهل الكثير من الأزواج والزوجات بحقوق الآخر مع تشدده في المطالبة بحقوقه هو، وهذا من الأسباب الرئيسة لانفصام هذه العلاقة، فكم من الأزواج من يحتل شريك حياته ذيل قائمة الاهتمامات لديه بعد الوظيفة والأهل والأصدقاء والرغبات الخاصة. ومن المسؤوليات الرئيسة التي تحيط بالعلاقة الزوجية مسؤولية القوامة، وهي المرتبة التي امتاز بها الرجل عن المرأة قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾^(٢) ، وهذه الدرجة لا تقتضي تفضيلاً في المعدن أو المكانة عند الله من أجل الرجولة أو الفحولة، بل العبرة في التفاضل التقوى وصلاح العمل، والحكمة من تفضيل الرجال على النساء أن تستقيم أمور الحياة بأن يقوم كل منهما بما عليه مما يتناسب مع خصائصه وقدراته، وهذا التقسيم العادل لأعمال ومهام كل واحد من الزوجين يبطل دعوى المساواة بين الجنسين، والتي يرددها كثير ممن فتوا بتيارات الحضارة المادية المعاصرة^(٣) .

(١) توكيد الذات وعلاقته بالتوافق الزوجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات، عويذة نداء الشعري، رسالة ماجستير غير منشورة قسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود، ص ٤١، ١٤٢٨هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٣) انظر، موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتنا أخلاقها، حياتها العامة والخاصة، دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، من ص ٦٠١ -
 ١٦٠٤، ١٤٢٠هـ.

الأساس الخامس: المحافظة على أسرار الحياة الزوجية:

من أهم أسس المحافظة على العلاقة الزوجية مراعاة خصوصياتها وعدم إفشاء أسرارها، فليس كل ما يدور بين الزوجين قابلاً لأن يذاع على الأهل والجيران والأصدقاء، وهذا يشمل العلاقة الزوجية الخاصة والمعاشرة بين الزوجين، حيث بين النبي ﷺ سوء من يفعل ذلك بقوله: "إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها"^(١)، فكم تهدمت أسر حين فوجئ الزوجان بأن الجيران يعرفون أدق أسرار حياتهما ويتناقلونها بينهم، وكم وقع الشقاق بين الزوجين عندما علم أحدهما أن ما يستره عن أعين الناس قد بات مكشوفاً أمام الأصدقاء والأقرباء.

كما أن خصوصية العلاقة الزوجية تتطلب حفظ ما يطرأ على الزوجين من المشكلات وعدم إذاعتها بين الناس، وذلك أدعى إلى حلها وإزالة ظلالها القاتمة، وكم من المشكلات الأسرية التي تجاوزت أسوار العلاقة الزوجية شعر صاحبها أنه يمشي مكشوفاً مهتوك الستر أمام الناس فكانت أنكى في الجرح، وأعصى على الحل، لأن الزوجين اللذين ينشران أسرارهما ويخرجونها للآخرين كمن يسكن بيتاً من زجاج والناس يرون ما به ويرون أعمال ساكنيه.

(١) صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ك النكاح ب تحريم إفشاء سر المرأة ح ١٤٣٧، ط: بدون (الملكة العربية السعودية، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٠هـ).

الأساس السادس: العدل:

يعد العدل أحد أسس الحياة الزوجية المهمة، لأنه يقوي بناء الأسرة، ويحقق صفاء القلوب وتآلف النفوس، ويؤدي إلى التوازن في النظر إلى إيجابيات شريك الحياة وفي سلبياته، كما وجه النبي ﷺ لذلك بقوله: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر"^(١)، ومنه الاعتراف بفضل العشير وشكره والثناء عليه وتقدير ما يقدمه وتكرار ذلك لطيب أثره على العلاقة الزوجية، كما ضرب لنا ﷺ أكمل المثل في العدل بذكر الحسنات حتى بعد الموت، بوفائه لذكرى أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، حتى غارت عائشة رضي الله عنها من ذكره لها فتقول: "ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها وثأته عليها"^(٢).

ومن العدل المطلوب في العلاقات الزوجية العدل عند تعدد الزوجات، وقد تميز الهدي النبوي بالمثل الإنساني العالي في هذا العدل في العديد من المواقف التي حفظتها لنا سيرته الطاهرة، كما أن من صور العدل المؤثرة على صفاء العلاقة الزوجية العدل في إعطاء الحقوق لأصحابها، فللزوج حق وللوالدين حق وللأبناء حق ولذوي الأرحام حق، وعلى الزوجين إعطاء كل ذي حق حقه.

(١) صحيح مسلم، ك الرضاع ب الوصية بالنساء ح ١٤٦٩.

(٢) صحيح البخاري، ك النكاح ب غيرة النساء ووجلمن ح ٥٢٢٨.

الأساس السابع: قيام العلاقة الزوجية على محبة الله تعالى وطاعته:

إن اجتماع الزوجين على ما يرضي الله تعالى هو أعظم أساس لبناء السعادة في الأسرة المسلمة، فالله وحده تعالى هو الذي يؤلف بين القلوب ويجمع بينها، وطاعته لها أثر كبير في سيادة الألفة والمحبة والتوافق بين الزوجين، والتأمل في الصورة الرائعة التي ذكرها النبي ﷺ تبين حلاوة هذه العلاقة: "رحم الله رجلا قام من الليل فغسل وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت رش في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فغسل في وجهه الماء"^(١)، كما حث ﷺ على اتخاذ الزوجة الصالحة التي تتعاون مع زوجها على البر والخير في قوله: "ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة"^(٢)، بل إن النبي ﷺ يؤكد على أهمية بدء الحياة الزوجية بطلب التوفيق والسعادة من الله بالدعاء الذي علمه لمن أراد الدخول على أهله: "اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلت عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه"^(٣).

(١) صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الصلاة ب الحث على قيام الليل ح ١٣٥٠، ط: ٢ (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ك النكاح ب أفضل النساء ح ١٥٠٥.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ك النكاح ب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله ح ١٥٥٧.

المطلب الرابع: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في العلاقات الزوجية:

سوف يتضح في هذا المطلب بعض الدروس الدعوية التي يستلهمها الدعاة من الهدي النبوي في توجيهه لأسس بناء الحياة الزوجية بما يسمح به المجال.

الدرس الأول: ضرورة بناء العلاقة المتينة بين الزوجين:

إن بناء العلاقة المتينة بين الزوجين ضرورة شرعية، ذات أثر بارز في حياة الداعية، وخاصة إذا بنيت بناء سليماً فإن لها آثاراً إيجابية على نفس الداعية، ومن ذلك حصول السكن النفسي والاستقرار والهدوء للداعية، ومن أعظم أمثلة ذلك: ما حملته لنا سيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في مواقفها العظيمة مع النبي ﷺ منذ بدء الوحي حتى وفاتها رضي الله عنها، حتى قال عنها المصطفى ﷺ: "ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بماله إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء"^(١)، ولا شك أن موقفها وموقف أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين كان مؤسلاً للنبي ﷺ في طريق دعوته ومزيلاً للوحشة التي تنشأ من الوحدة والتفرد وصرفاً للهموم وبعثاً للنشاط والتجديد في العمل، كما أن فيه مشاركة في حمل تكاليف

(١) للمسد، أحمد بن محمد حنبل، فهرسة الشيخ الألباني، ١١٧/٦، ط: ٤، (المكتب الإسلامي، مجلة الدراسات الدعوية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، وقال الحافظ البيهقي: إسناده حسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٢٢٤/٩، دار الكتاب بيروت لبنان.

(١) الدعوة، والصبر على ما يلاقيه من ابتلاء ومصاعب في سبيلها، والداعية اليوم وفي ظل التحديات المعاصرة وضغوط الحياة بأمس الحاجة إلى الزوجة الودود الرؤوم التي يسكن إليها وتدخل البهجة في نفس زوجها.

الدرس الثاني: اقتداء الدعاة بالهدي النبوي في العلاقات الزوجية:

من الأمور الضرورية للداعية المسلم إتباعه لهدي النبي ﷺ في علاقاته الزوجية، وعلاقاته بسائر من حوله من الناس، فكم يقع الدعاة في مزلق التقصير والإساءة للزوجة والتعامل بالشدّة والفظاظة وسوء الخلق، على خلاف ما يرى منه ويسمع خارج بيته من لطف المعشر ولين الجانب وإكرام الغير، وكم غفل بعض الدعاة عن قول النبي الكريم: "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" (٢)، ووصيته للأزواج بقوله: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" (٣)، وقد كان من خير الأزواج ﷺ وأرفقهم بأهله، وأكرمهم تعاملًا، وأرحمهم بهن، وقد شملت رحمته وبره نساء الصدر الأول بوصيته الأزواج بحسن المعاملة والبر بهن بقوله ﷺ: "استوصوا بالنساء خيراً" (٤)، كما عبرت مسلمات صدر الإسلام عن هذه الرحمة وهذا الرفق من رسول الله ﷺ

(١) انظر، أثر العلاقات الأسرية في حياة الداعية في الكتاب والسنة، فاطمة سعود الكحيل، من ص ٣٣-٥٤، بحث ماجستير غير منشور قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والعلوم الإنسانية جامعة طيبة ١٤٢٧هـ.

(٢) صحيح البخاري، ك المناقب ب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٥٩.

(٣) سبق تفريجه.

(٤) صحيح مسلم، ك الرضاع ب الوصية بالنساء ح ١٤٦٨.

تجاههن حين قلن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنت أفض وأغظ من رسول الله، وذلك حين استأذن عمر للدخول عليه وبعض النسوة بين يديه وقد علت أصواتهن، فلما أذن لعمر بالدخول قمن فبادرن الحجاب، فأضحك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجب من فعلهن، فقال عمر رضي الله عنه: "قأنت أحق أن يهين يا رسول الله، ثم قال: يا عدوات أنفسهن أتهينني ولا تهين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلن: نعم، أنت أفض وأغظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم" ^(١).

الدرس الثالث: مراعاة التوافق بين الزوجين:

من الموضوعات الدعوية المهمة التي تحقق السعادة الزوجية، توعية الناس بالأسباب الجالبة للتوافق بين الزوجين، لأهمية هذا الأمر وانعكاسه على نفسية الزوجين، فعلى سبيل المثال أثبتت إحدى الدراسات وجود علاقة ارتباطيه موجبة بين التوافق الزوجي وبين تقدير الذات لدى النساء المتزوجات، فالزوجة التي تنعم بالتوافق الزوجي تشعر بالإنجاز والنجاح، مما يدعم ثقتها بنفسها وبالتالي تقدر ذاتها تقديراً إيجابياً، بينما الزوجة التي لم يتحقق لها التوافق الزوجي فإنها تشعر بالإحباط والفشل وعدم النجاح، مما يزعزع ثقتها بنفسها، ومن ثم ينخفض تقديرها لذاتها، فالعلاقة الزوجية السعيدة عمادها الحب ودوام التوافق، والتقبل المتبادل بين الزوجين، والرضا والمحبة بين الطرفين، والتعبير الملائم عن المشاعر، والاتفاق بين الزوجين حول أمور الحياة المختلفة ^(٢).

مجلة

(١) صحيح البخاري كفضائل الصحابة مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ح ٣٦٨٣.

الدراسات
الدعوية

(٢) انظر، توكيد الذات وعلاقته بالتوافق الزوجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات،

عويذة نداء الشمري، ص ١٦٣.

المبحث الثالث: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في بناء العلاقات الزوجية

يشمل الهدى النبوي جميع جوانب الحياة الزوجية، وفي هذا المبحث ستذكر الباحثة أهم هذه الجوانب مع إيراد بعض النماذج النبوية، مع إتباعها بوقفات مشرقة ودروس دعوية، وهي: الجانب العبادي، والجانب الإنساني، والجانب الأسري، والجانب الجمالي، والجانب الترفيهي، وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في الجانب العبادي للعلاقة لزوجية:

المقصد الأول: الهدى النبوي في الجانب العبادي للعلاقة الزوجية :

أولاً: تعليم الأحكام الشرعية:

من أبرز سمات الهدى النبوي في العلاقة الزوجية تربية الزوجة ودعوته للخير، وقد كان هذا شأن النبي ﷺ مع كل مسلمات صدر الإسلام، فحرص ﷺ على فرض التعلم، واعتنى بنفسه بتعليم الأحكام الشرعية لأمهات المؤمنين والمسلمات، لأن وجوب تعليم المرأة المسلمة ينبثق من مبدأ حفظ كرامتها ومساواتها بالرجل من حيث الأصل ومسؤولية العبادة، فالمرأة مسؤولة عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما فرض عليها من عبادات ومعاملات، ومن واجبها أن تتعلم ما لا يتحقق لها الالتزام بالدين إلا بتعلمه، ولذلك وجدنا النبي ﷺ يأمر الرجال بعدم منع النساء من ارتياد المساجد باعتبارها المؤسسة التعليمية الأولى^(١)، ويأمر بخروج النساء للمساجد - حتى الحيض

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) انظر، صحيح البخاري، ك النكاح ب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره ح ٥٢٣٨.

منهن- ليشهدن الخير واجتماع المسلمين في العيدين، ويخصص جزءاً من خطبته لوعظهن وتعليمهن، وكان يخصصهن بدروس علمية خاصة ﷺ^(١).

وقد كان لأمهات المؤمنين من ذلك الحظ الأوفر، فكان النبي ﷺ يعلم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ويعظها بتوجيهها للأخذ بأسباب الوقاية من العذاب بترك الذنوب كبيرها وصغيرها، فقال: "يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال فإن لها من الله طالباً"^(٢)، كما نراها تسأل وتناقش بحرية وقد أتاح لها فرصة السؤال، فأقبلت على تعلم كل ما تشعر بالحاجة إلى معرفته، فقد ثبت أنها "كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: "من نوقش الحساب عذب" فقلت: أوليس الله تعالى يقول {فسوف يحاسب حساباً يسيراً} قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك"^(٣).

ونقل زوجات النبي ﷺ أحوال عبادته وغيرها من الأحكام والحالات الخاصة داخل حجراته ﷺ والتي لم تكن لتعرف لو لم تنقلها لنا أمهات المؤمنين، ومثال ذلك الحديث الذي رواه عبد الله بن أبي قيس قال: "سألت عائشة عن وتر رسول الله ﷺ كيف كان يوتر

(١) انظر، أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، حفصة حسن، من ص ١٨٥ - ١٨٦، ط: (١) بيروت،

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

من أول الليل أم من آخره ؟ فقالت: كل ذلك قد كان يصنع، ربما أوتر من أول الليل أم من آخره، قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، فقلت: كيف كانت قراءته أكان يسر بالقراءة أم يجهر ؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، قد كان ربما أسرو وربما جهر، فقلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، فقلت: فكيف كان يصنع في الجنابة ؟ أكان يغتسل قبل أن ينام، أم ينام قبل أن يغتسل ؟ قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما اغتسل فنام وربما توضأ فنام، قلت: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة^(١)، ومن ذلك ما روته أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها عن صفة غسله قالت: "توضأ رسول الله ﷺ وضوءه للصلاة غير رجليه، وغسل فرجه وما أصابه من الأذى، ثم أفاض عليه الماء، ثم نحى رجليه فغسلهما، هذه غسله من الجنابة"^(٢)، إلى غير ذلك من أمور العقيدة والشريعة التي علمها ﷺ لأزواجه، وأظهر حرصهن على نقل وتتبع سننه القولية والفعلية وأحواله داخل حجراته ونقل ذلك لأمته من بعده نشرًا للعلم والسنة المطهرة.

ثانياً: التوجيه إلى العبادات المتنوعة:

من صور الجانب العبادي في بيت النبوة أن تجتهد الزوجة في أداء عبادة ما وتظن أنها أفضل ما تتقرب به إلى ربها، فيأتي التوجيه من الزوج العالم المحب بدلالاتها على ما هو خير لها مما تقوم به، وقد رغبت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في المسارعة إلى الخيرات

(١) صحيح سنن الترمذي، الشيخ الألباني، ك فضائل القرآن ب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ ح ٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري، ك الغسل ب الوضوء قبل الغسل ح ٢٤٩

والمشاركة في الأجر العظيم عن طريق الجهاد في سبيل الله فوجهن النبي ﷺ إلى الأفضل، فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ سأله نساؤه عن الجهاد، فقال: نعم الجهاد الحج"^(١) هذا الحديث الشريف هو صورة من صور توجيه المرأة والعناية بها، فالنبي ﷺ لم يأذن لزوجاته بالجهاد، بل بيّن لهن البديل وهو الحج، وفي ذلك تيسيرٌ على المرأة ومراعاةً لطبيعتها، إذ إنّ الجهاد يستلزم قوة في الجسد وكماً في العقل وشجاعة وقدرة على التحمل، وطبيعة المرأة - القائمة على ضعف الجسد ورقة العاطفة والفرع عند المصائب - تتأفي ذلك.

وهذه أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها خرج النبي ﷺ من عندها بعد صلاة الصبح وهي في مسجدها تذكّر الله تعالى، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: "أما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، فقال: "لقد قلت بعدك أربع كلمات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته"^(٢).

كما نراه ﷺ يدعو إلى الاعتدال في العبادة والإقبال عليها بنشاط، حتّى للمسلمين على المداومة على ما يطيقونه من الأعمال والعبادات دون مشقة ولا عنت، لأن سمة هذا الدين اليسر، فيعدل سير من اجتهدت من أمهات المؤمنين وجانب الصواب وشددت على نفسها في العبادة ويعيدها برفق إلى الصواب،

(١) صحيح البخاري ك الجهاد ب جهاد النساء ح ٢٨٧٦.

(٢) صحيح مسلم، ك الذكر والدعاء ب التسيب أول النهار وعند النوم ح ٢٧٢٦

وذلك أن النبي ﷺ دخل ذات مرة "فاذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزئب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي ﷺ: لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعده"^(١).

ثالثاً: التعاون على أداء العبادة:

من أجمل صور التعاون على الخير المشهد الذي رسمه لنا النبي ﷺ بقوله: "رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت رش في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى رشت في وجهه الماء"^(٢)، فقد يتكاسل أحد الزوجين عن القيام بالطاعة، فيكون الآخر مشجعاً وعوناً له على الخير، ومذكراً إياه باغتنام الأوقات، خاصة في الطاعات التي تتطلب القيام من المضاجع للوقوف بين يدي الرحمن، والتي يكون فيها مجاهدة لهوى النفس ورغباتها، وتقديم الآخرة على الدنيا والاكتفاء من الدنيا بالكفاف، وقد كان هذا حال بيت النبوة رغبة فيما عند الله والدار الآخرة.

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال ﷺ "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً"^(٣)، ففي الحديث توجيه نبوي عظيم، وبيان لمدى الشراكة بين المرأة وزوجها في فعل الخير، وفي ذلك دعوة للمرأة بتشجيع زوجها على البذل والإحسان

(١) صحيح البخاري، ك التهجد ب ما يكره من التشدد في العبادة ح ١١٥٠

(٢) صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الصلاة ب الحث على قيام الليل ح ١٣٥٠.

(٣) صحيح البخاري، ك الزكاة ب من أمر الخادم بالصدقة ولم يناول بنفسه ح ١٤٢٥.

والصدقة، إيماناً منها بأن دفع زوجها للأعمال الصالحة يزيد لها شرفاً في الدنيا، وثواباً في الآخرة.

ومن صور التعاون على العبادات إذن الزوج لزوجته بالذهاب إلى أماكن العبادة والعلم كالمسجد، فقد روى الإمام البخاري قوله ﷺ: "إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها"^(١)، ومن ذلك اصطحابها إلى حلق العلم وحفظ القرآن الكريم، وحثها وإعانتها على شهود الخير مع المسلمين كحضور صلاة العيدين، وتأدية العمرة وغيرها، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها لما خرجت في حجة الوداع حاضت فلم تطف بالبيت، ووجدت في نفسها أن الناس يرجعون بحج وعمرة وأنها ترجع بحجة فقط، وأنها لم تطف بالبيت إلا بعد أن حجت، فأمر النبي ﷺ أخاها عبد الرحمن أن يذهب بها إلى التعيم فتهل بعمرة، وما أجمل وصف الصحابي الجليل للنبي ﷺ في هذا الموقف الكريم "وكان رسول الله ﷺ رجلاً سهلاً إذا هويت الشيء تابعها عليه"^(٢).

وشاركت نساؤه معه في الجهاد في سبيل الله وهو رأس الدين وعموده، وذلك بما يناسب قدراتهن وطاقتهن من أعمال كسقي المقاتلة ومداواة الجرحى^(٣)، فقد ثبت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قولها: "كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نساؤه، فأيهن

(١) ك النكاح ب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره ح ٥٢٢٨.

(٢) صحيح مسلم، ك الحج ب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز لإفراد الحج والعمرة والقران ح ١٢١٣.

(٣) انظر، فتح الباري، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، ٧٨/٦.

يخرج سهمها خرج بها النبي ﷺ" (١) ، ولا شك أن إشعار الزوجة بدورها في مثل هذا الأمر العظيم باعث لها على الثبات والتضحية، وجاء عن أنس رضي الله عنه وصفه لما رآه يوم أحد في ذلك الموقف العصيب وقد انهزم الناس فيقول: "ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان أرى خدماً سوقهن تتقزان القرب- وقال غيره تنقلان القرب- على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملاهما ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم" (٢) .

رابعاً: التحذير من الوقوع في المعصية:

ورد في قصة صلاة الخسوف قوله ﷺ "إني رأيت الجنة، أو أريت الجنة، فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار، فلم أر كالיום منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: يكفرون. قيل: يكفرون بالله؟ قال: يكفرون العشير، ويكفرون الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأيت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط" (٣) .

هذا حوار بين المصطفى ﷺ وبين المسلمين، يبين لهم فيه الذنب الذي تجرأ كثير من النساء عليه وهو (كفر العشير)، وكفر العشير يعني: جحد نعمة الزوج وإنكارها أو سترها بترك شكرها، وهذا الحوار الذي يبين ويقرر مصير المرأة - الجاحدة لنعمة الزوج - في

(١) صحيح البخاري، ك الجهاد ب حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه ح ٢٨٧٩.

(٢) صحيح البخاري ك الجهاد ب غزو النساء وقتالهن مع الرجال ح ٢٨٨٠.

(٣) صحيح البخاري، ك النكاح ب كفران العشير وهو الزوج ح ٥١٩٧.

الآخرة، يجعلها في حذر من الوقوع في إثم كفران العشير وكثرة اللعن، فهو خطاب حكيم يجعلها تحيا بحياته الدنيوية وهي تنظر إلى الآخرة، وتجعل كل عوائدها وتصرفاتها، عبادات تتقرب بها إلى بارئها.

وفي جانب آخر في بيت النبوة، يظهر فقه التعامل عند وقوع المعصية - وإن كانت يسيرة - ومعالجة نزغات الشيطان وحفظ النفس البشرية - ولا يخلو جو أسري من هذا الأمر - فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يوماً: "يا رسول الله، إن صفة امرأة، وقالت بيدها هكذا - كأنها تعني قصيرة - فقال لقد مزجت بكلمة لو مزج بها ماء البحر لمزج"^(١).

خامساً: الاهتمام بأخذ إذن الزوج في القيام ببعض النوافل التعبدية: أكد المنهج النبوي على ضرورة الاهتمام بأخذ إذن الزوج في القيام ببعض النوافل التعبدية، فقال ﷺ: "لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة عن غير أمره فإنه يؤدي إليه شطره"^(٢)، فهذه مجموعة من القواعد النبوية في الحفاظ على العلاقة الزوجية وتلاحمها، فمنهي المرأة عن صيام النافلة بحضرة الزوج بدون إذنه له حكمة إلهية في تحقيق الأغراض التي من أجلها وجدت هذه العلاقة، وفيها تأكيد على عظيم حق الزوج، فيقدم إذا ما تعارض مع نافلة من نوافل العبادات، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث: "سبب هذا التحريم أن للزوج حق الاستمتاع بها في كل وقت، وحقه واجب على الفور فلا يفوته بالتطوع

(١) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك صفة القيامة ب ٥١ ح ٢٠٣٤.

(٢) صحيح البخاري، ك النكاح ب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه ح ٥١٩٥.

ولا واجب على التراخي... وفي الحديث أنّ حق الزوج أكد على المرأة من التطوع بالخير، لأنّ حقه واجب والقيام بالواجب مقدم على القيام بالتطوع^(١).

وقد يتخذ بعضهم هذا الإرشاد النبوي للطعن في الإسلام، بقولهم إن في أخذ الإذن من الزوج تقييد لحرية المرأة في ممارسة العبادة، والحقيقة التي لا تخفى هي أن الحرية الحقيقية هي الحرية المستمدة من العبودية المطلقة لله تعالى، فإذا عاش الإنسان هذه العبودية واستشعرها؛ تحرر من كل ما سواها، وهذه العبودية لا تتأفي وجود نظام يسير عليه الإنسان، وإذا كان هذا النظام والتقييد منطلقاً من أمر الله فإنه يكون ضمن عبوديته، وهذا هو الحال بالنسبة لأخذ المرأة الإذن من زوجها فهي إنما تطيع أمر الله، الذي أمرها بطاعة زوجها - فيما يرضي الله لا في معاصيه - وفي ذلك أعظم وأبهى صور العبودية لله سبحانه، فالإسلام لم يوجب طاعة الزوج إذلالاً للزوجة أو احتقاراً لدورها في العلاقة الزوجية، بل مراعاة لمصلحة هذه العلاقة وضبطاً لسيرها.

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب العبادي للعلاقة الزوجية

الدرس الأول: أهمية الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الناس الخير:

من أعظم العبادات التي يتعاون عليها الزوجان: الدعوة إلى الله وتبليغ الخير للناس، فهؤلاء أمهات المؤمنين قد حملن الأمانة مع النبي ﷺ، وكم حملت لنا سيرتهن تعليم المؤمنين - رجالاً ونساءً - شرائع الدين أثناء حياته، ثم نشر هديه ورسالته بعد التحاقه بالرفيق الأعلى،

فقد "كانت بيوت نساء النبي ﷺ مدارس للتعليم، حيث كانت أمهات المؤمنين يقتدين ويؤدين العبادات، ويتخلقن بالأداب والمعاملات التي شاهدن رسول الله ﷺ يتخلق بها، فكنّ في كل ذلك الأسوة لغيرهن من النساء والرجال، حتى إننا نجد أن الصحابة رضوان الله عليهم كثيرا ما كانوا يختلفون في أمر ما، فيأتون إلى زوجات النبي ﷺ ليرجعوا بالجواب، فكانت نساء النبي شواهد اختارهن الله سبحانه وتعالى لمعايشة نبيه، فنقلن بشهادتهن دقائق البيت النبوي وأسراره، وهن يؤدين مهمتهن في تربية أجيال المؤمنين والمؤمنات"^(١).

الدرس الثاني: (بين التخلية والتحلية):

تأتي تزكية النفوس بالطاعات والمداومة عليها، وكراهية المعاصي والنفور منها كواحدة من الدروس الدعوية ذات البعد التربوي، وهذا يؤكد أهمية العبادات في الإسلام، فالإيمان بالله وتحقيق العبودية له عز وجل والقيام بأنواع العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة، والبعد عن المعاصي والمخالفات الشرعية؛ يزكي النفس البشرية، ويطهرها من الذنوب والآثام، ويسهل عليها قبول الحق والانقياد للشرع، "ولا شيء مثل العبادات بأنواعها المختلفة يزكي النفس، ويهيئها لاكتساب الأخلاق الطيبة والتخلص من الأخلاق الرديئة"^(٢).

(١) أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، حفصة حسن، ص ١٩٠.

ورسالة الداعية هي: الدعوة إلى المبادرة إلى فعل الواجبات، و الإكثار من الطاعات والنوافل التي تقرب من الله تعالى، وتسمو بالروح إلى مراتب الكمال، وتكسب حب الرحمن وتأييده وحفظه، لأن "من تولى الله بالطاعة والتقوى؛ تولاها الله بالحفظ والنصرة"^(١)، كما أنه بذلك يطيع أمر الله عز وجل بوقاية النفس والأهل من عذاب النار، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ النَّارِ وَأُولَئِكَ نَارًا نُورُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢)، وقال ﷺ: "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه"^(٣).

إن مداومة المسلم على أداء العبادات - فروضها ونوافلها - يعظم في نفسه أمر الإخلاص لله، والشعور بعظمته، والانقياد لأمره تعالى، كما يكسبه الطمأنينة والسكينة، فلا يستثقل شرائع الدين، أو يضيق بها صدره، بل يعيش معاني العبادة لله بمعناها الواسع، الذي يشمل جميع جوانب حياته، فيتوجه بجميع أعماله لله، بتحسين نيتها في سائر أمور معاشه، وبيتغي وجه الله في ذلك، فيصبح عابدا لله حيثما توجه، وتصبح

(١) فتح الباري ، ١١ / ٣٤٣.

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٦.

(٣) صحيح البخاري ، ك الرقاق ب التواضع ح ٦٥٠٢.

العبادة هي صلته الدائمة الوثيقة بربه، فيعيش في معية الله تعالى، ويتقلب في رحمته وتوفيقه وإعانتة، وهو أعظم ما يظفر به المسلم، قال النبي ﷺ: "يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة"^(١).

الدرس الثالث: استقامة الزوجين ثمرة دعوية مهمة جدا :

إن الحرص على تحقق الاستقامة التي توصل الزوج المؤمن إلى أعلى الدرجات حيث تحفه الملائكة، وتبشره بخيري الدنيا والآخرة، واستقامة الزوجين؛ تكون بلزومهما الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفَأُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبشَرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(١).

والاستقامة هي: الثبات على قوله: ربنا الله، بحقها وحقيقتها، والاستقامة عليها شعورا في الضمير، وسلوكا في الحياة، والصبر على تكاليفها، وهذا أمر كبير وعسير - إلا على من وفقه الله تعالى - ومن ثم استحق عند الله هذا الإنعام الكبير.^(٢)

إن الزوجين المستقيمين على أمر الله، يكونان أبعد ما يكون عن نزغات الشياطين، التي تؤدي بهما إلى تجاوز الحدود وإلى الوقوع في الإفراط أو التفريط، فلا يتهاونان ويفتران عن القيام بما هو مطلوب منهما، ولا يميلان أو ينحرفان في أقوالهما وأفعالهما ونياتهما وسائر شؤونهما، لأن حقيقة الاستقامة: "تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله"^(٣)، والزوجان اليوم يعيشان عصرا مليئا بالمغريات والملهيات والفتن، مما قد يلهي عن طاعة الله، ويدفع إلى مخالفة شرعه، وهذا يؤكد ضرورة

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣/١٢١/٥ (بيروت والقاهرة، دار الشروق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ١٠٥/٢، ط: ٢ (بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م).

الاستقامة، ولن يكون هذا إلا بمجاهدة النفس لامثال ما أمر الله به، والانتهاه عما نهى عنه، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ...﴾^(١)، والمقصود: جاهدوا أنفسكم في طاعة الله، وردوها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظلمة في رد ظلمهم^(٢).

المطلب الثاني: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الإنساني للعلاقة الزوجية:

إن السنة النبوية تشكل مادة ثرة وغنية بالمواقف النبوية التي توضح الجانب الإنساني في العلاقة الزوجية، فقد بعث الله رسوله ﷺ بالدين الكامل الذي به تمام النعمة والسعادة للإنسان، ومن المواقف النبوية التي توضح ذلك ما يأتي في المقصد الآتي:

المقصد الأول: الهدي النبوي في الجانب الإنساني للعلاقة الزوجية: أولاً: إحسانه وبره ﷺ لزوجاته:

يتعجب المرء من طبيعة العلاقة الزوجية التي تنشأ بين فردين غريبين قد لا يعرف أحدهما الآخر، ثم يرتبطان بميثاق قوي غليظ، يبني بينهما علاقة قريبة جداً وشراكة في جميع الجوانب، فإذا هذان الزوجان يعيشان تحت سقف واحد تظللهما أقوى مشاعر المحبة والألفة، يقتسمان اللقمة الواحدة ويفرحان معا ويحمل أحدهما مع رفيقه همه، ولا يكاد يطراً لأحدهما أمر سرور أو حزن إلا ورفيقه يعلم حاله ويتقاسم معه مشاعره، وقد بين النبي ﷺ أساس هذه العلاقة

بقوله: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"، فهي علاقة ملاصقة واندماج وصفها الله تعالى بقوله: ﴿مَنْ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُمْ.....﴾^(١)، وعاشها المصطفى ﷺ بكيانه كله، فتجده قدوة في الوفاء لشريكة دربه في الدعوة، وأم أبنائه خديجة رضي الله عنها، فيفرح لرؤية ما يذكره بها ويتواصل بإحسانه وبره لأهلها بعد وفاتها، وتحكي عائشة غيرتها الشديدة منها ووفائه لها فتقول رضي الله عنها: "ما غرت على نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وإني لم أدركها، وكان النبي إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة، قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟ فقال الرسول ﷺ إنني قد رزقت حبها"^(٢)، ويحزن بقدر ما يتذكر أيامها الخوالي ويرق رقة شديدة عند رؤيته للقلادة التي كانت قد أهدتها لابنته زينب رضي الله عنها وبعثها فداء لزوجها أبي العاص بعد غزوة بدر^(٣)، كما تسمعه وهو يعبر عن الشفافية في المشاعر الزوجية وهو يقول لعائشة رضي الله عنها: "إنني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عني غضبي، فقالت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢) صحيح مسلم، ك فضائل الصحابة ب فضائل خديجة أم المؤمنين ح ٢٤٣٥.

(٣) انظر، سيرة النبي ﷺ، عبد الملك بن هشام: تحقيق الشيخ محمد محبي الدين عبد الحميد، ٢/٢٩٧ ط:

بلون، (الرياض، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد).

قالت: أجل والله يا رسول الله، ما اهجر إلا اسمك^(١)، وتحكي مداعبته لها وتلطفه وتودده لها بقولها: "كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب، و أتغرق العرق - وهو العظم الذي عليه اللحم- وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في"^(٢)، ويحكي لنا أنس رضي الله عنه مشهدا رائعا لعناية الزوج بزوجه ورفقه بها في حديثه عن صفة رضي الله عنها يقول: "فرايت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة، ثم يجلي عند بغيره فيضع ركبته وتضع صفة رجلها على ركبته حتى تركب"^(٣).

ثانيا: تبادل المشاعر العاطفية والتصريح بها:

قد تتعدم المشاعر العاطفية والمحبة بين الزوجين وتصل العلاقة بينهما إلى أشبه ما يكون بعلاقة ذات طابع رسمي يؤدي كل فرد فيها واجباته ومسؤولياته دون عاطفة حب أو ود، فلا يسمع الإطراء الجميل والمدح والثناء، ولا يعبر عن الشوق والمحبة والأهمية والمكانة في حياة الزوج، ثم لا يلبث أن يمل الزوجان ويسأمان من هذا الجفاء العاطفي، فيعلو صوت الشقاق عند كل بادرة خلاف في الرأي، منذرا بقرب تفكك هذا البيت، أو يلجأ الزوجان إلى إشباع هذا النقص العاطفي إلى طرق أخرى يختلط فيها المشروع بغير المشروع من الحلول، وهذه صورة تتكرر في كثير من بيوت المجتمع.

(١) صحيح البخاري، ك النكاح ب غيرة النساء ووجدهن ح ٥٢٢٨.

(٢) صحيح مسلم، ك الحيض ب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها ح ٢٩٩.

(٣) صحيح البخاري، ك المغازي ب غزوة خيبر ح ٤٢١١.

أما في بيت النبوة فكانت أفياء المحبة والمودة تظلل جوانبه وتغمر أفراد البيت المبارك، فيعلن النبي ﷺ حبه لخديجة رضي الله عنها: "إني رزقت حبها"^(١)، ويصرح بحبه لزوجته عائشة بنت الصديق رضي الله عنها أمام الناس دون شعور بخجل أو نقص في رجولته، بل إنها من أحب الناس إلى قلبه^(٢) وقد حفظت لنا سيرته عليه الصلاة والسلام المواقف الكثيرة المتنوعة في الحياة الزوجية الكريمة.

ثالثاً: الوفاء بحقوق المعاشرة الزوجية:

إن العلاقة الجنسية بين الزوجين عامل مهم ومؤثر بشكل كبير في استقرار وتماسك العلاقة الزوجية واستمرارها، كما أنها السبيل إلى الهدف الآخر من الزواج وهو النسل والنزيرة، وقد عظم النبي ﷺ خطأ من قصرت في حق زوجها عند حاجته إلى ذلك فقال: "إذا باتت المرة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع"^(٣)، وهو أمر فطري غريزي مشترك بين الرجل والمرأة، وقد راعى النبي ﷺ زوجاته وحاجتهن في هذا الجانب، ولم يمنعه تعددهن من الوفاء بحقهن في ذلك، فقد روى الإمام البخاري: "أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وله يومئذ تسع نسوة"^(٤)، كما حفظت لنا سنته ﷺ صوراً جميلة تجمع بين إشباع هذه الغريزة مع إرواء العاطفة لدى الزوجة، وهذا من الأسباب المهمة لدوام المحبة والألفة بين الزوجين، تحكي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها موقفاً نبوياً

(١) صحيح مسلم، ك الفضائل ب فضائل خديجة أم المؤمنين ح ٢٤٣٥.

(٢) انظر، صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك المناقب ب فضل عائشة ح ٣٠٤٦.

(٣) صحيح البخاري، ك النكاح ب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ح ٥١٩٤.

(٤) صحيح البخاري، ك النكاح ب من طاف على نسائه في غسل واحد ح ٥٢١٥.

راقيا يتدفق بالمحبة: "بينما أنا مضطجعة مع رسول الله ﷺ في الخميعة، إذ حضت، فانسلت فأخذت ثياب حيضتي، فقال لي رسول الله ﷺ أنفست؟ قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميعة. قالت: وكانت هي ورسول الله ﷺ يفتسلان في الإناء الواحد من الجنابة"^(١).

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب الإنساني للعلاقة الزوجية:
الدرس الأول: وسطية الحياة الزوجية واعتدالها:

إن الإسلام دين الوسطية في كل جوانبه، قال تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِكُمْ إِنَّمَا لَمْ يَلِدْ عَلَيْكُمْ وَأَلَمَلْ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسْتَدُوا بِرَبِّكُمْ فَتَكُونَ مِنَ الْمَكْرُمِينَ ﴾^(٢)
﴿ وَكُلُوا مِن مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) ، ومنهج الإسلام هو التوازن بين الإيجابيات والسلبيات، والموازنة بين المصالح والمفاسد، ويدل على ذلك من الهدي النبي ﷺ تعليمه آداب الحياة الزوجية بقوله ﷺ "لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر"^(٣).

ومن اعتدال الإسلام مراعاته للجوانب الفطرية الغريزية؛ إشباعها وعدم كبتها أو إطلاقها دون قيد أو نظام، "فالتدين الصحيح لا يكمن في التنسك والزهد بحسب ما تمليه الأهواء والرغبات، كما لا يكون التدين الصحيح المستقيم في الانقطاع عن المباحات والم لذات، وإنما يكون التدين المستقيم الصحيح بالتمسك بما كان عليه النبي ﷺ، فمن سنته الشريفة المنيفة: الأكل والشرب والنكاح والنوم، كل

(١) صحيح مسلم، كالحيض بالاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد ٢٩٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: (٨٧ - ٨٨).

(٣) سبق تخريجه.

ذلك من غير إسراف ولا مضيعة، بل في اعتدال^(١)، فتقوى الله ومرضاته لا تتنافى مع إشباع الشهوات المغروسة في الفطرة الإنسانية ما دامت بطريقة مشروعة، فالدين الإسلامي ينهى عن التبتل والانقطاع إلى العبادات وحرمان النفس من النكاح وما يتبعه من الملاذ - كما يصوره أعداء الإسلام - فدين الفطرة يحارب الركون إلى الدنيا ولذائذها وإغفال الآخرة والسعي لها، أما اتخاذ هذه اللذائذ مطية للدار الآخرة فهو المطلوب المأمول، ومن أدلة ذلك إباحة الله تعالى الرفث إلى النساء في ليالي الصيام بل الأمر به في قوله: ﴿أَجِلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ لَهُنَّ...﴾^(٢)، وورود الأمر بتصوير قرآني بديع يصور تلاحم الزوجين في ساعة الأنس، فهما وشائج مترابطة تحت مظلة الزواج الشرعي، ومما يؤكد ذلك شرع الدعاء حال الجماع كما علمنا ذلك النبي ﷺ بقوله: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا..."^(٣)، كما أن التأمل في حال النبي ﷺ وعلاقته مع أزواجه في الصيام يجد أن نهار الصوم وإن كان للتعبد والانقطاع عن المفطرات لكنه يتخلله نوع مداعبة للزوجة^(٤)، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه أملككم لإربه"^(٥).

(١) موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة، دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ص ٥٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك النكاح ب ما يقول إذا دخل على أهله ح ٨٧٢.

(٤) انظر، موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة، دورها في

المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، من ص ٦٢ - ٦٤.

(٥) صحيح مسلم، ك الصيام ب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ح ١١٠٦.

الدرس الثاني: تعريف الزوجين بالأداب الإسلامية للمعاشرة الزوجية:

إن توعية الأزواج بأداب المعاشرة من القضايا التي يلتزم الدعاة التذكير بها بالطريقة المناسبة، وخاصة أولئك الذين يعملون في مجال الإرشاد الأسري، حيث يعمل الكثير من الدعاة في مجال الإرشاد الأسري والزواجي، وفي لجان إصلاح ذات البين، وتشمل المشكلات الجنسية بين الزوجين مساحة كبيرة من أسباب المشكلات الزوجية والتفكك الأسري، وهو أمر مهم لأن إهمال هذه المشكلات يصيب الحياة بالتوتر والقلق، وهذا أمر ينعكس بشكل كبير على نفسية الزوجين وقد يؤدي إلى تصدع بنیان الحياة الزوجية.

ومن أسباب ظهور هذه المشكلات وتفاقمها في كثير من المجتمعات: الغموض في تناول العلاقة الجنسية بين الزوجين، والجهل والتعقيم الذي يغلف هذه العلاقة نتيجة الخجل الذي ينشأ ويرى عليه الرجل والمرأة، فهما يعلمان منذ الصغر أن أي حديث عن هذه العلاقة عيب وإثم لا يجوز الحديث فيه حتى مع أقرب الأقربين، وقد يبدأ الزوجان حياتهما في بيت الزوجية وهما يجهلان حقائق هذا الجانب وآدابه وفنونه بل وأحكامه الشرعية، فيصطدمان بشكل عنيف يحضر الأثار المبررة في نفوسهما وذاكرتهما إلى آخر حياتهما الزوجية ما لم يجعل بإنهائهما وعلاجها من الأساس كما تظهر مشكلة سوء التوافق الجنسي نتيجة جهل الزوج بطبيعة الزوجة، وعدم اهتمامه بإشباع حاجتها إلى الحنان والحب، حيث إن الجنس بالنسبة للمرأة لا يكفي وحده للتعبير عما لديها من مشاعر عاطفية كالحب والحنان^(١) والعطف .

(١) انظر، مشكلات التوافق الزوجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج، مجلة نوال عبد الله الخنطي، ص ٤٣، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم علم النفس بكلية التربية الدراسات الدعوية جامعة الملك سعود ١٤٢٠هـ.

المطلب الثالث: الدروس الدعوية من الهدي النبوي في الجانب الأسري للعلاقة لزوجية:

العلاقة الزوجية في الإسلام هي أساس تكوين الأسرة، "والأسرة كمجموع بشري من ذكر وأنثى هي اللبنة الأولى والوحدة الاجتماعية الأساسية للمجتمع، وتتجسد فيها أركان المجتمع ومقوماته البنائية، ومهما صغر حجمها أو عدد أفرادها فإنهم يرتبطون بعلاقات عاطفية واجتماعية ومالية وتظمهم حقوق وواجبات"^(١).

المقصد الأول: الهدي النبوي في الجانب الأسري للعلاقة الزوجية:

أولاً: التعاون على الخير:

تعد أساليب التعامل التي تنشأ بين أفراد الأسرة من بداية العلاقة الزوجية بمثابة عوامل حاسمة، تعمل على ترابط وبقاء الأسرة أو تفككها وانحلالها واضطرابها، وهي مسؤولية مشتركة بين الزوجين، وهذا النبي ﷺ يعلم المسلمين وجوها عديدة من التعاون على الخير، فيذكر صورة الزوجين المتحاضين على قيام الليل، اللذين يقوم أحدهما الليل ويوقظ رفيقه فإن أبى والإ نضح في وجهه الماء، كما يأمر بإيقاظ زوجاته في الليل ويعظهن، فقد روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: "استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال: سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتن؟ وماذا فتح من الخزائن؟ أيقظوا صواحب الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"^(٢).

مجلة الدراسات الدعوية (١) ميثاق الأسرة في الإسلام، د. أحمد العسال وآخرون، ص ١٢٧.

(٢) صحيح البخاري، ك العلم ب العلم والعظة في الليل ح ١١٥.

ثانياً: التعاون في شؤون المنزل:

إن التعاون بين الزوجين ومشاركة الزوج في بعض الأعمال المنزلية لا ينقص من مكانة الإنسان حتى لو كان مسؤولاً كبيراً في مكان ما، أو رجلاً معروفاً أو إماماً وخطيباً إلى غير ذلك من العطايا والمناصب الدنيوية، فإن هذا لا يمنعه أن يكون زوجاً رحيماً في بيته، محباً لزوجته رؤوفاً رحيماً بها، يعطيها من كرم خلقه ويتقرب إليها ويدنو منها بمشاركتها في مهام بيتهما، وهذا المصطفى ﷺ تصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها صنيعه في أهله بقولها: "كان يكون في مهنة أهله- يعني خدمة أهله-، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"^(١)، ولم يمنعه انشغاله بالرسالة والدعوة وحمل أعباء الأمة من أن يكون نعم الزوج الودود الكريم الذي يحمل مسؤولية بيته مع زوجته.

ثالثاً: صلة الأرحام وزيارة الأهل:

إن المحافظة على صلة الأرحام وتبادل الزيارات مما يؤدي إلى تآزر المجتمع، فتصفو القلوب وتشيع المودة والألفة بين المتواصلين وترتفع الشحناء والبغضاء، وقد نوّه تعالى بمكانة الأرحام في قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، والرجل والمرأة سواء في صلة أرحامهم سواء أكانوا ذكورا أم إناثاً، يصلان ويوصلان كلاهما يناسبه من صور البر والصلة، وقد بين النبي ﷺ عظيم أثر صلة الأرحام بقوله: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه"^(٣)، ومن أسباب ضعف العلاقة الزوجية منع

(١) صحيح البخاري، كالأذان ب من كان في حاجة أهله ح ٦٧٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٣) صحيح البخاري، كالأدب ب من يبسط له في الرزق لصلة الرحم ح ٥٩٨٦.

المرأة من صلة أهلها وزيارتهم لمدد طويلة جهلاً بمكانة صلة الرحم، وتهاونا بآداب الإسلام وأخلاق المسلمين، ولا سيما صلة الوالدين، حيث جاء الحث والتأكيد على وجوب الإحسان إليهما حتى وإن كانا مشركين، فكيف إذا كانا مسلمين؟ فهذه أسماء رضي الله عنها تستأذن النبي ﷺ في صلتها لأُمها التي قدمت عليها وهي مشركة، تقول: "إن أُمي قدمت وهي راغبة؟ قال: نعم، صلي أُمك"^(١)، بل إن في منع الرجل زوجته من صلة أهلها إضاعة لأمانة القوامة عليها، إذ مقتضى القوامة: إعانة الزوجة على أمور دينها وطاعة ربها^(٢).

كما يقع الخطأ من بعض الأزواج عند وقوع الإفراط أو التفريط ومجانبة الصواب في الاعتدال في جانب صلة الرحم، مثل التفرقة بين أهل الزوج وأهل الزوج في الصلة والإحسان، فيميل إلى أحد الطرفين على حساب الطرف الآخر، والأصل إعطاء كل ذي حق حقه من البر والإكرام، كما يخطئ البعض الآخر حين يخلط بين مشكلات والديه وبين علاقته الزوجية، أو يستسلم ويضعف أمام الظلم الذي قد يقع لأحد أطراف الأسرة، ومن هنا اعتبرت إحدى الدراسات تدخل أهل الزوجين في حياة أبنائهم من أكثر المشكلات تأثيراً على التوافق الزوجي^(٣)، ومن المهم هنا مراعاة التوازن في بناء هذه العلاقات والمحافظة عيها، فلا تطفئ علاقة المرء بوالديه - مثلاً - على حساب علاقته بشريكه، أو العكس، فيقع التقصير عليها.

(١) صحيح البخاري، كالأدب ب صلة الوالد المشترك ح ٥٩٧٩.

(٢) انظر، موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتنا أخلاقها، حياتها العامة والخاصة، دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، من ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

(٣) انظر، مشكلات التوافق الزوجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج، نوال عبد الله الحنطي، ص ٢٦.

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب الأسري للعلاقة الزوجية:

الدرس الأول: الرفق ولين الجانب:

من أهم صفات الداعية في أسرته: الرفق والتواضع ولين الجانب والإحسان إلى الأهل، فأساليب المعاملة بين الزوجين تؤثر على درجة التوافق بين الزوجين بشكل كبير، كما أثبتت إحدى الدراسات، وقد تبين وجود ارتباط عام موجب بين أساليب المعاملة الزوجية السوية وبين التوافق الزوجي^(١)، وعليه فالواجب على الزوج أن يراعي أهل بيته ويتلطف بهم ويشاركهم في شؤونهم الخاصة تأسياً بالهدي النبوي، وهذا لا يعد ضعفاً أو تراخياً كما يظن البعض ممن قل علمهم بسنة المصطفى ﷺ، وقد أمرنا الله تعالى بالتأسي به وبأخلاقه، ومما يؤخذ على بعض الدعاة غلظة أخلاقهم مع أسرهم، وتقصيرهم في حقوقهم، بينما تتوافر سماحة الخلق والكرم مع غيرهم، وتقديم قضاء حاجات الأبعاد على حساب الأسرة وحاجاتها المتنوعة.

الدرس الثاني: المساهمة في الإصلاح الأسري:

من الموضوعات الدعوية المهمة: دور الداعية في الإصلاح الأسري، وإصلاح ذات البين بين جميع أفراد الأسرة، واحتواء المشكلات الناشئة بين الأزواج وحلها بأحكام طريقة، وأرفع تعامل، فالغيرة من

(١) انظر، دراسة التوافق الزوجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية وبعض سمات الشخصية
دراسة مقارنة بين العاملات وغير العاملات، منيرة عبد الله الشمسان، رسالة دكتوراه غير
منشورة بقسم علم النفس كلية التربية جامعة الملك سعود، ١٤٢٥ هـ.

أكثر المشكلات وقوعا بين الزوجات، وتحتاج إلى حكمة بالغة في حلها واحتواء آثارها، فهذه إحدى أمهات المؤمنين ترسل بطعام في صحفة إلى الرسول ﷺ وأصحابه وهو في بيت ضربتها، ولا تملك أم المؤمنين غيرتها فتأتي وتكسر الصحفة، فيجمع المصطفى ﷺ فلقتي الصحفة ويقول: "غارت أمكم" ثم يحبس الخادم حتىأتي بصحفة من عند التي كسرت الصحفة ويدفع الصحيفة إلى التي كسرت صحفتها، ويمسك المكسورة في بيت التي كسرت فيه ^(١)، ومن ذلك إصلاحه بين زوجاته، ومراعاته مشاعرهن ووعظهن وتذكيرهن بالله ضبطا لسلوكهن الانفعالي، فلا يقعن في الظلم أو إضرار السوء، فعن أنس رضي الله عنه أنه بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي؛ فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي. فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وإن عمك نبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك؟ ثم قال: اتقي الله يا حفصة ^(٢) فهذا إصلاح وإنصاف امتزج بالحكمة والموعظة.

الدرس الثالث: صلاح بيت الدعوة:

إن الأسرة بجميع أفرادها سكن الداعية واستقراره وأنسه، ومتى صلحت وظللت أفرادها المودة والرحمة والاحترام المتبادل كانت نعم السكن، ومتى خيمت عليها نذر الشقاق والتفكك، كانت مصدرهم وقلق للداعية، والداعية الحصيف يحرص على صلاح أهل بيته وسعادتهم،

(١) صحيح البخاري، ك النكاح ب الغيرة ح ٥٢٢٥.

(٢) صحيح سنن الترمذي، الشيخ الألباني، ك المناقب ب فضل أزواج النبي ﷺ ح ٣٠٥٥.

وللأبناء من ذلك حظ كبير، بل إنهم من أهم أبواب الخير التي يسعى الزوجان إلى إقامة شأنها، تربية وتعلّيمًا وتذكيرًا وتوجيهًا إلى الخير وإعانة على أمور الدنيا والآخرة، وهذا الحق للأبناء على الآباء يمتد حتى بعد استقلال الأبناء عن أسرهم وزواجهم، ويقدم النبي ﷺ مثلاً بارزاً في رعاية شؤون ابنته فاطمة رضي الله عنها، فهي تخدم زوجها حتى يرهقها ذلك، وتأتي لأبيها طالبة منه العون فلا تصادفه، فتبث شكواها لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فيبلغ خبرها النبي ﷺ فيعالج الأمر بلمسات تربوية رائعة وعلاج إيماني حكيم، حيث جاءها وزوجها وهما في مخدعهما وقال لهما: "ألا أدلكما على خير مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمداً ثلاثاً وثلاثين، وكبراً أربعاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم"^(١)، فوجهها ﷺ وزوجها إلى الذكر والتسبيح، ليكونا شركاء في الطاعة، ويبنّ لهما الخير، وذلك أنّ ملازمة ذكر الله تعطي المرء قوة أعظم من القوة التي يعمل بها الخادم، أو تسهل عليه الأمور، وقد يكون القصد من الذكر هنا أنه تحصيلٌ ونفعٌ في الآخرة، والخادم نفعه في الدنيا، ونفع الآخرة خير وأبقى^(٢)، رغم أن مشكلة الخادم اليوم قد تكون سبباً رئيساً لكثير من حالات الطلاق والمشكلات الأسرية رغم بساطتها، إلا أن بعض الآباء قد يعظمها حين يجانب الحكمة، والأصل

(١) صحيح البخاري، كالتفقات ب عمل المرأة في بين زوجها ح ٥٣٦١.

(٢) انظر، فتح الباري، (٥٠٦/٩).

في الوالدين السعي إلى إصلاح أحوال أولادهم، وهذا النبي ﷺ يتوجه نحو صهره علي رضي الله عنه ليتراضاه ويمسح التراب عن ظهره ليبسطه، ويدعوه بالكنية المشهورة، ولا يعاتبه لمغاضبته ابنته مع رفيع منزلتها عنده، ويؤخذ من هذا استحباب الرفق بالأصهار وترك معاتبتهم ابتغاء مودتهم^(١)، فقد روى الإمام البخاري أن علياً رضي الله عنه "غاضب يوماً فاطمة، فخرج فاضطجع إلى الجدار في المسجد، فجاءه النبي ﷺ يتبعه، فقال: هو ذا مضطجع في الجدار، فجاءه النبي ﷺ - وامتلاً ظهره تراباً - فجعل النبي ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويقول: اجلس أبا تراب"^(٢).

المطلب الرابع: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في الجانب الجمالي للعلاقة الزوجية:

تتفق العناية بالجانب الجمالي عند الزوجين مع الفطرة الإنسانية السوية، ومع تعاليم الشريعة الإسلامية التي تولي الاهتمام بالإنسان ظاهراً وباطناً، ومن جوانب عناية الهدى النبوي بالجمال في العلاقة الزوجية ما يأتي في المقصد التالي:

المقصد الأول: الهدى النبوي في الجانب الجمالي للعلاقة الزوجية:

أولاً: العناية بالنظافة الشخصية:

النظافة الشخصية من الصفات اللازمة للإنسان، وأكثرها دلالة على الشخصية السوية المحببة، وأعظمها أثراً في التقريب والتجاذب

(١) انظر، فتح الباري، (١٠/٥٨٧).

(٢) صحيح البخاري، كالأدب ب التكني بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى ح ٦٢٠٤.

بين الزوجين بل إلى كل من هم حول هذا الإنسان، ولا شك أن عناية الزوجين بنظافة البدن والثوب، والبعد عن المظاهر المنفرة غير المقبولة والرائحة السيئة، أمر ضروري للمحافظة على متانة العلاقة الزوجية، وقد يهمل بعض الأزواج مثل هذه الجوانب رغم أنها من لب الإسلام وصميمه، فقد ثبت عن النبي ﷺ الحث على الاستحمام والتطيب وبخاصة في يوم الجمعة، فقال: "اغتسلوا يوم الجمعة، واغسلوا رؤوسكم وإن لم تكونوا جنباً، وأصيبوا من الطيب"^(١)، ويبلغ من شدة حظه المسلمين على النظافة أن يجعله حقاً على كل مسلم ويضع حداً لذلك، فقد ثبت عنه قوله ﷺ: "لله تعالى على كل مسلم حق أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً"^(٢).

كما يأمر ﷺ - وفي أكثر الأحوال خصوصية وقرباً بين الزوجين - من أراد النوم بعد جماع أهله أن يتنظف فيتوضأ ويغسل فرجه ثم ينام، فيقول للسائل: "توضأ واغسل ذكرك ثم نم"، وذكرت أم المؤمنين رضي الله عنها حاله فقالت: "كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة"^(٣)، ومما يلفت نظر الباحثين ويسترعي انتباههم في كل زمان ومكان أن الهدي النبوي الذي تميز بالنظافة جاء منذ خمسة عشر قرناً، في وقت لم تعرف فيه الحمامات ولا الاستحمام، بل إن دنيا

(١) صحيح البخاري، ك الجمعة ب الدهن للجمعة ح ٨٨٤.

(٢) صحيح البخاري، ك الجمعة ب هل على من لم يشهد الجمعة غسل ح ٨٩٨.

(٣) هذا الحديث والحديث الذي قبله في صحيح البخاري، ك الغسل ب الجنب يتوضأ ثم ينام ح ٢٩٠/٢٨٨.

غير المسلمين لم تصل بعد ألف سنة إلى مستوى هذا الهدي النبوي في
النظافة عند المسلمين .^(١)

ومن وصايا الهدي النبوي في مجال النظافة ما أوصى به النبي ﷺ
النساء من التطهر بالمسك بعد الحيض؛ دفعا لأي رائحة كريهة، تعليما
للمسلمة التي جاءت تسأله عن كيفية التطهر فقال: "خذي فرصة من
مسك فتطهري بها، قالت: كيف أتطهر؟ قال: تطهري بها.
قالت: كيف؟ قال: سبحان الله تطهري. فاجتذبتها إلي فقلت: تتبعي بها
أثر الدم"^(٢).

ومن أهم مجالات النظافة الشخصية تعهد نظافة الفم والأسنان،
الأمر الذي يتطلب من الزوجين مراعاة العناية بطيب الأنفاس والبعد
عن الروائح المؤذية، وقد ثبت عن النبي ﷺ وزوجاته شدة العناية
بأسنانهم وتظيفها باستمرار بالسواك في أحوالهم المتنوعة، فهو أول ما
يبدأ به ﷺ عند دخول بيته كما أجابت أم المؤمنين عائشة رضي الله
عنها لمن سألها "بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت:
بالسواك"^(٣)، كما جاء في حديث رواه الإمام مسلم عن عروة رضي الله عنه :
"وسمعتنا استنانه عائشة في الحجرة"^(٤).

(١) انظر، شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، : د. محمد علي

الهاشمي، ص ١٠٧، ط: ٤ (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

(٢) صحيح البخاري، ك الحيض ب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض وكيف تغتسل ح ٣١٤.

(٣) صحيح مسلم، ك الطهارة ب السواك ح ٢٥٣.

(٤) صحيح مسلم، ك الحج ب عدد عمر النبي ﷺ وزمانهن ح ١٢٥٥.

ثانياً: العناية بالمظهر الخارجي:

لقد حث رسول الله ﷺ أصحابه على العناية بحسن المظهر، حتى يكون المسلم على أحسن هيئة بين الناس، وقد كان الرسول ﷺ يقول فقال لأصحابه إذا قدموا من السفر: "إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رجالكم، وأحسنوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش"^(١)، فكأنه ﷺ يعد الهيئة الرديئة وإهمال العناية بالمظهر والتبذل في اللباس من الفحش والتفحش وهذا أمر يخالف هديه ﷺ.

وإذا كان هذا الاهتمام بالمظهر الخارجي أمر مرغوب فيه للأصحاب والإخوان فهو بين الزوجين أولى وأوجب، لأن ذلك ينعكس مباشرة على استقرار العلاقة الزوجية والألفة بينهما، كما ثبت إن النبي ﷺ نهى الأزواج عن مفاجأة أهليهن بالدخول عليهن بعد السفر، إلا وهن في أحسن حالة وقد علمن بقدم أزواجهن، ففي حديث جابر رضي الله عنه: "إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة"^(٢).

ثالثاً: أخذ الزينة المباحة:

حث الإسلام على أخذ الزينة في الأوقات المناسبة وبالأحوال والدرجة المقبولة، قال تعالى: ﴿يَبْنَؤْ دَامَ خُلُودِ زَيْتُكَرَّ عِنْدَكَ مَسْجِدٌ وَكَأُوْا اَشْرُوْا

(١) السنن، أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ك اللباس ب ما جاء في إسبال الإزارح ٤٠٨٨، ط: ١ (بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م).

(٢) صحيح البخاري، ك النكاح ب طلب الولد ح ٥٢٤٦.

وَلَا تُسْرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾ ، وكذلك يبين النبي ﷺ أن الهيئة الحسنه والزينة المباحة لا تعد من الكبر المحرم، فقال لمن اشتبه عليه الأمر وسأله: "إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس" (٢).

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب الجمالي للعلاقة الزوجية:
الدرس الأول: التكريم الرياني للمرأة المسلمة:

إن تكريم الإسلام للمرأة يمد ظلاله على جميع شؤون حياتها، ليشمل علاقتها مع زوجها، فالآية الكريمة توضح جليا العدل في قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَرْفُوفِ وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَأَلَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣) ، ومما لا شك فيه أن اهتمام المرأة بالجوانب الجمالية أكثر من الرجل، فحبها للزينة وحرصها عليها أمر فطري لا تخالف عنه إلا الرجل من النساء، والزوج يحب الزوجة التي تسر عينه بمرآها والتي يشم منها أطيّب الطيب، وقد يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: هل أوجب الإسلام على المرأة فقط أن تأخذ بالنظافة والزينة؟.. ألا تحب المرأة من زوجها ما يحب منها؟.. ما الهدي النبوي في اهتمام الزوج بزنيته ونظافته؟..

إن قول الله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَرْفُوفِ وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَأَلَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يدخل في معنى الآية: أن على الرجل أن يتجمل لزوجته كما تتجمل له، يقول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: (إني أحب

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) صحيح مسلم، ك الإيمان ب تحريم الكبر وبيانه ح ٩١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي المرأة" ^(١) ، كما يقول النبي ﷺ :
 "وإن لزوجك عليك حقاً" ^(٢) ، وكثيرة هي الروايات التي تبين عناية النبي
 ﷺ بالجانب الجمالي، فقد روى أنس رضي الله عنه قال: "كانت للنبي ﷺ
 سُكَّة - وهو طيب معروف - يتطيب منها" ^(٣) وعنه ﷺ في وصفه يقول:
 "ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ ، ولا شممت ريحاً
 قط أو عرفاً قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ" ^(٤) ، وقد كان ﷺ يهتم
 بهيئته ولباسه، ومما جاء في وصف أصحابه له: "كان النبي ﷺ مربوعاً
 بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيته في حلة حمراء، لم
 أر شيئاً قط أحسن منه" ^(٥) ، وكان يهتم بترجيل شعره وإكرامه
 وتطيبه، وكم قامت زوجاته أمهات المؤمنين بغسل شعره وترجيله
 وتطيبه ﷺ إكراماً له ورعاية واهتماماً بشؤونه الخاصة ^(٦) .

والأحاديث السابقة تؤكد حض الإسلام على ضرورة العناية بالنظافة
 الشخصية للمسلم، بل إن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لا ترى بأساً
 أن تطلب المرأة من زوجها العناية بنظافته الشخصية والاستحمام بالماء

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٢٩٨/١.

(٢) صحيح البخاري، ك الصوم ب حق الجسم في الصوم ح ١٩٧٥.

(٣) صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الترجل بما جاء في
 استحباب الطيب ح ٤١٦٢.

(٤) صحيح البخاري، ك المناقب ب صفة النبي ﷺ ح ٣٥٦١.

(٥) صحيح البخاري، ك المناقب ب صفة النبي ﷺ ح ٣٥١١.

(٦) انظر، صحيح مسلم، ك الحج ب الطيب للمحرم عند الإحرام ح ١١٩٢.

تطيبا، فتقول للمؤمنات: "مرن أزواجكن أن يستطيبوا بالماء، فإني أستحييهم، فإن رسول الله ﷺ كان يفعله"^(١).

الدرس الثاني: توعية المجتمع بالتربية الجنسية:

تعد التربية الجنسية من الموضوعات المهمة التي ينبغي أن يطرقتها الداعية في مجال النظافة الشخصية، والعناية بجمال البدن والمظهر العام، بما يتلاءم مع طبيعة المخاطبين وحاجاتهم، ومن ذلك توعية الشباب والشابات بجانب العناية بالجوانب الجمالية الداخلية والخارجية، وتنشئتهم على ما يؤدي إلى استقرار حياتهم الأسرية بعد زواجهم.

الدرس الثالث: العناية بالنظافة الظاهرة والباطنة:

على الدعاة إلى الله من الرجال والنساء أن يكونوا على أحسن هيئة وأجمل منظر، ليكونوا أقدر على التأثير والوصول إلى قلوب الناس، فالدعاة مطالبون بالعناية بهيئاتهم ونظافة أبدانهم وأثوابهم حتى لو كانوا في خلواتهم، تطيقا لسنن الفطرة التي حث عليها المصطفى ﷺ^(٢)، وإتباعاً للهدى النبوي، ما دام هذا التجميل غير مبالغ فيه ومجانباً للإسراف والمخيلة، فالقيام بمسؤولية الدعوة إلى الله لا يتنافى مع حسن المظهر والنظافة، وقد جاء الحث عليها من صحابة النبي ﷺ حتى في حال

(١) صحيح الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ك الطهارة ب الاستنجاء بالماء ح ١٩.

(٢) انظر، صحيح مسلم، الطهارة ب خصال الفطرة ح ٢٦١.

العبادات، كما في عبادة الصيام فيقول ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهيئا مترجلا"^(١)، كما أن الداعية لا ينبغي أن يكون رمزا للإهمال والفوضى في شكله الظاهر، فحسن الهيئة والترتيب وإحسان المظهر في اللبس والتطيب طريق إلى قبول دعوته وقوله، وإذا قصد الداعية بهذا رفعة الدين فإنه يثاب عليه^(٢).

(١) صحيح البخاري، لث الصيام ب اغتسال الصائم ترجمة باب ٢٥.

(٢) انظر، هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، د. عبد الله إبراهيم اللحيان، الدراسات الدعوية، ط: ١، الرياض، دار الحضارة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

المطلب الخامس: الدروس الدعوية من الهدى النبوي في الجانب الترفيهي للعلاقة الزوجية:

تحتاج النفس البشرية إلى الترويح والاستجمام الذي يثمر الانبساط وإزالة التعب وإدخال السرور على النفس، والانتقال من حال إلى حال آخر أكثر تشويقاً، فالدين الإسلامي قد راعى طبيعة الإنسان، فجعل له إلى جانب التكاليف فسحة من الأمر، وجعل لهذا الفسحة ما يضبطها، فأباح له بعد الجد والكدح أن يأخذ شيئاً من الاستجمام واللهو المباح، يستعيد بها نشاطه، ويريح عقله وفكره، ويعيد له صفاء وتوقده، والترويح المباح شرع واسع المساحة متنوع الألوان، ومن مظاهره وأثره في بناء العلاقة الزوجية ما يأتي ضمن المقصد الآتي:

المقصد الأول: الهدى النبوي في الجانب الترفيهي للعلاقة الزوجية:

أولاً: ممارسة اللهو المباح:

يعرف الترويح والاستجمام والترفيه بأنه: "إدخال السرور على النفس، والتنفيس عنها، وتجديد نشاطها"^(١)، فالمواظبة على الحزم والجد في كل الأحوال أمر شاق على نفوس البشر، ويورثها الملل والضيق، فهي مجبولة على المراوحة بين الأشياء، والإنسان ينتقل من عمل إلى آخر، ومن قول إلى غيره، ويختلف فيما بين الجد والفكاهة، ويجد راحته في عمل ما ترغب في القيام به، ولا يكاد يتقنه حتى يمله ويبعث عن عمل جديد غيره^(٢)، وقد راعى النبي ﷺ هذه الحاجة في تعامله مع أصحابه ومع زوجاته، وقد بين هذا الأمر عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فيقول: "كان النبي ﷺ

(١) قضايا اللهو والترفيه بين الحاجة النفسية والضوابط الشرعية، مادون رشيد، ص ٧٦ ط ٢:

(الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

(٢) انظر، المرجع السابق، ص ١١٢.

يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا" ^(١) ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح رحمه الله - : يستفاد من الحديث "استحباب ترك مداومة الجد في العمل الصالح خشية الملل" ^(٢) .

كما حفظت لنا السيرة نماذج رائعة من اللهو المباح والتلطف بين الزوجين المتحابين، واستغلال الأوقات المختلفة للمبادرة إلى إدخال السرور والأنس اللطيف المرح للنفس، بالعبارات الحانية الرقيقة مرة، وبشيء من اللهو الجائز مرة أخرى، فهما يتسابقان تارة حتى يسبق أحدهما فيسبقه المرة الأخرى بها، ويسارع ﷺ إلى إدخال السرور إلى قلب زوجته بفعله، حين يقوم ويسترها لتتنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، مراعاة منه لحاجتها للترفيه، فتقول رضي الله عنها: "والله، لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية حديثة السن، حريصة على اللهو" ^(٣) ، فمن الضروري في بناء العلاقة الزوجية تلبية حاجة النفس للترفيه والعناية بالنشاط الترويحي الذي يرفه عنها، ويعينها على تحمل مشاق العمل والجد في حياتها، شريطة ألا تتعارض هذه الأنشطة الترويحية مع القيم والمبادئ الإسلامية، أو أن يكون سببا في انشغال الإنسان عن واجباته وعباداته.

(١) البخاري ك العلم ب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ح ٦٨ .

(٢) فتح الباري، ١/١٣٦ .

(٣) صحيح البخاري، ك العيدين ب الحراب والدرق في العيد ح ٩٤٩ .

ثانياً: الحديث والسمير مع زوجاته:

إن الحديث والحوار بين الزوجين هو وسيلة مهمة لفهم ما يدور في خلد الطرف الآخر، والتزام أحد الطرفين الصمت قد يؤدي بالشريك إلى الاستسلام للخيال والنساوس التي تذهب به بعيداً عن الواقع، وقد أطلق بعض المختصين على انعدام الحديث والحوار بين الزوجين مصطلح "السكته الزوجية"^(١) إشارة إلى خطورة سيادة الصمت بين الزوجين على علاقتهما الزوجية، ومن أجمل ما نقلته لنا كتب السنة في هذا الشأن مسامرة النبي ﷺ لزوجته وعنايته بمشاعرها وتحليله وفهمه لنفسيتها بقوله: "إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عني غضبي، فقالت: ومن أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجر إلا اسمك"^(٢)، إن هذه الدقة في فهم المشاعر - حتى ليعلم كلمات الرضا من الغضب - هي أعظم درس للزوجين في بناء العاطفة الصادقة بينهما، فالمسايرة والتعاطف بين الزوجين وتقبل أحدهما رأي الآخر وتقدير موقفه وظروفه، كل هذا يعد من أساسيات ومبادئ التوافق بين الزوجين^(٣)، كما يظهر تلاففه ﷺ بزوجته وإيناسها بمحادثتها أثناء انتظارهما لصلاة الفجر حتى يأتيه

(١) دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ص ٥٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر، توكيد الذات وعلاقته بالتوافق الزوجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات،

عويذة نداء الشعري، ص ٤٥.

المؤذن، فتقول رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ كان إذا صلى، فإذا كنت مستيقظة حدثني، وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة"^(١).

وفي تجاذب الحديث بين الزوجين تقوية للعلاقة بينهما، حيث يعبر كل منهما عن مشاعره تجاه الآخر ويعرفه بمكانته عنده، وهذا أمر لا يمله الزوجان مهما تكرر سماعه، بل يلح الطرفان في طلبه وبخاصة المرأة، فنجد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تؤكد سمو مكانتها عند زوجها ﷺ وتطالب بالتعبير عن مشاعر الحب منه، رغم تصريحه بحبها رضي الله عنها أمام أصحابه، إلا أنها كانت شديدة الرغبة والحرص على سماع ذلك منه، فتقول له: "يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرا لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: في التي لم يرتع منها. يعني أنه لم يتزوج بكرا غيرها"^(٢).

وحين يتحدث الزوجان مع بعضهما ويشتركان في التفكير؛ فإن كل واحد منهما ينفس عما يعتمل في صدره من الهموم والتوتر، ويخفف عن زوجه كدره وهمومه بالحديث معه ومطالعة بالأخبار السارة التي تذهب همه وتسلو عنه حزنه، وقد حفظت لنا كتب السنن الكثير من الحوارات والمسامرات بين النبي ﷺ وأزواجه، فهذه عائشة رضي الله عنها تصيبها غيرة شديدة عندها يخرج النبي ﷺ من عندها ليلا، فلما رجع ورأى ما بها قال: "ما بك يا عائشة؟ أغرت؟

(١) صحيح البخاري، ذك التهجد ب من تحدث بعد الركعتين ولم يضطجع ح ١١٦١.

(٢) صحيح البخاري، ذك النكاح ب نكاح لأبكار ح ٥٠٧٧.

فقالت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك، فقال: أوقد جاءك شيطانك ؟ قالت: يا رسول الله أو معي شيطان ؟ قال: نعم، قالت: ومع كل إنسان ؟ قال: نعم، قالت: ومعك أنت يا رسول الله ؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم^(١)، كما تسانده حين تشاركه هموم الدعوة وما مر به من محن وأذى فتسأله: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ فيبثها ما لاقاه من قومه في مكة حتى جاءه ملك الجبال وجبريل عليهما السلام يشدان من أزره ويستأذنانه في إهلاك القوم، فيستأني بهم ويرجو لهم الهداية^(٢).

ثالثاً: سماع الأخبار الاجتماعية:

لقد أدرك النبي ﷺ حاجة المرأة إلى الحديث مع الزوج، فاستمع إلى عائشة رضي الله عنها، وذلك في الحديث الطويل المعروف (حديث أم زرع) حيث حكّت أم المؤمنين عائشة للنبي ﷺ أخبار إحدى عشرة امرأة تعاقدن وتعاهدن على أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً، وعلق النبي ﷺ بعد سماعه لها بقول: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع"^(٣)، وهو حديث مليء بأخبار وآداب الحياة الزوجية، وفيه "حسن عشرة المرء أهله بالتأنيس والمحاذثة بالأمور المباحة ما لم يفض ذلك إلى ما يمنع، وفيه المزح أحياناً وبسط النفس به، ومداعبة الرجل أهله،

(١) صحيح مسلم، ك صفة القيامة والجنة والنار ب تحريش الشيطان وبعثه سراياه ح ٢٨١٥.

(٢) انظر، صحيح مسلم، ك الجهاد ب ما لقي النبي ﷺ من المشركين والناقضين ح ١٧٩٥.

(٣) صحيح البخاري، ك النكاح ب حسن المعاشرة مع الأهل ح ٥١٨٩.

وإعلامه بمحبته لها ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة تترتب على ذلك من
تجنيتها عليه وإعراضها عنه"^(١).

المقصد الثاني: الدروس الدعوية في الجانب الترفيهي للعلاقة الزوجية:
الدرس الأول: أهمية مراعاة المتغيرات المعاصرة:

من الأمور المهمة في الدعوة الإسلامية: مراعاة المتغيرات المعاصرة
الطارئة على الأسرة، ومن ذلك التغير الاقتصادي والنقلة الاقتصادية
الكبيرة التي مر بها العالم، وحولته من عصر الشدة والتشرف إلى
عصر الرخاء والترف والترفيه، فعقلية الوفرة والرخاء التي يعيشها
أزواج اليوم تختلف كلياً عن عقلية الشدة والضعف التي عاشها أزواج
الأمس، ولهذه التغيرات آثار متعددة تضرب في عمق صميم العلاقة
الزوجية وظروفها، كما أن هذه العقلية قدمت أنماطاً حياتية جديدة
من المهم فهمها والوصول إلى أفضل طريقة للتعامل معها، ومنها:
"ضرورة الترفيه"، حيث أصبح الترفيه جزءاً أساسياً من نمط حياة
الأسرة، بل يرى البعض أنه ضرورة عصرية بسبب الحياة المتسارعة
المتوترة التي يعيشها الزوجان المعاصران، حيث أصبح كل منهما
بحاجة مستمرة إلى أن يرفه عن نفسه بطرق عديدة، وعدم التأقلم مع
هذا المتغير - بسبب الغفلة أو عدم الإدراك أو الجهل - أو المبالغة فيه
يؤدي إلى مشكلات تؤثر - بعض الأحيان - تأثيراً بالغاً على العلاقة
الزوجية^(٢)، كما أشارت إحدى الدراسات إلى أن الترتيب الأول
للمشكلات الأكثر شيوعاً لدى عينة الدراسة هي: مشكلة الزمن

الذي يقضيه الزوجان معا، ذلك أن التغيير في المجتمع السعودي وما تبعه من رفاهية اقتصادية، كان من أهم العوامل التي وفرت للزوجين أعمالا محددة بساعات محددة، وذلك يفترض أن هناك وقتا متزايدا يقضيه الزوجان معا مقارنة بالماضي، ولقد تبع ذلك التغيير الاجتماعي أيضا قيام أفراد أو مؤسسات ببعض أدوار الزوجين، مثل الخدم والسائقين ودور الحضانة والنوادي.. إلخ، مما أتاح للزوجين وقتا إضافيا للبقاء مع بعضهم، لكن الاتصال الإعلامي بالعالم الخارجي وإمكانية السفر للخارج، والأندية الرياضية والمطاعم والمقاهي أصبحت مجالات لقضاء الأزواج أوقاتهم بعيدا عن زوجاتهم^(١).

الدرس الثاني: أداء أمانة الدعوة إلى الله:

إن حمل أمانة الدعوة والقيام بمسؤولياتها لا يعني إهمال الحاجات الإنسانية الفطرية، فإن إشباعها يعين الدعاة على مسؤولية القيام بواجب الدعوة إلى الله، فالإسلام يدعو إلى الوسطية والاعتدال في القيام بحقوق الله وحقوق الناس وحقوق النفس، ولعل في حديث الرهط الذين جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ وسألوا عن عبادته فكان توجيهه لهم إلى الاعتدال والتوسط بين حاجات الإنسان الضرورية وبين العبادة ما يدل على ذلك، فإمام الدعاة ﷺ بشر من البشر، لم يمنعه كونه خاتم الرسل والأنبياء أن يستمتع بحياته الزوجية، وأن يمارس مع زوجاته أنواع اللهو المباح، وأن يعبر عن مشاعر الحب والمودة لهن، وهذا من شمول الشريعة الإسلامية، وقد أشارت إحدى الدراسات

(١) انظر، مشكلات التوافق الزوجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج، نوال عبد الله الحنطي، ص ١٥٣.

الحديثة إلى أن إمكانات الأفراد الانفعالية تؤثر بشكل كبير في علاقاتهم الأسرية، وقد ترجع أسباب التصدع والتفكك الأسري في المقام الأول إلى العجز عن إظهار العاطفة وضعف القدرة على الارتباط الوجداني بين الزوجين^(١)، وفي ذات الوقت تؤكد دراسة أخرى أن مهارة إبداء الإعجاب بالطرف الآخر وضبط النفس والمصارحة مما يزيد من مستوى التوافق الزوجي، وهذا يرجع إلى أن قيام الزوجة بإبراز ميزات زوجها وإظهار إعجابها بهذه المميزات، فإن الزوج سوف يشعر بأهميته وقيمه أمام زوجته مما يعمل على خلق جو أسري يتسم بالقبول والرضا والمشاعر الطيبة بين الزوجين^(٢)، ثم إنها كلمة موجهة إلى بعض الدعاة إلى الله الذين انشغلوا عن بيوتهم بالدعوة إلى الله والمشاركة في الأعمال الاجتماعية والخيرية المختلفة متناسين ما لزوجاتهم من حقوق، وعليه فالواجب التوازن في هذا الأمر استجابة للأمر النبوي "إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه"^(٣).

(١) انظر، فاعلية برنامج مقترح لتنمية الذكاء الوجداني لدى عينة من الأمهات السعوديات داخل الأسر، سحر عبد اللطيف كردي، ص ٧، رسالة دكتوراه غير منشورة، بقسم التربية وعلم النفس كلية التربية للبنات بجامعة الملك عبد العزيز، ١٤٢٩هـ.

(٢) انظر، الذات وعلاقته بالتوافق الزوجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات، عويذة نداء الشمري، ص ١٥٩.

(٣) صحيح البخاري، ك الصوم ب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ح ١٩٦٨.

الغائمة

أحمد الله الكريم الذي بنعمته تتم الصالحات.. وأصلي وأسلم على نبي الهدى والرحمة وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأسلم تسليماً كثيراً.. وبعد.. توصلت الباحثة إلى نتائج تختتم بها هذا البحث (دروس دعوية من الهدى النبوي في بناء العلاقات الزوجية) ومنها:

١- أن الإسلام لم يترك العلاقة الزوجية تسير بشكل عشوائي، بل رسم لها طريقاً واضحة، وشكل لها منهجاً متكاملاً، يستلهمه المسلمون من خلال سيرة المصطفى ﷺ، فهديه أكمل الهدى وأحكامه.

٢- أن الهدى النبوي يمثل المنطلق الأساس للدعاة إلى الله، والسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، فلا غنى للداعية في أي مجال وميدان عن الاقتباس من السنة، والاقتداء بالهدى النبوي وخاصة في جانب العلاقة الزوجية.

٣- تعد العلاقة الزوجية من أهم العلاقات الإنسانية المؤثرة في حياة الفرد، وهي أساس بناء الأسرة في الإسلام، وتتبع أهميتها من أهمية الزواج في الإسلام وأهدافه ومقاصده.

٤- من أهم الأسس التي تبنى عليها العلاقة الزوجية بعد توافر أركان الزواج وشروطه والكفاءة بين الزوجين؛ قيام العلاقة على تقوى ومحبة وطاعة لله تعالى، والمعاشرة بالمعروف مع قيام كل طرف في العلاقة الزوجية بما يجب عليه من واجبات وأداء ما عليه من حقوق، وسيادة العدل وحفظ الأمانة وعدم إفشاء خصوصيات الأسرة.

٥- ضرورة اقتداء الدعاة إلى الله بالنبى ﷺ، خاصة في جانب علاقتهم بأهلهم، لقوة أثر ذلك على سير حياته وقيامه بدعوته لله، ولثماره الزكية كحصول السكّن النفسى والاستقرار العاطفى والنشاط في أمور الدعوة.

٦- من الدروس المهمة في بناء العلاقة الزوجية: حرص الزوجين على تعلم الأحكام الشرعية، وتعليم الرجل لزوجته ما تحتاجه من أمور دينها وتوجيهها إلى ما تزكى به نفسها في الدنيا والآخرة من العبادات الفاضلة المتنوعة.

٧- من الآثار المهمة للعناية بالعبادة بين الزوجين حصول التزكية لقلوبهما ودوام الألفة بينهما وبعدهما عن المعاصي بأنواعها وهذا يؤدي إلى الاستقامة على أمر الله والفوز في الدنيا والآخرة.

٨- تنوع النماذج في البر والوفاء وحسن العشرة بين الزوجين، فقد كان الخلق السائد في بيت النبوة هو الرحمة والرفق والمحبة والمودة قولاً وعملاً وتبادلاً لأسمى عواطف المحبة بين الزوجين.

٩- الممارسة العملية عند النبي ﷺ في الوفاء بحقوق العشرة الزوجية وتلبية حاجاته الجسدية والنفسية وإشباعه لحاجات زوجاته، وهذا له أثر قوي في استقرار الأسرة وسعادتها، وهذا يؤكد أن الإسلام دين الوسطية ودين الإنسانية.

١٠- حاجة المجتمع إلى التوعية بالجوانب الفطرية الغريزية، والاهتمام بتوعية المسؤولين بأهمية التربية الجنسية التي توجه لكل مرحلة عمرية ما يناسبها من الإرشاد.

- ١١- ضرورة التتويج في أساليب التعامل بين الزوجين منذ
مستهل الحياة الزوجية، فهي تعد عوامل حاسمة في ترابط وبناء
الأسرة أو في تفككها واضطرابها، ولنا في الرسول ﷺ قدوة إذ لم
تحفظ سيرته إلا أرقى صور التعامل مع الزوجة.
- ١٢- أهمية دور الدعاة في الإصلاح الأسري سواء عن طريق
اللجان المخصصة لذلك أو بالمجهود الفردي الشخصي، فأصلاح ذات
البين بين جميع أفراد الأسرة واحتواء المشكلات الناتجة بين الأفراد
من أهم العوامل التي تنتج بيئة آمنة للزوجين والأبناء.
- ١٣- إن العناية بالنظافة الشخصية داخليا وخارجيا،
والاهتمام بالزينة والمظهر الحسن، والعناية بالجانب الجمالي بين
الزوجين له بالغ الأثر في تقارب الزوجين وانجذاب أحدهما للآخر،
وهو حق لكل منهما على الآخر سواء بسواء.
- ١٤- الترفيه واللهو المباح والاستجمام حاجة نفسية لا
يستغني عنها الزوجان لتجديد نشاطهما وإدخال السعادة والسرور على
بعضهما وسيرة ﷺ قد حفظت مواقف عديدة تظهر حرص نبي الرحمة
على مراعاة هذه الحاجة الفطرية عند الإنسان.
- ١٥- ضرورة مراعاة المتغيرات المعاصرة الطارئة على كيان
الأسرة، ومن ذلك التغير الاقتصادي الذي أفرز أنماطا جديدة في
التعامل بين الزوجين، وتأثيرا على بعض الأعراف السابقة، ومن المهم
للزوجين التأقلم مع هذه المستجدات.
- ١٦- إن حمل أمانة الدعوة والقيام بمسؤولياتها لا يعني
إهمال الحاجات الإنسانية الفطرية للداعية، لأن الرسول ﷺ كان
يستمع بحياته الزوجية، ويمارس مع زوجاته أنواع اللهو المباح، ويعبر
عن مشاعر الحب والمودة لهن.

مقترحات وتوصيات البحث:

- أولاً: تقترح الباحثة إجراء دراسات في المجالات الآتية:
- أ. دروس دعوية مع حديث أم زرع في العلاقات الزوجية.
 - ب. دروس دعوية مع الهدي النبوي في حل المشكلات الزوجية والأسرية.
 - ج. الإعداد الدعوي للمسلمة الداعية من خلال سيرة أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.
- ثانياً: تقترح الباحثة إعداد سلسلة حقائب تدريبية علمية خاصة بالجهات الخيرية التي ترعى الأسرة والعلاقات الزوجية - سواء كانت لتأهيل للمقبلين على الزواج أو لمن يحتاج إلى الإرشاد الأسري والزواجي - ، بحيث تكون هذه الحقائب مبنية على القرآن والسنة والتطبيق النبوي للأسس والآداب الزوجية.

مراجع البحث

القرآن الكريم

- ١) أثر العلاقات الأسرية في حياة الداعية في الكتاب والسنة، فاطمة سعود الكحيل، بحث ماجستير غير منشور قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والعلوم الإنسانية جامعة طيبة ١٤٢٧هـ.
- ٢) أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، حفصة حسن، ط:١(بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- ٣) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط: ٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة ومكتبة القدس، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
- ٤) البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيع، ط:٢(الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠).
- ٥) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط:١(مصر، المطبعة الخيرية بالمنشأة الجمالية، ١٣٠٦هـ).
- ٦) التربية الجنسية والعلاقات الزوجية في الأسرة السعودية، دراسة ميدانية، د. محمد إبراهيم السيف (محافظة عنيزة، لجنة الإصلاح الأسري، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- ٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البناء ط: بدون (مصر، كتاب الشعب، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

٨) توكيد الذات وعلاقته بالتوافق الزوجي وتقدير الذات لدى عينة من النساء المتزوجات، عويدة نداء الشمري، رسالة ماجستير غير منشورة قسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود ١٤٢٨هـ.

٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط:٧(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

١٠) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط بدون (لبنان بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ).

١١) دراسة التوافق الزوجي وعلاقته بأساليب المعاملة الزوجية وبعض سمات الشخصية دراسة مقارنة بين العاملات وغير العاملات، منيرة عبد الله الشمان، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم علم النفس كلية التربية جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ.

١٢) دليل الإرشاد الأسري (الإرشاد بالمقابلة)، عبد الله ناصر السدحان، ط بدون (مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).

١٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ط:١(بيروت، مؤسسة الرسالة، و الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

- ١٤) السنن، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ط: ١ (بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م).
- ١٥) سيرة النبي ﷺ، عبد الملك ابن هشام: تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: بدون، (الرياض، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد).
- ١٦) شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي، ط: ٤ (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- ١٧) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط: ١، (الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- ١٨) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: ١ (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- ١٩) صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: ٢ (الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ٢٠) صحيح سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط: ٢ (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- ٢١) صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: بدون (المملكة العربية السعودية، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٠هـ).

٢٢) صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام النووي، ط: بدون (المطبعة المصرية).

٢٣) العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، د.فؤاد عبد الكريم العبد الكريم، ط: ١ (الرياض، كتاب البيان مطابع أضواء المنتدى، ١٤٢٦هـ).

٢٤) فاعلية برنامج مقترح لتنمية الذكاء الوجداني لدى عينة من الأمهات السعوديات داخل الأسر، سحر عبد اللطيف كردي، رسالة دكتوراه غير منشورة، بقسم التربية وعلم النفس كلية التربية للبنات بجدة جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٢٩هـ.

٢٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني، تصحيح ومقابلة: الشيخ عبد العزيز بن باز، ط: بدون (نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد).

٢٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، بيروت والقاهرة، دار الشروق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٢٧) قضايا اللهو والترفيه بين الحاجة النفسية والضوابط الشرعية، مادون رشيد، ط: ٢ (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٢٨) مجلة الإعجاز العلمي العدد ٣٠ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ.

٢٩) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ط: ٢ (بيروت لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

- ٢٠) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط: ٢ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م).
- ٢١) المسند، أحمد بن محمد حنبل، فهرسة الشيخ الألباني، ط: ٤، (المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م).
- ٢٢) مشكلات التوافق الزوجي لدى الأسرة السعودية خلال الخمس سنوات الأولى للزواج، نوال عبد الله الحنطي، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود ١٤٢٠هـ.
- ٢٣) الملخص الفقهي، صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان، ط: ١٢ (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ٢٤) موسوعة المرأة المسلمة المعاصرة، حقوقها واجباتها حرياتها أخلاقها، حياتها العامة والخاصة، دورها في المجتمع والأسرة، د. عبد الرب نواب الدين آل نواب، ط: ١ (الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- ٢٥) ميثاق الأسرة في الإسلام، د. أحمد العسال وآخرون، ، إعداد: د. أحمد عبد الحلين، د. جمال الدين عطية، د. صلاح عبد المتعال، د. عبد الرحمن النقيب، د. عبد اللطيف عامر، د. علي جمعة، د. فتحى لاشين، د. محمد عمارة، د. محمد كمال الدين إمام، د. يوسف القرضاوي، ط: ١، (الرياض، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، دار الرواد، ١٤٣٠هـ).

٣٦) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ط: بدون (القاهرة، الاعتصام ودار النصر للطباعة الإسلامية).

٣٧) هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، د. عبد الله إبراهيم اللحيان، ط: (الرياض، دار الحضارة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

أسأل الله الكريم أن يوفقنا لما يرضيه من الأقوال والأفعال
وصلى الله على نبينا وقررة أعيننا محمد وعلى آله وأصحابه وبارك
وسلم تسليما كثيرا..
والحمد لله رب العالمين...

العرف وتطبيقاته في الحسبة

إعداد

الأستاذ الدكتور: حمد بن ناصر العمار

الأستاذ بقسم الدعوة والاحتساب

في كلية الدعوة والإعلام

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:
فمن فضل الله سبحانه وتعالى على المسلمين أن جاءتهم شريعتهم الإسلامية الخاتمة على حال يصلح معها إصلاح أحوال جنس الإنسان في شقيه المادي والروحي، وأنّ الشريعة لم تأت بمحارات العقول، ولا بمتهاتات الأبدان والنفوس، بل جاءت أحكامها متناسبة مع طبيعة الإنسان في كافة أطواره وأحواله مما جعلها صالحة للبشرية قاطبة إلى قيام الساعة.

وكان من أبرز ما عنيت به الشريعة أنّها راعت أعراف الناس وقبلت منها ما لم يصطدم بالقواعد الشرعية المقررة، بل أعلنت من مكانة الأعراف المرعية المعتبرة وجعلت لها درجة رفيعة. وأذكت الشريعة في نظام الاحتساب فيها على أهمية مراعاة جانب العرف وقبول المعروف منه، وشجعت على استصلاح الأعراف الفاسدة ومعالجتها.

ولقد تجلت أهمية الموضوع وأسباب اختياره فيما يلي:

- ١- منزلة العرف، ومدى اعتباره في الشريعة الإسلامية.
- ٢- يبرز اعتبار العرف مدى صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.
- ٣- مكانة الحسبة الكبيرة، وأهمية تطبيقات الحسبة في الواقع المعاصر.
- ٤- التطورات المتلاحقة في واقع الناس، وضرورة معرفة كيفية تطبيق الحسبة فيها، وأهمية مراعاة العرف عند تطبيقها.

أهداف الدراسة:

- ١ - تهدف الدراسة إلى بيان مكانة العرف في التشريع الإسلامي.
 - ٢ - تهدف الدراسة إلى إبراز أهمية الحسبة والاحتساب.
 - ٣ - تهدف الدراسة إلى الكشف عن تطبيقات الحسبة واعتبارها للعرف منذ العهد النبوي، وعصر الخلفاء الراشدين.
 - ٤ - تهدف الدراسة إلى بيان كيفية التطبيق المعاصر إلى اعتبار العرف في مجال الحسبة.
- الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات، ويلاحظ أن بعضها يتعلق بالعرف وتطبيقاته واعتباره ومكانته، وبعضها يتعلق بالحسبة، فمما يتعلق بالعرف ما يلي:

- ١/ أثر العرف في التشريع الإسلامي، د. السيد صالح عوض، ط/ دار الكتاب الجامعي، القاهرة.
 - ٢ / العرف حجيته، وأثره في فقه المعاملات عند الحنابلة، الشيخ عادل قوته، ط/ ١، المكتبة الملكية: ١٤١٨هـ.
 - ٣ / العرف وأثره في الشريعة والقانون، أ.د. أحمد المبارك، ط/ ١، الرياض: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
 - ٤ / العرف والعادة في رأي الفقهاء، أحمد فهمي أبو سنة، ط/ ١، مطبعة الأزهر، مصر: ١٩٤١م.
 - ٥ / مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، د. رقية بنت نصر الله محمد نياز، بدون ذكر تاريخ ودار النشر.
- وهذه الدراسات لم تربط بين العرف والحسبة، ولكن انصب الحديث إلى الكلام عن تعريف العرف وصوره ومكانته في التشريع الإسلامي.

وأما ما كتب عن الحسبة بشكل خاص فهو كثير ومنه:

مجلة
الدراسات
الدعوية

١ - معالم القربة في أحكام الحسبة، ابن الأخوة القرشي، تحقيق: د. محمد شعبان ود. صديق المطيعي، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٦م.

٢ - نهاية الرتبة في طلب الحسبة، للإمام الشيرازي، تحقيق د. السيد الباز، ط/ ٢، دار الثقافة بيروت: ١٤٠١هـ.

٣ - الحسبة، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، حققه وعلق عليه، علي بن نايف الشحود، بدون ذكر رقم وتاريخ وبلد الطبعة. وهي تبرز تأصيل الحسبة ومكائنها وصورها وتطبيقاتها، ولكنها لم تكشف النقاب عن تطبيقات العرف في مجال الحسبة مما يبين أهمية هذه الدراسة التي نحن بصدددها.

وقد سعيت جاهداً بفضل الله سبحانه على التعرف على مسائل هذا الموضوع المهم الذي جاء تحت عنوان "العرف وتطبيقاته في الحسبة" من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما نصّ عليه علماء الأمة - رحمهم الله - من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: أحكام العرف في مجال الحسبة.

المبحث الثاني: تطبيقات اعتبار العرف في الحسبة في صدر الإسلام.

المبحث الثالث: أهمية اعتبار العرف في الحسبة وتطبيقاته المعاصرة.

أسأل الله سبحانه أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: أحكام العرف في مجال الحسبة

للعرف أهمية كبيرة في مجال الحسبة، إذ لا يمكن بحال أن يتم إغفال العرف عند التطبيق والممارسة العملية للحسبة، ومن الممكن أن نتعرف على أحكام العرف في مجال الحسبة من خلال ما يلي:

المطلب الأول: تعريف العرف لغة واصطلاحاً:

والعرف لغة كما الزبيدي: (والعُرفُ: علمٌ. والعُرفُ: الرَّمْلُ والمكانُ المرتفعان، ويضمُّ رأؤه وفي الصَّحاح: العُرفُ الرَّمْلُ المرتفعُ، وقال غيره: العُرفُ هنا: موضعٌ أو جبلٌ، كالعُرفة بالضمِّ، وجمعُ العُرفِ: أعرافٌ، مثل أفضالٍ. والعُرفُ: ضَرْبٌ من النَّخْلِ، والعُرفُ من الرَّمْلَةِ ظَهْرُهَا المُشْرِفُ وكذا من الجبلِ، وكلُّ عالٍ. والعُرفُ: جَمْعُ عُرُوفٍ).

والعُرفُ: جَمْعُ العُرُفَاءِ من الإبلِ والضَّبَاعِ ويُقال: ناقةٌ عُرُفَاءُ: أي مُشْرِفةُ السَّنَامِ، وقيل: ناقةٌ عُرُفَاءُ: إذا كانت مذكَّرةً تُشبهه الجمالُ، وقيل لها: عُرُفَاءُ لِطَوْلِ عُرْفِهَا. والعُرفُ: جَمْعُ الأعرافِ من الخيلِ والحَيَاتِ يُقال: فَرَسٌ أعرَفُ: كثيرُ شَعْرِ المَعْرِفَةِ، وكذا حَيَّةٌ أعرَفُ. ويُقال: طارَ القَطَا عُرُفاً بالضمِّ: أي مُتتَابِعَةً بَعْضُهَا خَلْفَ بَعْضٍ، ويُقال: جاءَ القَوْمُ عُرُفاً عُرُفاً أي مُتتَابِعَةً^(١).

وقال الرازي - رحمه الله - : (وعُرْفُهُ يعرفه بالكسر معرفةً وعُرُفَانًا بالكسر والعُرفُ الريح طيبة كانت أو منتنة، والمعُرُوفُ ضد المنكر، والعُرفُ ضد النكر يقال أولاه عُرُفاً أي معروفاً والعُرفُ

مجلة

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي،

الدراسات

تحقيق: مجموعة من المحققين، ١٤٢ / ٢٤، ط / دار الهداية، بدون تاريخ.

الدعوية

أيضا الاسم من الإعراف والعرف أيضا عرف الفرس وتعارف القوم عرف بعضهم بعضاً^(١).

قال ابن منظور - رحمه الله - : (والعرف: كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وهو ضد النكر، والعرف والمعروف: الجود)^(٢).

وجاء في المعجم الوسيط: (عرف فلان على القوم عرافة دبر أمرهم وقام بسياستهم والشيء عرفانا وعرفانا ومعرفة أدركه بحاسة من حواسه فهو عارف وعريف وهو وهي عروف وهو عروفة) (والتاء للمبالغة) و(عرف) عرفا ترك التطيب فهو عرف والديك كان له عرف فهو أعرف وهي عرفاء و(عرف) الحجاج وقفوا بعرفات والاسم (في اصطلاح النحاة) ضد نكره والشئ طيبه وزينه والضالة نشدها (العرف) الرائحة مطلقا وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها (العرف) المعروف وهو خلاف النكر وما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم واسم من الاعتراف يقال له علي مائة عرفا وشعر عنق الفرس ولحمة مستطيلة في أعلى رأس الديك والمكان المرتفع ويقال عرف الجبل ونحوه لظهره وأعله.

والحكم العرفي ما لا يجري على قواعد القانون العام مراعاة لمقتضيات الأمن و(المعروف) اسم لكل فعل يعرف حسنه بالعقل أو الشرع وهو خلاف المنكر^(٣).

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ١/٤٦٧ ط/١، مكتبة لبنان، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٢) لسان العرب، محمد بن منظور الإفريقي، ١٠/١١١، ط/١، دار صادر، بيروت.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ٢/٥٩٥، ط/دار الدعوة، القاهرة: بدون تاريخ.

ومن خلال ما سبق يظهر أن العرف له عدة معان منها:

١. المعروف الذي تعارفه الناس.
٢. ما كان ضد المنكر.
٣. السكون والطمأنينة.
٤. الصبر.
٥. تتابع الشيء متصلاً ببعضه ببعض.
٦. الظهور والوضوح.
٧. العلو والارتفاع^(١).

والمدقق لهذه المعاني التي أوردتها المعاجم يستطيع أن يستخلص أن العرف أطلق على المعروف مما يدل على أنه بمعنى واحد وهو ضد المنكر، وسمي عرفاً لأن الناس لا ينكرونه ولا يستقبحونه، فإن من أنكر شيئاً توحيش منه وابتعد عنه. كما سمي عرفاً لتتابع الناس واتصالهم به واعتيادهم عليه كتتابع الشعر على عرف الفرس. كما سمي عرفاً لوضوحه وظهوره كعلو الجبل وارتفاعه في سطح الأرض وكوضوح سنام الناقة على ظهرها^(٢).

(١) أقرب الموارد، العلامة السعيد الشرتوني، ٧٦٩/٢، ط / مكتبة الملك فيصل للبحوث

والدراسات الإسلامية، الرياض، بدون تاريخ.

(٢) أثر العرف في التشريع الإسلامي، د. السيد صالح عوض، ص ٤٤، ٤٥، ط / دار الكتاب

الجامعي، القاهرة.

وأما العرف اصطلاحاً:

عرفه الإمام عبدالله بن أحمد النسفي - رحمه الله - ، بقوله:
(العرف: ما استقر في النفوس من جهة العقول، وتلقته الطباع السليمة
بالقبول)^(١).

وعرفه من المتأخرين جمعاً.. بأنه: (ما تعارف جمهور الناس وساروا
عليه، سواء أكان قولاً، أو فعلاً، أو تركاً)^(٢).

وعرفه البعض بأنه: (هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول،
وتلقته الطباع السليمة بالقبول واستمر الناس عليه، مما لا ترده
الشريعة، وتقرهم عليه)^(٣).

ولو تأملنا هذه المعاني الاصطلاحية مع ما تقدم في المعنى اللغوي
لمادة العرف وما أفاده من دلالات مختلفة تفيد المعروف الذي هو ضد
المنكر والتتابع والسكون والوضوح والطمأنينة إليه لوجدنا أن هذه
المعاني هي نفسها ما أرادها الفقهاء من شرط (الاستمرار) وشرط
(الاستقرار وتلقى العقول والطباع السليمة لها بالقبول) حيث خرج به ما
أنكرته الطباع والعقول ولم تعترف به. وعليه " فإن العلاقة بين المعنى
اللغوي والاصطلاحى تقرب من التساوي إن لم تكن هي "^(٤).

(١) العرف والعادة في رأي الفقهاء، أحمد فهمي أبو سنة ص ٨، ط/ ١، مطبعة الأزهر، مصر:

١٤١٩هـ

(٢) للدخل في التعريف بالفقه الاسلامي، محمد مصطفى شلبي، ص ٢٦٠، ط/ دار النهضة العربية،

القاهرة: ١٩٦٩م.

(٣) انظر: الأشباه والنظائر، ابن نجيم الحنفي، ص ٤٦، ط/ الحلبي، بدون تاريخ، وشرح الكوكب

النير، محمد الفتوحى المعروف بابن النجار ٤/٤٤٨، ط/ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ.

وأصول الفقه الإسلامي، أ.د. وهبة الزحيلي ٢/٨٢٩، ط/ ٢، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٢هـ.

(٤) العرف حجتيه، وأثره في فقه المعاملات عند الحنابلة، عادل قوته، ص ١٠٥، ط/ ١، المكتبة للملكية:

١٤١٨هـ

وكذلك من خلال هذه المعاني يتبين لنا المفهوم الواسع والشامل للعرف حيث يجري على كل ما نشأ الناس عليه واعتادوه وما استقر في نفوسهم، فلفظ (ما) في تعريف الفقهاء كالجنس يشمل ما تعارفه الأكثرية من الناس سواء أكان صحيحاً أم فاسداً وسواء أكان قولياً أم فعلياً. وعلى هذا يجري العرف في الأقوال والأفعال التعاملية والخلقية، ويقوم كيانه على استقرار الأمر في النفوس واعتياد الناس وتكرارهم له، وقبول الطباع السليمة له، ومتى توفر له ذلك فقد وجدت حقيقة العرف^(١).

المطلب الثاني: أقسام العرف:

ينقسم العرف إلى عدة أقسام:

أولاً: العرف القولي، والعرف العملي:

ينقسم العرف بحسب استعمال الألفاظ المتعارف عليها في بعض المعاني، أو بحسب الأعمال التي يقوم بها الناس إلى قسمين: عرف قولي: لفظي، وعرف عملي.
أ. العرف القولي:

أن يتعارف قوم إطلاق لفظ على معنى، بحيث لا يتبادر عند سماعه إلا ذلك المعنى، كاندراهم على النقد الغالب^(٢)، فمعنى العرف في اللفظ: أن ينقل إطلاق لفظ، ويستعمل في معنى، حتى يصير هو المعتاد من ذلك عند الإطلاق، مثال ذلك إطلاق لفظ الدابة على ذوات

(١) العرف وأثره في الشريعة والقانون، أ. د. أحمد المباركي، ص ٣٦، ط ١/، الرياض:

١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٢) التقرير والتحجير في علم الأصول شرح ابن أمير الحاج على تحرير الإمام الكمال بن الهمام ١/٢٨٢، ط ١/، دار الفكر، بيروت: ١٩٩٦م.

الأربع مع أنها في اللغة لكل ما يدب. وكما ينقل العرف اللفظ المفرد ينقل المركب، فالعرف القولي لا يكون إلا إذا نقلت الألفاظ عن معناها اللغوي، أو خصصت ببعض أفرادها، أما إذا استمر المعنى اللغوي متعرفاً، فلا يسمى عرفاً قولياً أو حقيقة عرفية، وإنما هو حقيقة لغوية مشهورة^(١).

وقد اعتبر الفقهاء العرف القولي، فحملوا عليه ألفاظ التصرفات، ولاحظوا ذلك في القضاء والفتوى ونصوا على أن كل متكلم إنما يحمل لفظه على عرفه، فإذا كان المتكلم باللفظ هو الشارع فإنه يحمل على الحقيقة الشرعية، وإذا كان المتكلم من أهل اللغة فإنه يحمل كلامه على عرفه، وتحمل ألفاظ الناس التي تدور عليها العقود والتصرفات على عرفهم في مخاطبتهم، ويجري ما يترتب على ذلك من التزامات على حسب ما يفيد اللفظ في العرف^(٢).

ب. العرف العملي:

هو ما جرى عليه الناس وتعارفوه في معاملاتهم وتصرفاتهم، كتعارف الناس البيع بالتعاطي والاستصناع. قال الإمام ابن عابدين: العرف عملي وقولي، فالأول: كتعارف قوم على أكل البرولحم الضأن، فإذا قال: اشتري طعاماً أو لحماً انصرف إلى البرولحم الضأن عملاً بالعرف العملي^(٣).

(١) شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي ص ٤٤، ط / دار الفكر بيروت: ٢٠٠٩م.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١١.

(٣) مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ١١٢/٢، ط / عالم الكتب، بيروت:

١٩٩٨م.

والأعراف والعادات التي تجري بين الناس في معاملاتهم تقوم مقام النطق بالألفاظ، قال الإمام عز الدين بن عبد السلام: فصل في تنزيل دلالة العادات وقرائن الأحوال منزلة صريح الأقوال في تخصيص العام وتقيد المطلق وغيرها، ومن الأمثلة في ذلك: التوكيل في البيع المطلق، فإنه يتقيد بثمن المثل وغالب نقد البلد، تنزيلاً للعادة الجارية في المعاملات منزلة صريح اللفظ، وكذلك حمل الإذن في النكاح على الكفاء ومهر المثل؛ لأنه المتبادر إلى الأفهام فيمن وكل آخر بتزويج ابنته.

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : وهذا أكثر من أن يحصر، وعليه يخرج حديث عروة بن الجعد البارقي حيث أعطاه النبي ديناراً يشتري به شاة، فاشتري شاتين بدينار، فباع إحداهما بدينار وجاءه بالدينار والشاة الأخرى^(١).

فباع وأقبض وقبض بغير إذن لفظي اعتماداً منه على الإذن العريفي، الذي هو أقوى من اللفظي في أكثر المواضع^(٢).

فالعرف العملي أو العادة في الفعل هي المحكمة فيما يجري بين الناس في معاملاتهم، ما يجب منها وما لا يجب، تبعاً للعرف الجاري بينهم، وما يدخل في العقود تبعاً وما لا يدخل. وقد ذكر الفقهاء أن الشرط العريفي كاللفظي^(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: حدثنا محمد بن المنثري رقم ٢٨، حديث رقم ٣٦٤٢.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد

٤١٢/٢، ٤١٣، ط/ مطبعة دار السعادة، القاهرة: ١٩٥٥م.

(٣) المرجع السابق ٣/ ٣.

ومن القواعد الفقهية في ذلك: (المعروف كالمشروط) والمعروف بين التجار كالمشروط بينهم، قال الإمام السرخسي: والمعلوم بالعرف كالمشروط، وفيه أيضاً: الثابت بالعرف كالثابت بالنص^(١).

ثانياً: العرف العام والعرف الخاص:

العرف العام: هو ما تعارفه عامة الناس كمن حلف لا يضع قدمه في دار فلان، فهو في العرف العام بمعنى الدخول، سواء دخلها ماشياً أو راكباً.

والعرف الخاص: هو ما لم يتعارفه عامة الناس بل بعضهم، كالألفاظ المصطلح عليها في عرف الشرع أو عرف التخاطب، أو في عرف طائفة خاصة، ومن ذلك اصطلاح الرفع عند النحاة، واشترط الحنفية في العرف العام استمرار العمل به بين الناس^(٢).

ثالثاً: العرف الصحيح والعرف الفاسد:

فالصحيح: هو ما تعارفه الناس وليس فيه مخالفة لنص شرعي، ولا تفويت لمصلحة ولا جلب لمفسدة، كتعارفهم تقديم الهدايا من الخطيب لخطيبته وعدم اعتبارها من المهر. والعرف الفاسد: ما خالف بعض أدلة الشرع أو بعض قواعده، كتعارفهم على بعض العقود الربوية^(٣).

(١) المبسوط، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين

ليس ١٧٢/١٥ - ١٧٣، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد ابن عابدين ١ / ١٨٦.

(٣) المرجع السابق ١١٤/٢.

رابعاً: العرف الثابت والعرف المتبدل:

ينقسم العرف باعتبار ثبوته واستقراره وعدمه إلى: عرف ثابت،
وعرف متبدل.

والعرف الثابت: هو الذي لا يختلف باختلاف الأزمان والأماكن
والأشخاص والأحوال؛ لأنه يعود إلى طبيعة الإنسان وفطرته، كشهوة
الطعام والشراب والحزن والفرح، ومن العرف الثابت العرف الشرعي:
وهو ما كلف به الشرع وأمر به أو نهى عنه أو أذن فيه.

والعرف المتبدل: هو الذي يختلف باختلاف الأزمان والبيئات
والأحوال، وهو أنواع: فمنه ما يعود إلى اعتبار البقاع، والبيئات من
حسن شيء أو قبحه، فيكون في مكان حسناً، وفي مكان آخر
قبيحاً، مثل كشف الرأس فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد
المشرقية، وغير قبيح في البلاد المغربية^(١).

المطلب الثالث: شروط اعتبار العرف وحجيته:

ينقسم العرف من حيث اعتباره في الأحكام إلى ثلاثة أقسام:

- أ - ما قام الدليل الشرعي على اعتباره، كمراعاة الكفاءة في
النكاح، ووضع الدية على العاقلة فهذا يجب اعتباره والأخذ به.
- ب - ما قام الدليل الشرعي على نفيه، كمعادة أهل الجاهلية في
التبرج، وطوافهم في البيت عراة، والجمع بين الأختين، وغير ذلك من
الأعراف التي نهى عنها الشارع، فهذه الأعراف لا تعتبر.

ج - ما لم يقدّم الدليل الشرعي على اعتباره أو نفيه، وهذا هو موضع نظر الفقهاء.

وقد ذهب الفقهاء إلى اعتبار العرف الذي قام الدليل الشرعي على اعتباره ومراعاته وبنوا عليه الكثير من الأحكام ولم ينكر ذلك أحد منهم^(١).

وقد قام الدليل من الكتاب والسنة والإجماع على اعتبار العرف. فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ تَفْسُلًا إِلَّا مِمَّا آتَاهَا سَيِّئًا يَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عَذَابِكُمْ﴾^(٢).

قال الإمام أبو بكر بن العربي - رحمه الله - : (إن الإنفاق ليس له تقدير شرعي، وإنما أحاله الله تعالى على العادة، وهي دليل أصولي، بنى الله تعالى عليه الأحكام، وربط به الحلال والحرام)^(٣).

وقال الإمام ابن قدامة - رحمه الله - : والصحيح رد الحقوق المطلقة في الشرع إلى العرف فيما بين الناس في نفقاتهم، في حق الموسر والمعسر والمتوسط، كما رددناهم في الكسوة إلى ذلك)^(٤).

وقوله تعالى: ﴿خُذُوا الْعَفْوَ وَأْمُرُوا بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْبَغْيِ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ عَٰلَمِينَ﴾^(٥)، فهذه الآية الكريمة على التسليم بأن المراد بالعرف فيها المعنى اللغوي له لا المعنى الشرعي، حيث المراد بالعرف فيها الشيء المعروف المستحسن، إلا أن

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين ٤٤/١، ١١٣/٢.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٣) أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي ١٨٣٠/٤، ط / عيسى الحلبي، القاهرة: ١٩٥٨ م.

(٤) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ٥٦٧/٧،

ط / ١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٥ هـ.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

فيها استثناسا إلى اعتبار العرف الشرعي، حيث إن العرف الشرعي ما هو إلا ما تعارفه الناس وألفوه واستحسنوه غالباً.

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها: أن هند بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، فقال: ((خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف))^(١).

قال الإمام ابن حجر - رحمه الله - : (فيه اعتماد العرف في الأمور التي لا تحديد فيها من قبل الشارع)^(٢).

ويشترط لاعتبار العرف عدة شروط منها:

الشروط الأول: أن يكون العرف مطرداً أو غالباً:

يشترط لاعتبار العرف: أن يكون مطرداً أو غالباً. ومعنى الاطراد: أن يكون العرف مستمرا بحيث لا يتخلف في جميع الحوادث، ومعنى الغلبة: أن يكون العمل بالعرف كثيرا، ولا يتخلف إلا قليلا، ذلك أن الاطراد أو الغلبة يجعل العرف مقطوعا بوجوده، قال الإمام السيوطي: إنما تعتبر العادة إذا اطردت، فإذا اضطربت فلا.

وقال الإمام ابن نجيم - رحمه الله - : إنما تعتبر العادة إذا اطردت أو غلبت، ولذا قالوا: لو باع بدراهم أو دنانير، وكانا في بلد اختلف فيه النقود مع الاختلاف في المائية والرواج، انصرف البيع إلى الأغلب، قال في الهداية: لأنه هو المتعارف فينصرف إليه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: النفقات، باب: إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها من معروف، حديث رقم ٥٠٤٩.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - ٥١٠/٩، ط / مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٧٩هـ.

وقال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : وإذا كانت العوائد معتبرة
شرعاً فلا يقدح في اعتبارها انخراقها ما بقيت عادة في الجملة^(١) .
وبهذا الشرط يخرج العرف المشترك - هو ما تساوى العمل به
وتركته - من الاعتبار، فلا يصلح أن يكون مستنداً أو دليلاً يرجع
إليه في تحديد الحقوق والواجبات المطلقة^(٢) .

الشرط الثاني: أن يكون العرف عاماً:

هذا الشرط محل خلاف بين الفقهاء: فذهب جمهور الحنفية
والشافعية إلى أنه يعتبر في بناء الأحكام العرف العام دون الخاص^(٣) .

الشرط الثالث: ألا يكون العرف مخالفاً للنص الشرعي:

يشترط في العرف المعتبر شرعاً: ألا يخالف النصوص الشرعية،
بمعنى أن لا يكون ما تعارف عليه الناس مخالفاً للأحكام الشرعية
المنصوص عليها، وإلا فلا اعتبار للعرف، كتعارف بعض الناس شرب
الخمير وتبرج النساء والتعامل بالعقود الربوية ونحو ذلك ثم إن مخالفة
العرف للنص تأتي على وجهين:

فإذا خالف العرف النص الشرعي من كل وجه، فإنه يعمل
بالنص، ولا اعتبار للعرف؛ لأن النص أقوى من العرف، ولا يترك
الأقوى لما هو أضعف منه، سواء كان العرف عاماً أو خاصاً^(٤) ، وإذا
خالف العرف النص في بعض الوجوه؛ فذهب الجمهور إلى أنه لا يصلح

(١) الأشباه والنظائر، السيوطي ص ٩٢.

(٢) مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين ٢ / ١٣٢.

(٣) المرجع السابق ١١٤/٢.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩ / ٥١٠.

العرف مخصصاً ولا مقيداً للنص، وذهب الحنفية إلى أن العرف يخصص النص ويقيده^(١).

الشرط الرابع: ألا يعارض العرف تصريح بخلافه:

يشترط لاعتبار العرف: ألا يصدر تصريح بخلافه، فإذا صرح العاقدان مثلاً بخلاف العرف فلا اعتبار للعرف؛ لأن من القواعد الفقهية أنه لا عبرة للدلالة في مقابلة التصريح قال الإمام العزبن عبدالسلام - رحمه الله - : كل ما يثبت في العرف إذا صرح المتعاقدان بخلافه مما يوافق مقصود العقد ويمكن الوفاء به صح، فلو شرط المستأجر على الأجير أن يستوعب النهار بالعمل من غير أكل يقطع المنفعة لزمه ذلك، ولو شرط عليه أن لا يصلي الرواتب، وأن يقتصر في الفرائض على الأركان، صح ووجب الوفاء بذلك؛ لأن تلك الأوقات إنما خرجت عن الاستحقاق بالعرف القائم مقام الشرط، فإذا صرح بخلاف ذلك مما يجوزه الشرع ويمكن الوفاء به جاز^(٢).

الشرط الخامس: أن يكون العرف قائماً عند إنشاء التصرف:

يشترط لاعتبار العرف: أن يكون قائماً عند إنشاء التصرف، وذلك بأن يكون العرف سابقاً أو مقارناً للتصرف عند إنشائه؛ لأن كل من يقوم بتصرف - سواء كان قولياً أو فعلياً إنما يتصرف بحسب ما جرى به العرف؛ ليصح الحمل على العرف القائم فلا عبرة بالعرف الطارئ بعد التصرف.

(١) التقرير والتجبير، شرح ابن أمير الحاج على تحرير الإمام الكمال بن الهمام ١/ ٢٨٢.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي ٢/ ١٥٨، ط / دار المعارف، بيروت.

قال الإمام القرآني - رحمه الله - : العوائد الطارئة بعد النطق لا يقضى بها على النطق، فإن النطق سالم عن معارضتها، فيحمل على اللغة، ونظيره: إذا وقع العقد في البيع فإن الثمن يحمل على العادة الحاضرة في النقد، وما يطرأ بعد ذلك من العوائد في النقود لا عبرة به في هذا البيع المتقدم، وكذلك النذر والإقرار والوصية إذا تأخرت العوائد عليها لا تعتبر، وإنما يعتبر من العوائد ما كان مقارنا لها.

وقال السيوطي - رحمه الله - : العرف الذي تحمل عليه الألفاظ إنما هو المقارن السابق دون المتأخر.

وقال ابن نجيم بعد أن ذكر عبارة السيوطي - رحمه الله - : ولذا قالوا: لا عبرة بالطارئ^(١).

ولقد راعى الشارع الحكيم العرف الصالح، إذ أنه نزع الناس عما تعارفوا وساروا عليه، فيه حرج عظيم، لذا يواجه الأنبياء حرج كبير، لأنهم يقومون بنزع الناس عن أعرافهم الفاسدة.

ولقد راعت الشريعة الإسلامية الأعراف التي كانت سائدة في الجاهلية، وأقرت الصحيح منها، وألغت المخالف للشرع، وأمثلته كثيرة..

فمن المقر: البيع، والشركة، والوكالة، والرهن، والإجارة.. وغيرها.

ومما ألغته: ما يحميه الملوك لأنفسهم من الأرضين، وبيع المنابذة، وبيع الملامسة، وتلقي الركبان، وبيع الحاضر للباد.. الخ.

المطلب الرابع: تعريف الحسبة والمحاسب:

الحسبة في اللغة كما قال ابن منظور: (الحسبة: مصدر احتسابك الأجر على الله، تقول: فعلته حسبة، واحتسب فيه احتساباً، والاحتساب: طلب الأجر، والاسم: الحسبة بالكسر، وهو الأجر. والاحتساب في الأعمال الصالحات وعند المكروهات: هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر، والقيام بها على الوجه المرسوم فيها، طلباً للثواب المرجو منها. وحسب الشيء كائناً يحسبه ويحسبه، والكسر أجود للفتين) ^(١).

وجاء في المعجم الوسيط: (الحسبة: من الحساب، ويقال فلان حسن الحسبة في الأمر يحسن تدييره، وفعله حسبة مدخراً أجره عند الله، وهو منصب كان يتولاه في الدول الإسلامية رئيس يشرف على الشؤون العامة من مراقبة الأسعار ورعاية الآداب، وهي مأخوذة من: حسب المال ونحوه حساباً و حساباً عده وأحصاه وقدره فهو حاسب والمفعول محسوب، وحسب الإنسان حسباً كان له ولآبائه شرف ثابت متعدد النواحي فهو حسيب، واحتسب بكذا: اكتفى به، وعلى فلان الأمر: أنكره والأمر حسبه وظنه) ^(٢).

والحسبة: (احتسابك الأجر عند الله. وإِنَّهُ لَحَسَنُ الْحِسْبَةِ فِي الْأَمْرِ: إِذَا كَانَ حَسَنَ التَّدْيِيرِ) ^(٣).

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ١/٣١٤.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ص ١٧١ بتصرف، مادة: (حسب).

(٣) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد ٢/٤٩٣.

فالحسبة لغة تشير في الغالب إلى أربعة معانٍ: الأول: طلب الأجر من الله، والثاني: الإنكار: ويقال: احتسب عليه أي أنكر، ومنه المحتسب، والثالث: الاختبار والنسب، قاله ابن السكيت، وقيل: النساء يحتسبن ما عند الرجال أي يختبرن، الرابع: حسن التدبير والنظر في الأمر أو إحصائه أو عده مثل: حسب المال حسباً أو حسبه، قال الأصمعي: فلان حسن الحسبة في الأمر أي حسن التدبير^(١).

وأما تعريف الحسبة في الاصطلاح فيقول الإمام الماوردي: (الحسبة: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله)^(٢).

وقال الإمام أبو البقاء الكفوي - رحمه الله - : (الحسبة - بالكسر - : الأجر، واسم من الاحتساب، وأحسب عليه: أنكر، ومنه المحتسب)^(٣).

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بأنها: (ولاية دينية يقوم ولي الأمر - الحاكم - بمقتضاها بتعيين من يتولى مهمة الأمر بالمعروف إذا أظهر الناس تركه، والنهي عن المنكر إذا أظهر الناس

(١) أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د. محمد كمال الدين إمام ص ١٤، ط ١/، دار الهداية، القاهرة: ١٩٨٦م.

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الأمام أبو الحسن الماوردي، تحقيق: د. أحمد مبارك البغدادي ص ٣١٥، ط ١/، دار بن قتيبة، الكويت: ١٩٨٩م.

(٣) الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري ص ٦٧، ط / مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩٨م.

فعله، صيانة للمجتمع من الانحراف، وحماية للدين من الضياع، وتحقيقاً لمصالح الناس الدينية والدنيوية وفقاً لشرع الله تعالى^(١).

ويقول ابن خلدون - رحمه الله - عن ولاية الحسبة: (هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين، يعين لذلك من يراه أهلاً له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويعزز ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة)^(٢).

وأما الاحتساب في اللغة فهو: (طَلَبُ الأَجْرِ والاسم الحسبة بالكسر وهو الأجرُ واحتسب فلان ابناً له أو ابنةً له إذا مات وهو كبير وافتَرَطَ فَرَطاً إذا مات له ولد صغير لم يبلُغ الحُلُمَ وفي الحديث مَنْ مات له ولد فاحتسبه أي احتسب الأجرَ بصبره على مُصيبتِهِ به معناه اعتدَّ مُصيبتَهُ به في جُملةِ بَلاياِ الله التي يثابُ على الصبرِ عليها واحتسب بكذا أجراً عند الله والجمع الحسبُ وفي الحديث مَنْ صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً أي طلباً لوجهِ الله تعالى وثوابه والاحتسابُ في الأعمال الصالحاتِ وعند المكروهاتِ هو البدارُ إلى طلبِ الأجرِ وتخصيله بالتسليم والصبر أو باستعمال أنواع البرِّ والقيام بها على الوجهِ المرسومِ فيها طلباً للثوابِ المرجوِّ منها)^(٣).

وقال أبو البقاء الكفوي - رحمه الله - : (الاحتساب هو طلب الأجر من الله بالصبر على البلاء مطمئنة نفسه غير كارهة له

(١) الحسبة، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣.

(٢) انظر: المقدمة، ابن خلدون ص ٢٢٥.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ٣١٥/١.

والحسبة بالكسر الأجر واسم من الاحتساب وأحسب عليه أنكر ومنه
المحتسب^(١) .

(والاحتساب: هو طلب الأجر من الله بالصبر على البلاء مطمئنة
نفسه غير كارهة له، والحسبة بالكسر: الأجر واسم من الاحتساب
وأحسب عليه: أنكر)^(٢) .

وقال الزبيدي - رحمه الله - : (الاحتساب مأخوذ من الحسب،
أي احتسب الأجر بصبره على مصيبتته ومعناه: اعتد بعمله أجراً عند
الله ينوي به وجه الله تعالى وثوابه، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله
احتسبه لأن له حينئذ أن يعتد عمله، وفي لسان العرب: الاحتساب في
أعمال الصالحات وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر
وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على
الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها)^(٣) .

وأما المحتسب: فهو من نصبه الإمام أو نأثبه للنظر في أحوال
الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم، وتصفح أحوال السوق في
معاملاتهم، واعتبار موازينهم وغشهم، ومراعاة ما يسري عليه

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي،

تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري ١/ ٦٧.

(٢) المرجع السابق ١/ ٥٧.

(٣) تاج العروس، الزبيدي ٣/ ١٦٢، ط/ دار التراث، مصر.

أُمُورُهُمْ ، وَاسْتِثَابَةَ الْمُخَالِفِينَ ، وَتَحْذِيرَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ ، وَتَعْزِيرَهُمْ عَلَى حَسَبِ مَا يَلِيْقُ مِنَ التَّعْزِيرِ عَلَى قَدْرِ الْجِنَايَةِ ^(١) .

والمحتسب من قولهم: (احتسب فلان على فلان: أنكر عليه قبيح عمله) ^(٢) ، فهو القائم بأمر الحسبة، وهو: من ينكر على الناس قبيح أعمالهم.

واصطلاحاً: هو من يقوم بالاحتساب أي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن شاع عند الفقهاء إطلاق هذا الاسم على من يعينه ولي الأمر للقيام بالحسبة، وأطلقوا عليه أيضاً اسم والي الحسبة، أما من يقوم بها من دون تعيين ولي الأمر فقد أطلقوا عليه اسم "المتطوع" ^(٣) . (والمحتسب من يقوم بالاحتساب أي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ^(٤) .

والمراد بالمُحْتَسِبُ: (هُوَ مَنْ يُؤَلِّيه الْإِمَامُ أَوْ نَائِبُهُ لِلْقِيَامِ بِوَضَائِفِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَالْكَشْفِ عَنِ أُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَهُوَ فَرَضٌ فِي حَقِّهِ مُتَعَيَّنٌ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْوِلَايَةِ. وَمَوْضُوعُ هَذِهِ الْوِلَايَةِ الْإِزَامُ الْحُقُوقِ وَالْمَعُونَةُ عَلَى اسْتِيفَائِهَا، وَمَحَلُّ وِلَايَتِهِ كُلُّ مُنْكَرٍ مَوْجُودٍ فِي الْحَالِ ظَاهِرٍ لِلْمُحْتَسِبِ بِغَيْرِ تَجَسُّسٍ مَعْلُومٍ كَوْنُهُ مُنْكَرًا بِغَيْرِ اجْتِهَادٍ، وَلِلْمُحْتَسِبِ

(١) معالم القرية في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الإخوة ص ٧، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: السيد الباز العريني ص ١٤٠ .

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (حسب)، ٣١٧/١ .

(٣) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص ١٧٧ .

(٤) المرجع السابق ص ١٥٩ .

أَنْ يَتَّخِذَ عَلَىٰ إِنكَارِهِ أَعْوَابًا ؛ لِأَنَّهُ مَنْصُوبٌ لِهَذَا الْعَمَلِ ، وَمِنْ صِلَاحِيَّتِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ رَأْيَهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعُرْفِ دُونَ الشَّرْعِ ، وَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُحْتَسِبُ فَحِيهَا عَارِفًا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لِيَعْلَمَ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ^(١) .

وولاية الحسبة نوعان: ولاية أصلية مستحدثة من الشارع، وهي الولاية التي اقتضاها التكليف بها لتثبت لكل من طلبت منه. وولاية مستمدة وهي الولاية التي يستمدتها من عهد إليه في ذلك من الخليفة أو الأمير وهو المحتسب ، وعلى ذلك فإنه يجمع بين الولايتين ، لأنه مكلف بها شخصياً من جهة الشارع ومكلف بها كذلك من قبل من له الأمر. أما غيره من الناس فليس له من ذلك إلا الولاية التي أضفاها الشارع عليه وهي الولاية الأصلية ، وهذه الولاية كما تتضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه الطلب مباشرة تتضمن كذلك القيام بما يؤدي إلى اجتناب المنكر ، لا على وجه الطلب بل على وجه الدعاء والاستعداد ، وذلك يكون بالتقدم إلى القاضي بالدعوى بالشهادة لديه ، أو باستعداد المحتسب ، وتسمى الدعوى لدى القاضي بطلب الحكم بإزالة المنكر دعوى حسبة ، ولا تكون إلا فيما هو حق لله ، وعندئذ يكون مدعياً بالحق وشاهداً به في وقت واحد. ويطلق الفقهاء على من يقوم بالاحتساب دون انتداب لها من الإمام أو نائبه المتطوع ، أمّا من انتدبه الإمام وعهد إليه النظر في

أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ وَالْكَشْفِ عَنْ أُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ فَهُوَ الْمُحْتَسِبُ.
وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ عِدَّةِ أَوْجِهٍ كَمَا بَيَّنَّهُ الْمَاوَرِدِيُّ وَغَيْرُهُ وَهِيَ ^(١) :

الأول: أَنَّ قِيَامَ الْمُحْتَسِبِ بِالْوَلَايَةِ صَارَ مِنَ الْحُقُوقِ الَّتِي لَا يَسُوغُ أَنْ
يُسْتَغْلَ عَنْهَا بِغَيْرِهَا وَقِيَامَ الْمُتَطَوِّعِ بِهَا مِنْ نَوَافِلِ عَمَلِهِ يَجُوزُ أَنْ يَسْتغْلَ
عَنْهَا بِغَيْرِهَا.

الثاني: أَنَّهُ مَنْصُوبٌ لِلاِسْتِعْدَاءِ فِيمَا يَجِبُ إِنْكَارُهُ، وَلَيْسَ الْمُتَطَوِّعُ
مَنْصُوبًا لِلاِسْتِعْدَاءِ.

الثالث: أَنَّ عَلَى الْمُحْتَسِبِ بِالْوَلَايَةِ إِجَابَةٌ مَنِ اسْتَعْدَاهُ وَلَيْسَ عَلَى
الْمُتَطَوِّعِ إِجَابَتُهُ.

الرابع: أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ الظَّاهِرَةِ لِيَصِلَ إِلَى
إِنْكَارِهَا وَيَفْحَصَ عَمَّا تُرِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ الظَّاهِرِ لِيَأْمُرَ بِإِقَامَتِهِ،
وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَطَوِّعَةِ بَحْثٌ وَلَا فَحْصٌ.

الخامس: أَنَّ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَى الْإِنْكَارِ أَعْوَانًا، لِأَنَّهُ عَمَلٌ هُوَ لَهُ
مَنْصُوبٌ وَإِلَيْهِ مَنْدُوبٌ لِيَكُونَ عَلَيْهِ أَقْدَرُ، وَلَيْسَ لِلْمُتَطَوِّعِ أَنْ يَنْدَبَ
لِذَلِكَ أَعْوَانًا.

السادس: أَنَّ لَهُ أَنْ يُعَزِّرَ فِي الْمُنْكَرَاتِ الظَّاهِرَةِ وَلَا يَتَجَاوَزَ إِلَى
الْحُدُودِ، وَلَيْسَ لِلْمُتَطَوِّعِ أَنْ يُعَزِّرَ عَلَى مُنْكَرٍ.

السابع: أَنَّ لَهُ أَنْ يَرْتَزِقَ عَلَى حَسْبَتِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، وَلَا يَجُوزُ
لِلْمُتَطَوِّعِ أَنْ يَرْتَزِقَ عَلَى إِنْكَارِ مُنْكَرٍ

(١) الذخيرة في الفقه المالكي، القرافي ١٥٧/٩، والأحكام السلطانية، الماوردي ٤٨٦/١، ومعالم

القرية في طلب الحسبة، ابن الإخوة ٧ / ١.

الْثَامِنُ: أَنَّ لَهُ اجْتِهَادَ رَأْيِهِ فِيمَا تَعَلَّقَ بِالْعُرْفِ دُونَ الشَّرْعِ
كَالْمَقَاعِدِ فِي الْأَسْوَاقِ، وَإِخْرَاجِ الْأَجْنِحَةِ فَيَقْرُؤُ وَيُنْكِرُ مِنْ ذَلِكَ مَا
أَدَّاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ، وَلَيْسَ هَذَا لِمُتَطَوِّعٍ^(١).

فَالْمُحْتَسِبُ: هُوَ مَنْ نَصَبَهُ الْإِمَامُ أَوْ نَائِبُهُ لِلنُّظَرِ فِي أَحْوَالِ الرَّعِيَّةِ
وَالكَشْفِ عَنِ أُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ، وَتَصَفِّحِ أَحْوَالِ السُّوقِ فِي
مُعَامَلَاتِهِمْ، وَاعْتِبَارِ مَوَازِينِهِمْ وَغَشْتِهِمْ، وَمُرَاعَاةِ مَا يَسْرِي عَلَيْهِ
أُمُورُهُمْ، وَاسْتِنَابَةِ الْمُخَالِفِينَ، وَتَحْذِيرِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَتَعْزِيرِهِمْ عَلَى
حَسَبِ مَا يَلِيْقُ مِنَ التَّعْزِيرِ عَلَى قَدْرِ الْجَنَائِيَةِ^(٢).

المطلب الخامس: العلاقة بين العرف والحسبة:

قبل أن نكشف العلاقة بين الحسبة والعرف لابد لنا أن نؤكد
على العلاقة السابقة بين العرف والمعروف حيث إن العرف يطلق على
المعروف، وعلى ضد المنكر في اللغة.

ويزيد هذا الأمر إيضاحاً علماء السلف، إذ بينوا حقيقة هذه
العلاقة بين العرف والمعروف وذلك من خلال قول الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعُرْفَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٣).

(١) الأحكام السلطانية، للماوردي ص ٢٤٠ - ٢٤١ والأحكام السلطانية، أبو يعلى ص ٢٨٤ -
٢٨٥، نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق:
مفيد قمحية وجماعة ٢٤٢/٦ - ٢٤٣، ط ١/، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤
هـ/٢٠٠٤ م.

مجلة (٢) معالم القرية في طلب الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الإخوة، ص ٧، نهاية
الدراسات الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن بن نصر الشيرازي، تحقيق: السيد الباز العريني ص ١٤٠.
الدعوية (٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

قال الإمام الطبري - رحمه الله - : (إن الله تعالى أمر نبيه أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف)^(١) .

أما الإمام الزمخشري - رحمه الله - فيقول: (العرف هو المعروف والجميل من الأفعال)^(٢) .

ويؤكد الإمام الرازي - رحمه الله - هذه العلاقة بقوله: (والمعروف كل أمر عرف أنه لا بد من الإتيان به وأن وجوده خير من عدمه)^(٣) .

أما الإمام ابن العربي - رحمه الله - فيقول: (وقوله: (وأمر بالعرف) تناول جميع الأمور والمنهيات، وإنهما ما عرف حكمه، واستقر في الشريعة موضعه، وانتفتت القلوب على علمه)^(٤) .

وفي إثبات هذه العلاقة يقول الإمام الراغب الأصفهاني: (العرف المعروف من الإحسان)^(٥) .

فإذا ثبت وجود علاقة بين العرف والمعروف فإنه يسهل علينا بعد ذلك إيجاد علاقة بين العرف والحسبة، وذلك من خلال الرابط المشترك بينهما ألا وهو "المعروف".

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ١٠٤/٦، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م.

(٢) الكشف، جار الله محمود الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد و علي محمد ٥٤٥/٢، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨ هـ.

(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي ٩٦/١٥/٨، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي ٨٢٦/٢.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ص ٢٣٢، ط/ دار المعرفة، بيروت.

ذلك لأن المعروف في باب الدعوة إلى الله تعالى يعد أحد الركنتين الأساسيين اللذين يقوم عليهما بناء الحسبة، وفي صدد تأكيد هذا يقول الإمام الماوردي والقاضي أبو يعلى الحنبلي في تعريفهما للحسبة: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله) ^(١).

أما الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - فيقول: (الحسبة عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ^(٢).

وكما هو معروف أن الحسبة هي الوجه الأخص للدعوة إلى الله لأنها من باب الوظيفة الدينية ^(٣)، ولها نوع من السلطة ^(٤)، في حين أن الدعوة هي الوجه الأعم للحسبة والتي يقوم بها كل أحد حسب علمه وقدرته ^(٥).

فلا يتصور قيام دعوة إلى الله بدون أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ترغيباً وترهيباً.

إذا تبين هذا اتضحت العلاقة العامة التي تربط العرف بالحسبة، أما تفصيلات هذه العلاقة فيمكن بيانها من خلال الجامع المشترك بينهما أي بين العرف والمعروف في الموضوع والمعنى، وسعة مجاليهما، ثم من الهدف المشترك بينهما، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

(١) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي ص ٢٤٠، الأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي ص ٢٨٤.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢/٢١٢، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٣هـ.

(٣) للرجع السابق ٢/٢١٢.

(٤) انظر: القلمة، ابن خلدون ص ٢٢٥.

(٥) انظر: الصحوة الإسلامية "ضوابط وتوجيهات"، محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - ص ١٥٥،

ط/ دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤٢٤هـ.

١/ الجامع في الموضوع: فالحسبة والعرف يجمعهما موضوع واحد وهو المعروف وضده المنكر.

٢/ الجامع في المعنى: ذلك أن المعروف في المصطلح الدعوي اسم جامع لكل ما عرف حسنه بالشرع أو بالعقل^(١). وهذا المعنى نفس المعنى الاصطلاحي للعرف إذ يقول الفقهاء في تأكيد ذلك "بأن العرف هو ما عرفه العقلاء بأنه حسن وأقرهم الشارع عليه"^(٢).

٣/ الجامع في سعة مجال عملهما:

فالدعوة إلى الله والاحتساب هي المحاولات المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشرعية وأخلاق^(٣). ويفصل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ذلك من خلال بيان مجال عمل المعروف فيقول: (من المعروف الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والصلوات الخمس في مواقيتها والصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج بيت الله الحرام، وصدق الحديث، والوفاء بالعهود وأداء العهود إلى أهلها، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والتعاون على البر والتقوى)^(٤).

أما الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - فيقول: (إن المعروف اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وهذا يشمل كل معروف

(١) الصحوة الإسلامية "ضوابط وتوجيهات"، محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - ص ٢٢، ٥٩ - ٦٢.

(٢) حاشية الروض المربع شرح زاد للسقنق، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ١٩٧/٥، ط ١، ١٣٩٧هـ.

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ١٠، ط ٢، دار الكتاب للنصري.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق د.

صلاح الدين المنجد ص ١٥ - ١٦، ط ١، دار الكتاب الجديدة، بيروت: ١٣٩٦هـ.

حُسن شرعاً وعقلاً من حقوق الله تعالى وحقوق الآخرين، ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات بل ويدخل فيه الخير كله^(١).

وكذلك فإن مجال عمل العرف واسع جداً لأن كيانه قائم أصلاً على ما عرف بالشرع والعقل حسنه من الأقوال والأفعال حتى الأعراف الجارية بعد عهد الشارع طالما أنها لا تصطدم مع النصوص الشرعية ولا تتكرها الطباع السليمة.

وقد بين الفقهاء سعة مجال العرف، حتى إنه لا يوجد باب من أبواب الفقه إلا وللعرف فيه دخل فهو باب واسع جداً في الفقه الإسلامي^(٢).

٤ / الجامع في الهدف:

تهدف الحسبة إلى إصلاح الناس من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو ضد المعروف، ونقيضه من العقائد الباطلة والأعمال الخبيثة والأخلاق الرذيلة، لأن المنكر شامل لكل ما عرف قبحه شرعاً وعقلاً^(٣).

وكذلك فإن الهدف من إقرار العرف في الأحكام إصلاح الناس والتوسعة عليهم، وذلك من خلال إقرار الأعراف الصالحة ونبذ الأعراف الفاسدة إذ ليس المراد بالعرف عادات الناس وأعرافهم التي

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق:

د. عبدالرحمن بن مغلل اللويحي ص ٢٨٩، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الشيزري، تحقيق د. السيد الباز ص ٦، ومعالم القرية في طلب

الحسبة، ابن الأخوة، تحقيق: د. محمد شعبان، ود. صديق المطيعي ص ٥١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢/٢١٦، ط / المكتبة الإسلامية، ودار الكتاب

المصري، مادة (عرف).

جرى عليها التعامل فيما بينهم وألفوه في حياتهم على إطلاقه، ذلك لوجود أعراف فاسدة ومبتدعة تبعاً للهوى والشهوة، فهذه لا تعتبر، كما أنها ليست مراده للعلماء عندما يتحدثون عن العرف المعتبر في التشريع الإسلامي^(١).

وأخيراً: فإنه من خلال هذه الأوجه الجامعة بين ممارسة الحسبة، والعرف، نستطيع القول بأن هناك ارتباطاً وثيقاً بينهما وبالتالي يتأكد لنا بأن معرفة العرف من الأمور التي يحتاجها المحتسب في ممارسته للحسبة، وأنه يجب عليه مراعاته^(٢).

(١) أثر العرف في التشريع الإسلامي د. السيد صالح ص ١٦٨.

(٢) انظر: مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، د. رقية بنت نصر الله محمد نياز ص ١٢، بدون ذكر الدراسات الدعوية تاريخ ودار النشر.

المبحث الثاني: تطبيقات اعتبار العرف في الحسبة في صدر

الإسلام

هناك الكثير من الشواهد التي تبرز التطبيقات العملية لاعتبار العرف عند ممارسة الحسبة، وذلك في عهد النبي وهذا يدل على أمرين:

١ / مكانة العرف في الإسلام واعتبار الشرع له.

٢ / إعطاء القدوة العملية للمحتسبين عند ممارسة الحسبة على ضرورة وأهمية اعتبار العرف، (والعرف أصل معتبر من أصول الشريعة الإسلامية يرجع إليه في معرفة الأحكام وإنزالها على مقتضى أعراف الناس وعاداتهم، مما ليس فيه نص شرعي، أو مما أحالته الشريعة عليه)^(١).

المطلب الأول: اعتبار العرف في النفقة:

ومن تطبيقات اعتبار العرف في الحسبة ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَبَا سَفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَخْذُ مِنْ مَالِهِ سِرًّا قَالَ خُذِي أُنْتِ وَبِتَوَكِّي مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ))^(٢).

قال الإمام ابن حجر - رحمه الله - : (وفيه اعتماد العرف في الأمور التي لا تحديد فيها من قبل الشرع فقد أحالها إلى العرف، وهو هنا تقدير خاص، يرجع إلى الحاجة، وهي حد الكفاية لها وبنيتها)^(٣).

(١) أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي ٢٧٠/٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم في

البيوع والإجارة والكيال والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة، حديث رقم ٢٠٩٧. الدراسات

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٢/٥. الدعوية

المطلب الثاني: اعتبار العرف في بناء الكعبة:

ومن اعتبار العرف ما كان منه في أمر بناء الكعبة فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا يَا عَائِشَةُ: ((لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهَدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أَخْرَجَ مِنْهُ وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا فَبَلَّغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ فَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى هَدْمِهِ قَالَ يَزِيدُ وَشَهِدْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ حِينَ هَدَمَهُ وَبَنَاهُ وَأَدْخَلَ فِيهِ مِنَ الْحِجْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ حِجَارَةً كَأَسْنِمَةِ الْإِبِلِ قَالَ جَرِيرٌ فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ مَوْضِعُهُ قَالَ أُرِيكَهُ الْآنَ فَدَخَلْتُ مَعَهُ الْحِجْرَ فَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ فَقَالَ هَاهُنَا قَالَ جَرِيرٌ فَحَزَرْتُ مِنَ الْحِجْرِ سِتَّةَ أَذْرُعٍ، أَوْ نَحْوَهَا))^(١).

المطلب الثالث: اعتبار العرف في التجارات والصناعات:

ومن اعتبار العرف ما كان في أنواع التجارات والصناعات التي كانت موجودة في عهده ﷺ مثل السلم، وقد كانت معاملة جارية في المدينة، وقدم ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: ((قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَالنَّاسُ يُسْلِفُونَ فِي الثَّمْرِ الْعَامَ وَالْعَامَيْنِ، أَوْ قَالَ عَامَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةَ شُكِّ إِسْمَاعِيلَ - فَقَالَ مَنْ سَلَفَ فِي تَمْرٍ فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ))^(٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الحج، باب: فضل مكة وبنائها، حديث رقم ١٥٠٩، أخرجه

مسلم، كتاب: الحج، باب: نقض الكعبة وبنائها حديث رقم ١٢٢٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: السلم، باب: السلم في كيل معلوم، حديث رقم ٢٢٣٩. وأخرجه

مسلم، كتاب: الساقاة، باب: السلم، حديث رقم ٣٠١٠.

قال الإمام النووي - رحمه الله - : (فيه: جواز السلم، وأنه يشترط أن يكون قدره معلوما بكيل أو وزن أو غيرهما مما يضبط به، فإن كان مذروعا كالثوب، اشترط ذكر ذرعان معلومة، وإن كان معدودا كالحيوان، اشترط ذكر عدد معلوم. ومعنى الحديث أنه إن أسلم في مكيل فليكن كيله معلوما، وإن كان في موزون فيكن وزنا معلوما، وإن كان مؤجلا فليكن أجله معلوما. ولا يلزم من هذا اشتراط كون السلم مؤجلا، بل يجوز حالا؛ لأنه إذا جاز مؤجلا مع الغرر فجواز الحال أولى؛ لأنه أبعد من الغرر، وليس ذكر الأجل في الحديث لاشتراط الأجل، بل معناه: إن كان أجل فيكن معلوما، كما أن الكيل ليس بشرط، بل يجوز السلم في الثبات بالذرع، وإنما ذكر الكيل بمعنى أنه إن أسلم في مكيل فليكن كيلا معلوما أو في موزون فليكن وزنا معلوما. وقد اختلف العلماء في جواز السلم الحال مع إجماعهم على جواز المؤجل، فجوز الحال الشافعي وآخرون، ومنعه مالك وأبو حنيفة وآخرون، وأجمعوا على اشتراط وصفه بما يضبط به) ^(١).

ورخص ﷺ في العرايا بعد نهيهِ عن المزابنة، لأنه كان عرفاً شائعاً بينهم، والحاجة عندهم داعية إليه. فعن سهل بن أبي حثمة ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمر بالتمر وقال: «ذلك الربا تلك المزابنة»، إلا أنه رخص في بيع العرية النخلة والنخلتين يأخذها أهل البيت بخرصها تمرا يأكلونها رطباً) ^(٢).

المطلب الرابع: اعتبار العرف في القسامة:

ومن اعتبار العرف: إقرار الرسول ﷺ القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية؛ فعن سليمان بن يسار مولى ميمونة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار أن رسول الله ﷺ أقر القسامة على ما كانت عليه في الجاهلية^(١).

وَعَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ زَعَمَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ سَهْلُ بْنُ أَبِي حَتْمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَفْرًا مِنْ قَوْمِهِ انْطَلَقُوا إِلَى خَيْبَرَ فَتَفَرَّقُوا فِيهَا وَوَجَدُوا أَحَدَهُمْ قَتِيلًا وَقَالُوا لِلَّذِي وَجَدَ فِيهِمْ قَتَلْتُمْ صَاحِبَنَا قَالُوا مَا قَتَلْنَا، وَلَا عَلِمْنَا قَاتِلًا فَأَنْطَلَقُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ انْطَلَقْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَوَجَدْنَا أَحَدًا قَتِيلًا فَقَالَ الْكَبِيرُ الْكَبِيرُ فَقَالَ لَهُمْ تَأْتُونَ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ قَالُوا مَا لَنَا بَيِّنَةٌ قَالَ فَيَحْلِفُونَ؟ قَالُوا: لَا نَرْضَى بِأَيْمَانِ الْيَهُودِ فَكَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْطِلَ دَمَهُ فَوَدَّاهُ مِئَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ^(٢).

المطلب الخامس: اعتبار العرف في الجلوس في الطرقات:

ومن التطبيقات العملية لاعتبار العرف في الحسبة في صدر الإسلام ما كان منه ﷺ من الاحتساب على الصحابة ﷺ في جلوسهم في الطريق فلما بينوا له أن العرف جرى على ذلك، ولا يمكن الاستغناء عن الجلوس أقرهم على ذلك مع بيان حق الطريق. ومن ذلك ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ)) قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بَدُّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب: القسامة، باب: القسامة، حديث رقم ٤٤٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الدييات، باب: القسامة، حديث رقم ٦٥٠٢.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((فَإِذَا أُنِيتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ)) قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ: ((غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))^(١).

قال الإمام النووي - رحمه الله - : (هذا الحديث كثير الفوائد وهو من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة، وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث، ويدخل في كف الأذى: اجتناب الغيبة، وظن السوء، واحتقار بعض المارين، وتضييق الطريق)^(٢).

قال الإمام ابن حجر - رحمه الله - : (وقد اشتمل الحديث على معنى علة النهي عن الجلوس في الطرقات من التعرض للفتن بخطورة النساء الشابات، وخوف ما يلحق من النظر إليهن من ذلك إذ لم يمنع النساء من المرور في الشوارع لحوائجهن، ومن التعرض لحقوق الله وللمسلمين مما لا يلزم الإنسان إذا كان في بيته وحيث لا ينفرد أو يشتغل بما يلزمه، ومن رؤية المناكير وتعطيل المعارف فيجب على المسلم الأمر والنهي عند ذلك، فإن ترك ذلك فقد تعرض للمعصية، وكذا يتعرض لمن يهر عليه ويسلم عليه فإنه ربما كثر ذلك فيعجز عن الرد على كل ما ورد فرض فيأثم، والمرء مأمور بأن لا يتعرض للفتن والزام نفسه ما لعله لا يقوى عليه، فندبهم الشارع إلى ترك الجلوس حسماً للمادة، فلما ذكروا له ضرورتهم إلى ذلك لما فيه من المصالح من تعاهد بعضهم بعضاً، ومذاكرتهم في أمور الدين

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: منه، حديث رقم ٢٤٦٥، وأخرجه مسلم،

كتاب: اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه ٢١٢١.

(٢) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي ١٤ / ١٠٢.

ومصالح الدنيا، وترويح النفوس بالمحادثة في المباح دلهم على ما يزيل
المفسدة من الأمور المذكورة^(١).

المطلب السادس: اعتبار العرف في التداوي:

ومن التطبيقات العملية أيضاً لاعتبار العرف في الحسبة من
احتسابه ﷺ على من يتداوى بالكى بالنار حيث كان هذا هو العرف
السائد لديهم في معالجة بعض الأمراض فعن جابر بن عبد الله أن
رسول الله ﷺ قال: ((إن كان في شيء من أدويتكم - أو يكون في
شيء من أدويتكم - خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة
بنار توافق الداء وما أحب أن أكتوي))^(٢).

وعن عبد الله بن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال: ((الشفاء في ثلاثة في
شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنا أنهى أمتي عن
الكى))^(٣).

إن منهج التشريع الإسلامي في التعامل مع الواقع المعيش الأعراف
والعادات واعتبار العرف، والعمل به جار على سنن الشارع في تشريع
الأحكام، ومراعاة الأحوال الإنسانية، والعوائد المستقرة، فقد جاء
الإسلام وللعرب عادات وأعراف يسيرون عليها في حياتهم الاجتماعية،
وتنظيم علاقاتهم، ومعاملاتهم المختلفة عادات فيها الصالح وفيها
الفاسد، وفيها ما هو مشوب بالمصالح والمفاسد، والإسلام بما هو دين
الفضيلة الإنسانية السليمة، وتشريعاته جاءت لتلبية المطالب والمصالح

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١١ - ١٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: التداوي بالعسل، حديث رقم ٥٣٥٩، وأخرجه

مسلم، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء واستحباب التداوي رقم ٢٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الشفاء في العسل حديث رقم ٥٣٥٧.

الإنسانية، لم يتعامل مع هذه الأعراف والعوائد بأسلوب واحد؛ بل تفاوت موقفه من الحياة الاجتماعية والقانونية، بحسب طبيعة تلك النظم والعلاقات، من حيث قربها أو بعدها، أو توافقتها أو تضادها من قواعده وأحكامه ومقاصده، وبحسب استقرارها وتمكنها من النفوس والوجدان الحضاري، وبحسب تليتها للمصالح أو ما هو خلاف ذلك.

وبهذا يكون التشريع الإسلامي قد وضع المبدأ الواضح لاعتبار العرف وقرر فيه قاعدة سليمة، اعتبرها الأئمة والفقهاء في الاجتهاد والفتوى وهي أن كل ما تعارفه الناس وساروا عليه، ولم يكن فيه حكم مقرر، يوزن بميزان المصلحة الشرعية بعيداً عن الأهواء والشهوات. فإذا كان العرف يحقق للناس مصلحة راجحة، أو يدفع عنهم مفسدة كبيرة، ولا يخل بالمجتمع، قبل وأقر العمل به، وصار من الشريعة المتبعة، وإن كان غير ذلك، ألغي وأهدر، لا فرق في ذلك بين العرف العام، والعرف الخاص.

وهذا المنهج الذي سنه رسول الله ﷺ في مراعاة أحوال الناس وعاداتهم، تلبية لمصالحهم المتعلقة بها، ودفعاً للحرَج عنهم، يجب ترسّمه في الممارسة التطبيقية للحسبة؛ لأنه من سنن الشارع الحكيم في معالجة الواقع الإنساني، واعتبار العادات والأعراف وهو ما سار عليه الأئمة المجتهدون من بعده، وفق سنن الشارع ومقاصده.

المبحث الثالث: أهمية اعتبار العرف في الحسبة وتطبيقاته

المعاصرة

إن هذه الصبغة التي اصطبغت بها الأعراف البشرية، وهذا التأييد الكريم، جعل لها شأنًا ومكانة في دعوة الإسلام، ولا يعني هذا على الإطلاق أن العرف يعد أصلاً من أصول الحسبة، بل يرجع إليه في كثير من مواقف الاحتساب التي لها علاقة بأفعال المحتسب عليهم وعاداتهم إما تأييداً وإما رفضاً.

المطلب الأول: أهمية اعتبار العرف في مجال الحسبة:

إن اعتبار العرف في مجال الحسبة له أهمية كبيرة، ومن أبرز ذلك:

١. اعتبار العرف في الحسبة يبرز شمولية الإسلام:

الإسلام دعوة عالمية غير محدودة بزمان أو مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد جاءت الأعراف الصحيحة المعتبرة على هذا المنهج الكريم، فتعددت أشكال العرف وتوعدت مجالاته، بحيث تلبي متطلبات التطور، وتسد حاجات الناس التي تختلف باختلاف الزمان والمكان والبيئة.

قال الإمام ابن عابدين - رحمه الله - : (إن كثيراً من الأحكام الاجتهادية يبينه المجتهد على ما كان في عرف زمانه، بحيث لو كان في زمان العرف الحادث لقال بخلاف ما قاله أولاً، ولهذا قالوا في شروط الاجتهاد إنه لا بد فيه من معرفة عادات الناس، فكثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان، لتغير عرف أهله)^(١).

لهذا نجد الأعراف معتبرةً في معظم جوانب الحياة المختلفة، وذلك يشمل كثيراً من الأنظمة والمعاملات، سواء المالية أو الاجتماعية والأخلاقية أو غيرها.

وقد بين كثير من الأئمة هذه السعة والتنوع والشمول، قال الإمام السعدي - رحمه الله - : (العرف أصل كبير، يرجع إليه في كثير من الشروط والحقوق التي لم تتقدر شرعاً ولا لفظاً) ^(١).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - رحمه الله - : (تعتبر العادة والعرف في مسائل كثيرة، حتى جعلت أصلاً، فالعادة محكمة معمول بها شرعاً) ^(٢).

٢. اعتبارُ العرف يرفع الحرج عن المحتسب عليهم:

والعرف إذا لم يعتبر، والعادات إذا لم يكن لها مكان في دعوة الإسلام أدى ذلك إلى الحرج الشديد، لأننا نلاحظ مدى ارتباط الناس بما ألفوه، واعتمادهم عليه وفي المقابل لا يمكن اعتماد أي عرف مطلقاً مجرد إلف الناس له، واحتياجهم إليه، وتحقيقه لمصالحهم ^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (إن موجبات العقود تتلقى من اللفظ تارة ومن العرف تارة أخرى، لكن كلاهما مقيد بما لم يحرمه الله ورسوله) ^(٤).

(١) المختارات الجليلة من المسائل الفقهية، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى بها: أبو

عبدالرحمن محمد بن عيادي خاطر ص ٥٥، ط ١، دار الآثار، القاهرة: ٢٠٠٥ هـ.

(٢) حاشية الروض للربع شرح زاد المستنقع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٩٧/٥، ط ١، ١٣٩٧ هـ.

(٣) مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، د. رقية بنت نصر الله محمد نياز، ص ٢٠.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن ابن قاسم، وابنه محمد، تحقيق: عامر

الجزار، وأنور الباز ٩١/٣٤، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٣ هـ.

ومن المتعارف أن للعادات سلطناً على النفس وتحكماً يجعلها تقرب من قوة الطبيعة التي جبل الله الناس عليها، وقد قرر علماء النفس أنه بكثرة تكراره تألفه الأعصاب والأعضاء وتكيف به، ولا سيما إذا اقتضته الحاجة والمصلحة، ونزع الناس عن هذه العادات المستحسنة التي استقام عليها كثير من مصالحهم يتنافى مع واقعية الدعوة ومثالياتها ومرونتها.

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : (إن العادات لو لم تعتبر لأدى إلى تكليف ما لا يطاق، وهو غير جائز أو غير واقع، وذلك أن الخطاب إما أن يعتبر فيه العلم والقدرة على المكلف به وما أشبه ذلك من العادات المعتبرة في توجيه المكلف - أو لا، فإن اعتبر فهو ما أردنا، وإن لم يعتبر فمعنى ذلك أن التكليف متوجه على العالم والقادر، وعلى غير العالم والقادر، وعلى من له مانع ومن لا مانع له، وذلك عين تكليف ما لا يطاق والأدلة على هذا واضحة كثيرة)^(١).

وعلى العكس من ذلك فإن قرار هذه الأعراف مظهر من مظاهر رفع الحرج والتيسير وإظهار مرونة الدين الإسلامي. فالعادات والأعراف الحسنة أو المباحة التي يشهد لها الشرع بالاعتبار والقبول ينبغي مراعاتها واحترامها بل تحكيمها والاعتداد بها في دائرة اعتباراتها الشرعية، ذلك لأن في نزع الناس عن عاداتهم حرجاً بيناً، وأن تعتبر ما اعتاده عامة أهل العصر في عامة بلاد الإسلام لا حرج فوقه. ولقد درجت في المجتمعات الحاضرة كثير من المستجدات المتعلقة بعادات

وتقاليد تلك المجتمعات وأصبح المجال التطبيقي للعرف بين الناس واسعاً جداً، إذ لا يوجد مجال من مجالات الحياة المختلفة إلا وللعرف فيه مكان.

إن المحتسبين الذين لا يلتفتون إلى مراعاة هذا الجانب المهم في حياة المدعويين فإن جنائتهم على الدعوة عظيمة، لأنهم يوجبون على مدعويهم من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه^(١).

ومما يلاحظ أن بعض الدعاة لا يلتفتون إلى مراعاة هذا الجانب المهم من جوانب الدعوة، بل من أهم أسباب نجاحها. لأنه لا يستطيع المضي في دعوة الناس، وهو لا يعرف شيئاً عن سلوكهم في حياتهم العامة والخاصة. ومن هنا يجب القول بأنه يلزم كل داعية أن يكون على جانب كبير بمعرفة عادات وأعراف من يدعوهم، حتى تؤتي دعوته ثمارها الطيبة في غرس المبادئ الإسلامية في النفوس، وتحل محل العادات والتقاليد التي لا يقرها شرع ولا يستسيغها عقل، وبذلك يؤدي رسالته على الوجه الأكمل^(٢).

٣. اعتبار العرف في الحسبة يعين على فهم الشريعة:

فالمحتسب يحتاج إلى معرفة ودراية بأعراف العرب وعاداتهم حال نزول الوحي، ليعرف ما أقره الشارع من تلك الأعراف والعادات من مكارم أخلاقهم وما يجري من صالح عاداتهم في معاملاتهم، ويعرف أيضاً ما أنكره الشارع ونفاه من تلك الأعراف كالتبني، والتبرج، ووأد البنات.

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : (لا بد من فهم الشريعة من اتباع معهود عرف الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه)^(١).

وقال أيضاً - رحمه الله - : (ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها، وأفعالها، ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثم سبب خاص لا بد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبهات والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة)^(٢).

٤. اعتبار العرف في الحسبة يحقق المصالح ويدرك المفسد:

واعتبار العرف يعمل على تحقيق مصالح المدعويين، ودرء المفسد والأضرار عنهم، لتحقيق السعادة لهم في العاجل والآجل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفسد وتقليلها)^(٣).

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (إن الشريعة مبناهما وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي ٥٦/٢.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ٢٢٩.

(٣) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: أ.د. محمد رشاد سالم الدراسات

الدعوية ١٤٧/١، ط/١، مؤسسة قرطبة، بدون تاريخ.

خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وكل خير في الوجود إنما هو مستفاد منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعته، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة^(١).

وقال أيضاً - رحمه الله - : (ومن أفتى الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم، وعوائدهم، وأزمنتهم، وأمكنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم، فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين عظيمة)^(٢).

المطلب الثاني: التطبيقات المعاصرة لاعتبار العرف في مجال الحسبة:

ومن الأهمية بمكان اعتبار العرف في مجال الحسبة في الواقع المعاصر، نظراً لتطور الحياة، وظهور أمور جديدة في حياة الناس وقد يتعارفون عليها فيما بينهم.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : (إن معرفة الناس أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم، فإن لم يكن فقيهاً في الأمر والنهي لم يطبق أحدهما على الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فإنه إذا لم يكن فقيهاً في الأمر له معرفة بالناس تصور له

(١) إعلام الموقعين من رب العالمين، ابن قيم الجوزية ٤/٣.

(٢) المرجع السابق ١٤/٣.

الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه، وهو بجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا، بل ينبغي أن يكون فقيهاً في معرفة مكر الناس وخداعهم واحتياهم وعوائدهم وعرفياتهم، إن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال، وذلك كله من دين الله^(١).

ومن الأمور التي ينبغي مراعاة العرف فيها المهن والحرف قال الإمام أبو يعلى الفراء - رحمه الله - : (ومما ينبغي على ولاة الحسبة مراعاته من أهل المهن ثلاثة أصناف: منهم من يراعي عمله في الوفاء والتقصير، ومنهم من يراعي حاله في الأمانة والخيانة، ومنهم من يراعي عمله في الجودة والرداءة، فأما من يراعي عمله في الوفاء والتقصير فكالطبيب والمعلمين، لأن الطب إقدام على النفوس يفضي التقصير فيه إلى تلف أو سقم، وللمعلمين الطرائق التي ينشأ الصغار عليها، لكون نقلهم عنه بعد الكبر عسيراً، فيقر منهم من توفر علمه وحسنت طريقتة، ويمنع من قصر أو أساء من التصدي لما يفسد به النفوس، وتخبث به الآداب، وقد قال الإمام أحمد - رحمه الله - في الطبيب والصيدلي: إذا علم أنه طبيب فلا يضمن، فإن لم يكن طبيباً فكأنه رأى عليه الضمان)^(٢).

ومن الأمور التي ينبغي مراعاة العرف فيها المهن والحرف، ومعرفة الأعراف السائدة في ذلك فقد كان النبي ﷺ يغشى أصحابه حتى في أسواقهم، ليطمئن على سيرة التجارة، فإذا رأى ما يوجب الاحتساب لم يتأخر طرفه عين، يدل على ذلك الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة ؓ: ((أن رسول الله ﷺ مر على صبرة

مجلة

الدراسات

الدعوية

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية ٤/٤٤٢.

(٢) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/٣٠٣.

طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غشنا فليس منا^(١).

قال الإمام النووي - رحمه الله - : قوله ﷺ ((صبرة من طعام)) الصبرة: الكومة المجموعة من الطعام، سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض، ومعنى أصابته السماء أي المطر^(٢)، وفي الحديث نهي عن غش المسلمين بعضهم بعضاً في البيع والشراء وما أشبههما من الأحوال. ومن التطبيقات المعاصرة لاعتبار العرف في مجال الحسبة: ما تعارف عليه الناس من تخصيص أهل الحسبة بزي معين يميزهم عن غيرهم من الناس، وكذلك اصطحابهم لبطاقة تعريفية تشير إلى كونهم من رجال الحسبة.

ومن ذلك أيضاً: ما تعارف عليه الناس من ضرورة حضور أحد المحتسبين يشهد على تطبيق الأحكام والحدود والتعازير الشرعية. ومن ذلك أيضاً: ما تعارف عليه الناس من أن أئمة المساجد أغلبهم محتسبون وقد كانوا يقومون بعد الأشخاص الذين حضروا لصلاة الفجر، وكان الناس لا ينكرون ذلك.

كما أنهم لا ينكرون ما تعارفوا عليه من جعل تارك الصلاة حاسر الرأس ويصبوا عليه الماء البارد.

ومن التطبيقات المعاصرة لاعتبار العرف في مجال الحسبة: ما تعارف عليه الناس في أمور الصلح والديات فيما بينهم؛ فيجب على المحتسب أن يراعي ذلك.

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: "من غشنا فليس منا"، حديث رقم ٢٩٥.

(٢) شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ٣٠٦/٩.

ومن ذلك أيضاً: ما تعارف عليه الناس في مجالسهم الخاصة من خدمة الصغير للكبير وتوقيره وتقديمه في شتى الأمور.

ومن ذلك أيضاً ما تعارف عليه الناس في شؤون الأفراح وطريقة الخطبة والمهر فلا بد من مراعاة العرف في ذلك. إلى غير ذلك من المسائل والموضوعات المعاصرة التي ينبغي مراعاة العرف عند ممارسة الحسبة فيها.

ونختم بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن أهمية الاحتساب في حياة الناس:

(وكُلُّ بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالتعاون والتناصر، فالتعاون على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للأمر بتلك المقاصد والناهي عن تلك المفسد فجميع بني آدم لا بد لهم من طائفة أمرٍ ونهيٍ...^(١) .

الختامة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والمكرمات وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وبعد:

فقد خلص هذا البحث إلى عدة نتائج منها ما يلي:

١ / أبرز هذا البحث - بفضل الله - المسائل العملية والتفصيلية التي ينبغي على المحتسب مراعاتها في احتسابه على الغير - المحتسب عليهم - وهو يقوم بمهمة الأنبياء والرسل ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ / خلص البحث إلى أن مراعاة أعراف الناس ومعرفة المقبول منها والمرفوض من أهم الأمور التي ينبغي العناية بها لأن ذلك مما يظهر روح الشريعة ويبرز أهدافها النيرة، فكما أن القضاء على تغيير المنكر وسوق الناس إلى المعروف وأمرهم به من الأمور المهمة في الشريعة إلا أن الشريعة تهدف إلى إقامة روح المعروف في نفوس الناس، وغرس كره المنكر في نفوسهم أيضاً، ليكون الرقيب الذاتي قائماً ومستمراً مع كل مسلم، ولا يحتاج لفعله المعروف أو انتهائه عن المنكر وجود المحتسب، بل ليصبح وجود المحتسب نافعاً في محاربة ومعالجة ومواجهة المنكرات العامة والمشكلات الكبيرة.

٣ / أبان البحث أن السلف الصالح فهموا هذه المسائل وكانت ممارساتهم العملية تصب في باب مراعاة أعراف الناس، وكانت تطبيقاتهم العملية للحسبة مركزة على هذا الجانب، ولهذا حصلوا على مساحة كبيرة من التميز في الأداء وعلى قبول الغير لهم، وعلى بقاء آثارهم الحسنة والإيجابية في المجتمع.

٤ / كشف البحث عن تطبيقات الحسبة في عصر صدر الإسلام، وكذلك عن تطبيقاتها المعاصرة، وارتباطها بالعرف.

وأما أبرز التوصيات التي يوصي بها البحث:

- ١ / ضرورة العناية بإبراز مكانة العرف في الشريعة الإسلامية.
- ٢ / التأكيد على أهمية الحسبة ودورها في صلاح حال البلاد والعباد.
- ٣ / يوصي البحث بضرورة مراعاة المحتسب لأعراف الناس عند ممارسة الحسبة وتطبيقها.
- ٤ / يوصي البحث بأهمية تفعيل الدراسات والبحوث حول هذه الموضوعات التي تربط الجانب النظري بالجانب العملي، وخاصة في مجال الحسبة لما لها من أهمية في حياتنا. نسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكتب للجميع التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

فهرس المصادر والمراجع

- ١ / أثر العرف في التشريع الإسلامي، د. السيد صالح عوض، ط/ دار الكتاب الجامعي، القاهرة.
- ٢ / الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ ٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ٣ / الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ.
- ٤ / أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، ط/ عيسى الحلبي، القاهرة: ١٩٥٨م.
- ٥ / إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٣هـ.
- ٦ / الأشباه والنظائر، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٧ / الأشباه والنظائر، ابن نجيم الحنفي، ط/ مطبعة الحلبي، بدون تاريخ.
- ٨ / أصول الفقه الإسلامي، أ.د. وهبة الزحيلي، ط/ ٢، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٢هـ.
- ٩ / إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط/ مطبعة دار السعادة، القاهرة: ١٩٥٥م.
- ١٠ / أقرب الموارد، السعيد الشرتوني، ط/ مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، بدون تاريخ.

١١ / الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، ط/١، دار الكتاب الجديدة، بيروت: ١٣٩٦هـ.

١٢ / تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن عبدالرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط/ دار الهداية، بدون تاريخ.

١٣ / التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤ / التقرير والتحبير في علم الأصول، شرح ابن أمير الحاج على تحرير الإمام الكمال بن الهمام، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٩٩٦م.

١٥ / تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٦ / جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

١٧ / حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، ط/١، ١٣٩٧هـ.

١٨ / الحسبة، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، حققه وعلق عليه، علي بن نايف الشعود، بدون ذكر رقم وتاريخ وبلد الطبعة.

١٩ / الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش، ط/٢، دار الكتاب المصري.

مجلة
الدراسات
الدعوية

- ٢٠ / شرح الكوكب المنير، محمد الفتوحى المعروف بابن النجار، ط/ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ.
- ٢١ / شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، العلامة أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، ط/ دار الفكر بيروت: ٢٠٠٩م.
- ٢٢ / شرح صحيح الإمام مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط/ ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.
- ٢٣ / الصحوة الإسلامية "ضوابط وتوجيهات"، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/ دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤٢٤هـ.
- ٢٤ / العرف حجيته، وأثره في فقه المعاملات عند الحنابلة، عادل قوته، ط/ ١، المكتبة المكية: ١٤١٨هـ.
- ٢٥ / العرف وأثره في الشريعة والقانون، أ.د. أحمد المبارك، ط/ ١، الرياض: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- ٢٦ / العرف والعادة في رأي الفقهاء، أحمد فهمي أبو سنة، ط/ ١، مطبعة الأزهر، مصر: ١٩٤١م.
- ٢٧ / فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ط/ مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٧٩هـ.
- ٢٨ / قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، ط/ دار المعارف، بيروت.
- ٢٩ / الكشاف، جار الله محمود الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد، وعلي محمد، ط/ ١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٨هـ.

٢٠ / لسان العرب، محمد بن منظور الإفريقي، ط/١، دار صادر، بيروت.

٢١ / المبسوط، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٢٢ / مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن ابن قاسم، وابنه محمد، تحقيق: عامر الجزار، وأنور الباز، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٣هـ.

٢٣ / مجموعة رسائل ابن عابدين، محمد أمين بن عابدين، ط/١، عالم الكتب، بيروت: ١٩٩٨م.

٢٤ / مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ط/١، مكتبة لبنان، بيروت: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢٥ / المختارات الجليلة من المسائل الفقهية، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى بها: محمد بن عيادي خاطر، ط/١، دار الآثار، القاهرة: ٢٠٠٥هـ.

٢٦ / المدخل في التعريف بالفقه الاسلامي، محمد مصطفى شلبي، ط/ دار النهضة العربية: ١٩٦٩م.

٢٧ / معالم القربة في طلب الحسبة، ابن الأخوة القرشي، تحقيق: د. محمد شعبان، ود. صديق المطيعي، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٦م.

٢٨ / المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد
عبدالقادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط / دار
الدعوة، القاهرة: بدون تاريخ.

٢٩ / المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد
بن قدامة المقدسي، ط / ١، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٥هـ.

٤٠ / المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد
كيلاي، ط / دار المعرفة، بيروت.

٤١ / مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط / ٥، دار القلم،
بيروت: ١٩٨٤م.

٤٢ / مكانة العرف في الدعوة الإسلامية، د. رقية بنت نصر الله
محمد نياز، بدون ذكر تاريخ ودار النشر.

٤٣ / منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية،
تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط / ١، مؤسسة قرطبة، بدون
تاريخ.

٤٤ / الموافقات في أصول الشريعة، الإمام أبو إسحاق الشاطبي،
تحقيق: محمد الفاضلي، ط / ١، المكتبة العصرية، صيدا:
١٤٢٣هـ.

٤٥ / نهاية الرتبة في طلب الحسبة، الإمام الشيرازي، تحقيق د. السيد
الباز، ط / ٢، دار الثقافة بيروت: ١٤٠١هـ.

٤٦ / النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ط / دار الكتاب
المصري، بدون تاريخ.

القدوة الحسنة وأثرها في حياة المحتسب

إعداد

الدكتورة: الجوهرة بنت محمد العمراني
الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب
في كلية الدعوة والإعلام

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرته من خلقه، أرسله بالهدى ودين الحق رحمة وقدوة للعالمين ومحجة للسالكين، بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. و بعد، ،

فإن وجود القدوة الحسنة ضرورة لا بد منها، ليحتذي بها الإنسان ويكتسب منها المعالم الإيجابية لحركته في الحياة، سواء مع الله تعالى في أداء العبادات والفرائض، أو مع النفس وتزكيتها وتدريبها على الأخلاق الفاضلة، أو مع الأهل والأبناء، أو مع المجتمع من حوله في أمور الدين والدنيا، ولأهمية القدوة وأثرها؛ جعل الله تعالى لعباده قدوة حسنة تمثلت في الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام على مر العصور، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ ^(١)، ووجه الله تعالى أهل الإيمان إلى الاقتداء بنبيه محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ ^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ^(٣).

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

ذكر ابن كثير رحمه الله أن: " هذه الآية أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، فإنه ﷺ رأس الأخيار وأكمل الخلق، وإمام أهل التقوى عامة في الدنيا والآخرة، ومن أحب مرافقته في الجنة فليتخلق بأخلاقه، وليحذر مخالفته، ويلتزم طاعته ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾^(١) .

ومن هنا كان أصحاب النبي ﷺ أعظم الناس فوزاً بعد النبيين بالثناء العظيم، والوعد من الله بغاية التكريم، والرضوان والنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٢) ، وذلك لحسن اقتدائهم به ﷺ، وكمال إتباعهم له، وصدق إيمانهم به، وهكذا من اتبعهم بإحسان من قرون الأمة فإنه يلحق بهم ويفوز برفقتهم، يقول سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَدِيمِينَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٣) .

وقد شرع الله تعالى الاقتداء برسوله محمد ﷺ وإتباعه في جميع الأعمال والأقوال والأخلاق، فقد كان محمد ﷺ قدوة ونموذجاً

(١) سورة النساء، الآية: (٦٩ - ٧٠).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

يجسد الدين الذي أرسل به، ليرى الناس هذا الدين واقعاً حقيقياً بعيداً عن الأفكار المجردة، فكان عليه الصلاة والسلام خير قدوة للأمة في تطبيق هذا الدين ليكون منارة لها إلى يوم القيامة، يقول تبارك وتعالى، وحيث اصطفى الله تعالى أمة محمد - ﷺ - من بين سائر الأمم وفضلها على الجميع بفضائل ليست لغيرها، وارتضى الإسلام لسائر الأمم إلى أن تقوم الساعة قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾^(١)، فقد أمر بالدعوة أو الاحتساب، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢)،

وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)، فالله تعالى وسمهم بالخيرية في الآية الأولى، وبالفلاح في الآية الثانية لاتصافهم بهذه الصفات، وجاء عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قرأ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.....﴾ ثم قال: "من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها"^(٤).
والمسلم الحق هو الذي يسلك ما يحقق له الفلاح والخير والفضل، والأمة الواعية هي التي تعد نفسها لتتبوأ هذا المقام الشريف كي تقود غيرها من أمم الأرض إلى طريق الخير والرشاد.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

مجلة

(٤) تفسير القرآن العظيم / للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار

الدراسات الدعوية ابن كثير دمشق، بيروت، ط: (١)، ت: (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ج: (١) ص ٤٨٥.

وحينما نتأمل في قول الله تعالى: ﴿وَأَتَىٰكُمْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَأَمْرٍ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، نجد فيه الأمر الصريح
من الله - عز وجل - بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على
هذه الأمة لتكون من أهل الفلاح والصلاح.

وتمثل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ميراث النبوة
الحقيقي الذي ورثه الدعاة والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر إلا
أنهم بين مقل ومجتهد في أداء هذه الشعيرة العظيمة من ناحية وبين
الإتيان بمقومات نجاحها والبعد عن ما ينفر الناس منها^(٢).

من ناحية أخرى مما يؤكد حاجتهم للتبصير بما يعينهم على
تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث يكون لأمرهم ونهيهم
الأثر الإيجابي.

ومن المقومات الهامة والأساسية لنجاح المحتسب في أمره ونهيه
التزامه بجانب القدوة الحسنه وإدراكه لأثر مراقبة المحتسب عليهم
لسلوكياته سلبا وإيجابا؛ فالقدوة في الدعوة والاحتساب من أفعال
الوسائل في التأثير، وغالبا ما يظهر أن مبادئ الإسلام وأصوله تحظى
بالقبول حينما يمثّلها الداعي أو المحتسب فيراها المدعو أو المحتسب
عليه عمليا،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصوله وضوابطه وآدابه/ خالد بن عثمان السبت،
المتدنى الإسلامي، لندن، ط: (١)، ت: (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص ١٤، حقيقة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته/ للدكتور: حمد بن ناصر بن عبدالرحمن
العمار، ش: دار إشبيلية للنشر والتوزيع ط: (٢)، ت: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ٨.

وحيث إن القيام بالاحتساب الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة لا تسقط إلا بالأداء، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، ولقول الرسول ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٢)، وعليه يجدر اعتناء المحتسب بأمر الاحتساب والتأدب بآداب الحسبة ليكون قدوة عملية للمحتسب عليهم.

ومن هنا كانت فكرة البحث في موضوع القدوة الحسنة وأثرها في حياة المحتسب للاستفادة أولاً من النصوص والنماذج التي تُعنى بهذا الجانب، ولبيان مدى حاجة المحتسب للعناية بالقدوة العملية وتأثيرها على الحسبة سلباً وإيجاباً.

ولإيضاح موضوع هذا البحث قسمته بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالقدوة والاحتساب.

المبحث الثاني: حاجة المحتسب للقدوة.

المبحث الثالث: نماذج لأثر القدوة الحسنة في استجابة المحتسب عليهم.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد ويتقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ج: (١) ص ٦٩ ح ٤٩.

المبحث الأول: التعريف بالقدوة والاحتساب

أولاً: تعريف القدوة:

القدوة في اللغة: جاء في لسان العرب القدوة تأتي بالضم والكسر والقدوة من التقدم، يقال فلان لا يقاديه أحد ولا يباريه أحد ولا يجاربه أحد وذلك إذا تميز في الخلال كلها . والقدوة، الأسوة، يقال: فلان قدوة تقتدي به^(١) وهي ما تسنتت به واقتديت به^(٢) وجاء في المعجم الوسيط^(٣): فلان قدوة إذا كان يقتدى به، ولي بك قدوة، ومنها قوله: (اقتدى به، أي فعل مثل فعله تشبهاً به)، ومن معانيها الاستقامة في الخير وفي طريق الدين^(٤).

القدوة في الاصطلاح: القدوة في الاصطلاح تكون بمعنى الاقتداء وهو طلب موافقة الغير في فعله^(٥)، والقدوة هي الأسوة والعكس، وتكون القدوة بمعنى أن يكون المرابي أو الداعي والمحتسب مثلاً يُحتذى به في أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته^(٦).

(١) انظر: لسان العرب / محمد بن منظور الإفريقي المصري، ط: (١)، دار صادر، بيروت، ج: (١١) ص ١٧٠.

(٢) انظر: ترتيب القاموس المحيط على طريق المصباح المنير وأساس البلاغة / للطاهر أحمد الزاوي دار الفكر، ج (٣) ص ٥٧٤.

(٣) مجمع اللغة العربية / تحقيق: إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار الدعوة. ج: (٢) ص ٧٢١.

(٤) انظر: المرجع السابق، ج: (٣) ص ٥٧٤.

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / للإمام محمد علي الشوكاني، دار الفكر، ج: (٢) ص ١٣٧.

(٦) انظر: الفساد الخلقي في المجتمع.. أسبابه، آثاره، علاجه في ضوء الإسلام للدكتور: ناصر بن عبد الله ناصر التركي، وزارة الشؤون الإسلامية، ت: (١٤٢٣هـ) ص ٢٤٤.

(والاقتداء هو طلب موافقة الغير في فعله) ^(١) ، والقدوة تأتي بمعنى الأسوة والعكس ، فالأسوة كما يقول القرطبي - رحمه الله - (هو ما يتأسى به أي يعتري به فيقتدي به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله) ^(٢) .

إلا أن مما يجدر التنبيه إليه هنا: أن كلا اللفظتين وإن ظهر بينهما توافق في المعنى في بعض الجوانب إلا أن هذا التوافق ليس على إطلاقه فلا تزال بين اللفظتين فروقاً يمكن حصرها في أن:

- ١- التأسى أشد في بابه من الاقتداء.
- ٢- التأسى يجعل معنى الالتزام من الغير بشكل أقوى ولذلك فإنها جاءت مع النبي ﷺ باعتباره أفضل الأنبياء والمرسلين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَكَرَّهَ اللَّهُ كِبْرًا﴾ ^(٣) .

أما القدوة فقد جاءت مع غيره من الأنبياء والصالحين من الصحابة وغيرهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أُمَّتُهُ﴾ ^(٤) .
والحسنة ضد السيئة، وقُيدت القدوة هنا بالحسنة حتى تخرج القدوة السيئة، فالأسوة نوعان:

أسوة حسنة، وأسوة سيئة، وقد حثنا القرآن الكريم على الأخذ بالأولى وترك الثانية، وأمرنا بالتأسى بالنبي - ﷺ - والاقتداء به في

(١) فتح القدير ، ج: (٢) ص ١٩٩.

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، باب : تفسير سورة السجدة ، ج: (١٤) ص ١٥٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

كل شؤون الحياة ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ كِبْرًا﴾^(١).

فالأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر^(٢) ، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾^(٣) ، والمعنى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها^(٤) ، وخالصة ما أقصده بالقدوة هنا: أن يكون القائم بالحسبة مثلاً عملياً فيما يأمر به وينهى عنه، فلا يناقض قوله فعله ولا العكس^(٥).

ثانياً: تعريف الاحتساب:

أ / الاحتساب في اللغة:

وردت كلمة الاحتساب في اللغة على عدة معان منها:

١ - طلب الأجر، أي أن المحتسب يطلب الأجر من الله لقيامه بهذه الشعيرة العظيمة^(٦) ، ومنه قول النبي - ﷺ - : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)^(٧).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن من تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي مركز صالح بن

صالح الثقافي بعنيزة ، ط: (٢)، ت: (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، ج: (٦) ص ٢٠٨.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للقاضي الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي ،

دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ج: (٤) ص ٢٣٦.

(٥) انظر: المدخل إلى علم الدعوة "دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها

ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل" / للدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ، ص: ٢٧١.

(٦) انظر: لسان العرب ، ج: (١) ص ٣١٤.

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب: الإيمان، باب: صوم رمضان احتساباً من الإيمان ، ح:

(٢٨)، ج: (١) ص ٩٢.

٢ - حسن التدبير، يقال فلان حسن الحسبة بالأمر إذا كان حسن التدبير^(١).

٣ - الإنكار، يقال: احتسب فلان على فلان، أي أنكروا عليه قبيح فعله^(٢)، فالمحتسب ينكر على المحتسب عليه ما وقع فيه من المنكر. إلى غير ذلك من المعاني اللغوية الواردة في تعريف الاحتساب. ب - الاحتساب في الاصطلاح:

عرف الاحتساب في الاصطلاح بتعريفات عدة سأقتصر على ذكر الراجح منها وهو تعريف الإمام الماوردي^(٣) والقاضي أبي يعلى الحنبلي^(٤) حيث ذكرا في تعريفهما للاحتساب أنه: "أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله"^(٥).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة / لابن فارس، مكتبة الحلبي، مصر، ط: (٢)، ت: (١٣٩٠هـ)، ج: (٢) ص ٥٩.

(٢) لسان العرب، ج: (١) ص ٣١٧.

(٣) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف حدث عنه أبو بكر الخطيب ووثقه. وقال مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة وقد بلغ ستاً وثمانين سنة، وولي القضاء ببلدان شتى ثم سكن بغداد انظر: سير أعلام النبلاء / للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة لرسالة، بيروت، ط: (٩) ١٤١٣هـ، ج: (١٨) ص ٦٤.

(٤) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء أبو يعلى كان له في الأصول والفروع القام العلي وفي شرف لدين ولدنياه الحل السامي، ولد لتسع وعشرين أو ثمان وعشرين ليلة خلت من الحرم سنة ثمان وثلاثين، وابتدأ بالصنيف والتدريس بعد وفاة شيخه ابن حامد له مصنفات كثيرة منها: أحكام القرآن، ولبصاح البيان، ومسائل الإيمان، توفي عليه رحمة الله ليلة الاثنين بين العشائين التاسع عشر من رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمئة. انظر: طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى، دار للفرقة، بيروت، ج: (٢) ص ١٩٣.

(٥) الأحكام السلطانية / لأبي يعلى الحنبلي، تحقيق الشيخ: محمد الفقي، دار الفكر، بيروت، ت: (١٤١٧هـ)، ص ٢٤٠، الأحكام السلطانية والولايات الدينية / للإمام الماوردي، تصحيح: النعساني الحلبي، ط: (١)، ت: (١٣٢٧هـ)، ص ٢٨٤.

ثالثاً: تعريف المحتسب:

أ / المحتسب في اللغة:

عرف المحتسب في كتب اللغة: بأنه من كان يتولى منصب الحسبة واحتسب فلان على فلان: أنكر عليه قبيح عمله ومنه المحتسب^(١).

وعرف المحتسب في الاصطلاح بعدد من التعريفات منها:

١ - "المحتسب من نصبه الإمام أو نائبه للنظر في أحوال الرعية، والكشف عن أمورهم ومصالحهم"^(٢).

٢ - "هو المختص من قبل الدولة، يقوم بمراقبة أفعال الأفراد وتصرفاتهم، لصبغها بالصبغة الإسلامية أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وفقاً لأحكام الشرع وقواعده"^(٣).

٣ - "هو من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"^(٤).

٤ - "مسلم يسعى لتغيير المنكر وإقامة المعروف وفقاً لمنهج الشريعة الإسلامية امتثالاً لأمر الله وطلباً لثوابه، متولياً أو متطوعاً"^(٥).

(١) انظر: للعجم الأوسط / لإبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة ، ج: (١) ص ١٧١ ، تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، ج: (٢) ص ٢٧٨ .
(٢) معالم الغرب في أحكام الحسبة / ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد أبي زيد القرشي المعروف بابن الإخوة ، علق عليه ووضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط: (١) ، ت: (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) ص ١٣ .

(٣) نظام الحسبة في الإسلام / رسالة ماجستير لعبد العزيز بن مرشد ، المعهد العالي للقضاء ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ت: (١٣٩٢هـ) ، ص ١٦ .

(٤) شروط المحتسب وآدابه / لحافظ عابد إلهي ، رسالة ماجستير كلية الدعوة والإعلام بالرياض ، قسم الدعوة ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٢ .

(٥) الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب / للدكتور علي القرشي ، مكتبة الرشد ، ط: (١) ، ت: (١٤١٥هـ) ، ج: (١) ص ٨٨ .

وإذا أمعنا النظر في هذه التعريفات يتبين أن الحسبة تنقسم إلى قسمين هما:

١ - الاحتساب الرسمي.

٢ - الاحتساب التطوعي.

فيكون المحتسب رسمياً إذا كان معيناً من قبل ولي الأمر لأداء هذه المهمة الجليلة، ويطلق عليه إضافة إلى اسم المحتسب والى الحسبة أو المحتسب المنسوب.

ويكون المحتسب متطوعاً وهو الذي يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متطوعاً وملتزماً بأمر الدين وراغباً في الأجر والثواب من الله - عز وجل - دون أن يكون معيناً تعييناً رسمياً^(١)، ويندرج تحت هذا المسمى كل من يقوم بتغيير المنكر والأمر بالمعروف من المسلمين في مختلف مجالات الحياة ممن يبتغون ثواب الله تعالى بإقامة هذه الشعيرة العظيمة تطوعاً وبدلاً للدين.

المبحث الثاني: حاجة المحتسب للقدوة

للقدوة الحسنة دور كبير في توجيه الناس وبناء المجتمع، فصفات القدوة يراها الناس فيتأثرون بها، ويتبعونه فيها، وتظل صفات الشخص القدوة مؤثرة كلما استحضرها الناس بين الحين والحين، وتكون حافزاً لهم إلى الصلاح والعمل والنجاح.

وقد حرص الإسلام على استثمار هذه الوسيلة، ورفع من شأن من يستحقون أن يكونوا قدوة للمجتمع، ليهتدي الناس بهداهم، ويسيروا بسيرتهم، ولعظم أمر القدوة؛ وضع الإسلام لنا صورة واضحة لمن يستحق أن يُرفع إلى مقام القدوة في الناس، ويستحق أن يهتدي الناس بهداهم، وبين لنا الصفات التي يجب أن تتوافر فيمن يتخذ قدوة.

وأساس هذه الصفات للقدوة، هو الإيمان والهدى والصلاح، وأولى الناس بتلك المكانة هم الأنبياء - عليهم السلام - ، قال تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: (أُولَئِكَ): هؤلاء القوم الأنبياء المذكورون قبل هذه الآية - الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكّلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده وإتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتفاء عما فيه من نهيه، فوفقههم جلّ ثناءه لذلك.

﴿فِيهِدْنَهُمْ أَقْتَدَةٌ﴾ يقول - تعالى - ذكره - : فبالعمل الذي عملوا ، والمنهاج الذي سلكوا ، وبالهدى الذي هديناهم ، والتوفيق الذي وفقناهم ؛ اقتده يا محمد : أي فاعمل وخذ به واسلكه ، فإنه عملٌ لله فيه رضا ، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى...^(١) .

وقال البغوي : ("أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ" ؛ أي : هداهم الله ، "فِيهِدَاهُمْ" ؛ فبسننتهم وسيرتهم "اقتدِه") .

وقال - سبحانه - يرشدنا إلى قدوتنا وأسوتنا لكي نسير على نهجه ونهتدي بهداه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢) .

وأرشدنا الرسول - ﷺ - إلى نماذج من القدوة الصالحة في الدين ، من الصحابة الكرام ، لتتبع نهجهم ونستن بسنتهم ، كما في حديث : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ" رواه أبو داود والترمذي ، فوصفهم الرسول - ﷺ - بالراشدين المهديين إيراداً لأساس القدوة فيهم ، وهو أنهم أفضل الناس رشداً وهدى في الدين ، ولذلك حث على الاقتداء بهم .

وأخرج الترمذي عن حذيفة قال : "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ : إِنِّي لَا أَذْرِي مَا قَدَرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَأَقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي ،

(١) تفسير الطبري ، باب : ٩٠ ، ج : (١١) ص ٥١٨ ، ٥١٩ ، جامع البيان في تأويل القرآن /

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، تحقق : أحمد محمد شاكر ط : (١) ، ت : (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) ، مؤسسة الرسالة .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ ، وَاهْتَدُوا يَهْدِي عَمَارٍ . وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدَّقُوهُ^(١) .

قال المباركفوري يرحمه الله في شرح الحديث: (قوله: (اقتدوا بالذين من بعدي)؛ أي بالخليفتين اللذين يقومان من بعدي (أبي بكر وعمر)... أي لحسن سيرتهما وصدق سريرتهما... (واهدتوا بهدي عمار)؛ أي ابن ياسر، والهدي - بفتح الهاء وسكون الدال - السيرة والطريقة، والمعنى أي سيروا سيرته، واختاروا طريقته، وكان الاقتداء أعم من الاهتداء حيث يتعلق به القول والفعل، بخلاف الاهتداء فإنه يختص بالفعل).

قال المناوي: (وسبب الحث على الاقتداء بالسابقين الأولين ما فُطروا عليه من الأخلاق المرضية... فلذلك كانوا أفضل الناس بعد الأنبياء).

والداعية والمحتسب يراعيان هذا الجانب عمليا من حيث التأسي بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن خلف النبي ﷺ من السلف الصالح لتكون خطاهم أولا عن بيعة، ولكي يكونوا قدوة عملية لمن بعدهم؛ لاسيما وأن القدوة تعد المحرك النفسي في المجتمع، والذي لا يقل دوره عن باقي العوامل المشاركة في بنية المجتمع وتقدمه، وحينما نضع أمام المجتمع الدعاة والمحتسبين الصالحين ليقبليهم الناس، فسيعود ذلك على المجتمع بتأثير إيجابي كبير،

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: المناقب، باب: مناقب عمار بن ياسر، ج: (٥) ص ٦٦٨، ح: (٣٧٩٩) وحكم عليه الإمام المحدث الألباني - رحمه الله - بأنه حديث صحيح. الجامع الصحيح سنن الترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت - .

فيكثر الصالحون والعلماء والناجحون ويقوى المجتمع ويتقدم بإذن الله تعالى، فالقدوة العملية لها أطيّب الأثر في نفوس المتلقين؛ لاسيما وأن النفوس جبلت على عدم القبول ممن خالف قوله وفعله والنفور عن مواعظه وخطبه لأنه لو كان صادقاً فيما يقول لكان أول من لزم ذلك وحرص عليه^(١).

ولخطر ذلك وسوئه نجد أن الله - عز وجل - حذر من مخالفة القول الفعل وذم ومقت من وقع في ذلك؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿آتَمِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّ مِنَ الْكٰذِبِ أَفَلَا تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾^(٣).

ففي الآية الأولى إنكار من الباري سبحانه على من يقول قولاً لا يفي به.

وفي الثانية إنكار منه أيضاً على أهل الكتاب الذين يأمرون الناس بالبر - وهو جماع الخير - أن ينسوا أنفسهم فلا يأمرونها بما يأمرون الناس به^(٤).

وقد جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما

(١) انظر: قدوة الحكام والمصلحين / عمر بن عبد العزيز مجدداً ومصلحاً أو التصحيحات المالية لعمر بن عبد العزيز وأثرها في بيت المال وفي الأمة من ٩٩ إلى ١٠١ هـ للدكتور محمد صدقي ابن أحمد البورنو الغزي، مكتبة المعارف، الرياض. ص ٢٣ - ٢٨.

(٢) سورة الصف، الآية: (٢ - ٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج: (١) ص ١٠٩، ج: (٤) ص ٤٢٢.

يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: بلى قد كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية^(١).

ولذا فمسؤولية المجتمع كبيرة في حماية مكانة القدوة، وقصرها على أهلها من الصالحين، ورفض القدوة السيئة وحماية الأجيال منها. ومما يبرز حاجة المحتسب للقدوة الحسنة وخطر التساهل في أمرها^(٢):

١ - أن المحتسب القدوة يكون سبباً - بإذن الله - في هداية الناس وقبولهم للحق والهدى وإقبالهم عليه.
فالمثال الحي يثير في النفوس الاستحسان والرغبة في الاستجابة والاستفادة من الأقوال والمواعظ والتوجيهات التي يتلقونها، فتتهيج فيهم دوافع الخير وتتولد لديهم حوافز قوية تحفزهم لأن يعملوا بما سمعوا وأن يقبلوا على طريق الخير ويلزموه.
٢ - أن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة للمثال الحي:
لأن ذلك أيسر في إيصال المعاني التي يُريد المحتسب إيصالها.
لذلك قال العلماء في حديث:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الزهد والرفائق، باب: عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله ح: (٢٩٨٩) ص: ١١٩٧.

(٢) انظر: صفات الداعية في ضوء سير دعاة النبي - ﷺ - رسالة ماجستير / لأحمد بن علي عبد الله الخليلي، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٩ هـ، ص ٤٣٠ - ٤٣٤.

اتخذ النبي - ﷺ - خاتماً من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي - ﷺ - : (إني اتخذت خاتماً من ذهب فنبذه وقال: إني لن ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم)^(١)، قال العلماء عليهم - رحمة الله - : "فدل ذلك على أن الفعل أبلغ من القول"^(٢).

٢ - أن تصرفات المحتسب هي محل اهتمام ودقة نظر الناس:

فسلوكياته وأقواله وأفعاله مرصودة من قبلهم، ونظرهم بالنسبة له نظر دقيق، وقد يكون ذلك بعلم المحتسب وقد لا يكون بعلمه وإحساسه لذا كان على المحتسب أن يزن أعماله وتصرفاته طالباً لرضى الله أولاً قبل رضى المخلوقين واستحسانهم، ولأثر فعله على من حوله.

٤ - أن المحتسب المتحلي بالقدوة الحسنة يعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة التي هي في متناول القدرات الإنسانية ومشاهد الحال أقوى من مشاهد المقال كما سبق بيان ذلك. ومن هنا يتأكد أهمية اعتناء المحتسب بأمر القدوة الحسنة؛ فمهما يكن من أمر العلم والمعرفة بأساليب ووسائل الاحتساب فإنها لا تغني عن وجود واقع تربوي يمثلها المحتسب فهو يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها"^(٣).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بأفعال النبي - ﷺ -

ح: (٧٢٩٨) ص ١٣٩١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري / للإمام أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني

الشافعي، تحقيق: محيي الدين الخطيب دار المعرفة، بيروت. ج: (١٣) ص ٥٧٥.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية / عبد الرحمن النحلوي، دار الفكر، ط: (٢)، ص ٢٥٤.

وقد بين الله تعالى لنبينا محمد ﷺ أثر سلوكه الحسن وتأثيره في
التفاف الناس حوله واستجابتهم لقوله ، قال تعالى (فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقوله تعالى:
"ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" ، فإنه يعني
ب"الفظ" الجافي، وب"الغليظ القلب" ، القاسي القلب، وقد
كانت صفته ﷺ، كما وصفه الله به: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ﴾^(١).

فالله تعالى طهره من الفظاظ والغلظة، وجعله قريبا رحيفا
بالمؤمنين رؤوفا^(٢).

وقد كان رسول الله - ﷺ - في أعلى درجات القدوة، فقولته
وعمله وتقريره سنة مأمورون بالسير على هداها، والاقتراء بها،
وتطبيقها في واقع الحياة ، فعن أبي سليمان مالك بن الحويرث، قال:
أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ مُتْقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ
أَنَا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ
رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا
كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، ثُمَّ
لِيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرَكُمْ"^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) تفسير الطبري ، باب : ١٥٩ ، ج : (٧) ص ٣٤١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : تفسیر القرآن ، باب : ما جاء في إجازة خير الواحد الصلوة
في الأذان والصلوة والصوم والفرائض والأحكام ، ج : (٨) ص ٩ ، (٦٠٠٨) ، أخرجه مسلم في
صحيحه ، باب : ٥٣ باب من أحق بالإمامة ج : (١) ص ٤٦٥ ح : (٦٧٤) واللفظ للبخاري.

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: "لتأخذوا مناسككم، فإنني لا أدري لعلّي لا أحجّ بعد حجّتي هذه"^(١).

وهكذا علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رائد الدعوة والاحتساب أهمية القدوة وأثرها، والمحتسب حينما يعتني بجانب الاقتداء به، فإنه يقتدي برسول - صلى الله عليه وسلم - ، فيرعى سلوكه ويراقب تصرفاته بهذا القصد فيكسب ثواب من سن سنة حسنة إلى يوم القيامة"^(٢).

والمجتمع الآن بحاجة إلى أن يرى القدوة العملية رأياً العين، فتتحرك نفوسهم للطاعة والعمل الصالح، ويحاولون الاقتداء بعمله ومن هنا فإن على المحتسب تهيئة القدوة العملية لمن حوله بمختلف المجالات ومنها:

- القدوة في تحصيل العلم النافع والدعوة إليه.
 - القدوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - القدوة في العمل الإصلاحية الدؤوب والحرص على صلاح المجتمع.
 - القدوة في الصبر على متطلبات الدعوة والاحتساب.
- وحينما نتأمل في واقع الحسبة اليوم نجد أن المحتسب بحاجة ماسه إلى تعلم المنهج الشرعي في الاحتساب لاسيما وأن عددا من القائمين بهذا الأمر يؤخذ عليهم الشدة والغلظة في الاحتساب مما قد يؤثر سلبا على الحسبة والاحتساب ومن هنا فإن المحتسب بحاجة إلى:

(١) أخرجه مسلم في صحيحة ، كتاب : الجمعة ، باب : ٥١ باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر رابعا وبيان قوله صلى الله عليه وسلم لتأخذوا مناسككم ، ج : (٢) ، ص ٩٤٣ ح : (١٢٩٧).

(٢) انظر أصول التربية الإسلامية ، ص ٢٦٢.

الاعتناء بدراسة سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومنهجهم في الدعوة والاحتساب، وأخذ القدوة الحسنة منهم، فقد قال سبحانه وتعالى - ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ... ﴾^(١)، ثم أكد الله عز وجل الحث على الاقتداء بعد ذلك فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴾^(٢)، وقد كان التوجيه الإلهي للنبي - ﷺ - بأن يقتدي بهدي الأنبياء والرسل من قبله، بعد أن ذكر قصصهم وأحوالهم، فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهِهِمْ آفَقَةٌ ﴾^(٣)، وقال سبحانه - : ﴿ قَانِصِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾^(٤).

• الاقتداء بالنبي ﷺ كما أمر الله تعالى بذلك فقد كان منهجه في الدعوة والاحتساب منهجا يُحتذى فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَبِيرًا ﴾^(٥).

• الاعتناء بالقدوة عمليا وأساس القدوة أن يكون فعل المحتسب موافقا لقوله، وإذا خالف هذا الأساس فلا قدوة حينئذ، ولا اقتداء، وقد ذكر الله تعالى عن شعيب - عليه الصلاة والسلام - قوله لقومه: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ ﴾^(٦)، والمحتسب حينما

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٦) سورة هود: الآية: ٨٨.

يرعى هذا الجانب فإنه يكون قدوة في التقوى، قال سبحانه وتعالى عن عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَنْزَلِنَا وِزْرًا قَلِيلًا قَلِيلًا وَأَعِزَّنَا لِلْمُتَّقِينَ إِيمَانًا ﴾^(١)، قال مجاهد: (اجعلنا أئمة في التقوى، حتى نأتم بمن كان قبلنا، ويأتم بنا من بعدنا)^(٢).

ووجود القدوة الحسنة في المجتمع دعم لانتشار الخير؛ فالناس مجبولون على حب محاسن الأخلاق، ودرجات الكمال؛ ولذا كان من رحمة الله تعالى بعباده أن يوجد في الناس على مر العصور نماذج تتمثل الإسلام في أقوالها وأعمالها واعتقاداتها، وبانتظام القدوات في طريق الدعوة والاحتساب تتكامل الصورة، ولا ينفك بعضها عن بعض. ولكي تؤتي الحسبة ثمارها يجدر اعتناء المحتسب بمقومات القدوة الحسنة ومنها:

الإخلاص: ولا يمكن للقدوة أن يؤثر في الناس ما لم يكن مخلصاً لله - عز وجل - ، جاء عن عمر مرفوعاً: (إنما الأعمال بالنيات) أخرج البخاري تقرير لضرورة الإخلاص في الأعمال، وهذا الإخلاص يقود إلى أعمال أخرى، وصفات كريمة؛ لأن النفس المخلصة تحب ما يحب الله - عز وجل - فتعمل على بذل الوسع في ما يرضيه سبحانه، يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - : "العمل بلا إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه"^(٣).

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج: (١٣) ص ٢٥١.

(٣) الفوائد لابن القيم / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ط: (٢)، ت:

(١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م)، دار الكتب العلمية - بيروت - ، باب: فصل من أعجب الأشياء

أن تعرفه ثم لا تحبه، ج: (١) ص ٤٩.

• العلم: وكيف تكون القدوة حسنة بلا علم، فصاحب العلم ذو مكانة كبيرة في الناس، ومن هذا شأنه فهو حري أن يؤخذ منه ويهتدى بهديه، ومما يحتاجه المحتسب في هذا الباب تعلم وفقه الدعوة والاحتساب.

حسن الخلق: وهذا باب عظيم من أبواب الخيرو الناس مجبولون على حب من أحسن إليهم، ومما يؤسف له ما يلحظ من فظاظة وغلظة بعض القائمين بأمر الحسبة مما يؤكد ضرورة التخلق بالخلق الحسن، والتأدب بآداب الحسبة^(١).

(١) للاستزادة في مجال آداب الحسبة انظر: كتاب في آداب الحسبة/ أبي عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي ، تحقيق: ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية طبع بمطبعة إرنست لورو - باريس، ١٩٣١، الجزء ٢١.

المبحث الثالث: نماذج لأثر القدوة الحسنة في استجابة

المحتسب عليهم

سبق أن بينت في المبحث السابق ما للقدوة الحسنة من أهمية في استجابة الناس وقبولهم للحق.

وفي هذا المبحث - بمشيئة الله - سأقف على شيء من النماذج والشواهد التي يتجلى فيها أثر القدوة الحسنة على واقع المحتسب عليهم، ولعل خير من يستشهد بهم ويستتار بطريقهم هم أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه جميعاً فقد كانوا نماذج خيره في التزام القدوة الحسنة في توجيه أقوامهم وحضهم على الخير؛ يقول سبحانه وتعالى عن حال نبيه شعيب - عليه الصلاة والسلام - مع قومه:

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِنْ مَا أَنْتُمْ كُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾^(١)

وهكذا كان سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام قدوة عملية صالحة لأممهم وأقوامهم، إلى أن ختمت النبوات بخاتم الرسل نبينا محمد - ﷺ - الذي كان قرآناً يمشي على الأرض كما وصفته بذلك أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فكان - ﷺ - أسوة وقدوة صالحة للعالمين أجمعين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهُوا كَثِيرًا﴾^(٢)

ومن نماذج قدوته العملية - عليه الصلاة والسلام - وأثرها الإيجابي على المحتسب عليهم على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي:

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

❖ ما جاء عن معاوية بن الحكم السلمي^(١) - رضي الله عنه - قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمّتونني لکني سكت، فلما صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن..)^(٢)

فماذا كانت نتيجة هذه الحسبة؟ أثرت الحسبة بالرفق على معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - وأدرك أن ما صدر منه كان بسبب قرب عهده بالجاهلية فبدأ يستفسر من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الأمور التي كانت شائعة في الجاهلية كي يتمكن من اجتنابها - إن كانت محرمة - بدل أن تظهر منه فينكر عليه^(٣).

(١) روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنه: ابنه كثير وعطاء بن يسار وأبو سلمى بن عبد الرحمن قال أبو عمر: كان ينزل المدينة ويسكن في بني سليم له عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث واحد في الكهانة والطيرة والخط وتشميت العاطس وعتق الجارية. وقيل له حديث آخر من طريق ابنه كثير بن معاوية عنه، انظر: تهذيب التهذيب / للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر بن شهاب الدين العسقلاني الشافعي، اعتناء: إبراهيم الزبيق، وعادل المرشد مؤسسة الرسالة، بيروت. ط: (١)، ت: (١٤٢١هـ). ج: (٤) ص ١٠٦.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: للمساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إيافة، ح: (٥٢٧)، ج: (١) ص ٣٨١.

(٣) انظر: من صفات الداعية اللين والرفق، للدكتور: فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان ط: (٦)، ت: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م). ص ٢٣، ٢٤.

للاستزادة انظر: الرفق واللين في ضوء الهدى القرآني "دراسة قرآنية" رسالة ماجستير / لبندر بن عبد العزيز الجنيدي، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة للملك سعود ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ.

مجلة
الدراسات
الدعوية

كما أثرت هذه الحسبة في رسم قدوة عملية للصحابة الكرام - رضوان الله عليهم جميعاً - بالرفق في الحسبة على الجاهل؛ يقول الإمام النووي^(١) تعليقاً على الحديث: "فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ - من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل ورأفته وشفقته عليه، وفيه التخلق بخلقه - ﷺ - في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللفظ به وتقريب الصواب إلى فهمه"^(٢).
ومن النماذج أيضاً:

❖ ما جاء عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "استأذن رهطاً من اليهود على النبي - ﷺ - فقالوا: السام عليك فقالت: بل عليكم السام واللعنة فقال صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) قالت: أو لم تسمع ما قالوا قال: قلت: (وعليكم)^(٣).

وفي الحديث بيان لعظيم خلقه - ﷺ - وكمال حلمه، وتأديبه لعائشة - رضي الله عنها - وعدم تركه للحسبة عليها وتوجيهها

(١) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الفقيه شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا الحزامي النووي. ولد في الحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، قرأ القرآن ببلده وختم وقد ناهز الاحتلام. وقد سمع الحديث الكثير وأخذ علم الحديث عن جماعة من الحفاظ مات في رجب سنة سبع وسبعين وستمائة ودفن بها. انظر: طبقات الشافعية، ج: (١) ص ١٥٢. لأبي بكر بن محمد بن أحمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي، اعنى بتصحيحه وعلق عليه: د. الحافظ عبد العليم خان، رتب فهارسه في ضوء قواعد الفهرس العالم: د. عبد الله أنيس الطباع، دار عالم الكتب، ط: (١)، ت: (١٤١٧هـ - ١٩٨٧م).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم / لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط: (٢) ت: (١٣٩٢هـ)، ج: (٥) ص ٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل الخوارج والملاحدين بعد إقامة الحججة، ح: (٦٥٢٨)، ج: (٦) ص ٢٥٣٩.

للصواب، كما أن فيه قدوة عملية لها - رضي الله عنها - في معرفة الطريقة الحكيمة في التعامل مع المواقف بما تقتضيه المصلحة، لأنه مما ينبغي على أهل الفضل ودعاة الحق أن يصونوا أنفسهم عن مجارات السفهاء عند سماع قبيح القول منهم، فإن التغافل عن مثل هذا مما يحمد عليه المرء لاسيما المحتسب الذي قد يواجه بمثل هذا من أهل السفه والباطل، فمن العقل والحكمة التغافل عن قولهم إلا إذا اقتضت المصلحة غير ذلك^(١)، يقول الإمام النووي: "وفي هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم يترتب عليه مفسدة، قال الشافعي - رحمه الله - الكيس العاقل هو الفطن المتغافل"^(٢).

ومن النماذج أيضاً:

❖ ما جاء عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: "أتانا رسول الله - ﷺ - في مسجدنا هذا وفي يده عرجون ابن طاب^(٣) فرأى في قبلة المسجد نخامة، فحكها بالعرجون ثم أقبل علينا فقال: (أيكم يحب أن يعرض الله عنه) ١٩ قال: فخشعنا، ثم قال: (أيكم يحب أن يعرض الله عنه) ١٩ قلنا لا أيُّنا يا رسول الله قال: (فإن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قبَّل وجهه فلا يبصقن قبَّل وجهه،

(١) انظر: أحاديث الحسبة في مسند الإمام أحمد مسند النساء "دراسة دعوية" رسالة ماجستير / لها بنت عبدالله الحري، إشراف: د. يوسف أمين أحمد. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المدينة المنورة - كلية الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب ١٤٢٣ - ٢٠٠٢م. ص ٣٢٩.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ج: (١٤) ص ١٤٧.

(٣) هو العود الأصفر العريض الخالي من الرطب إذا يبس إذا عوج وابن طاب رجل من أهل المدينة انظر: مشارق الأنوار على صحيح الآثار.

ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى^(١)، فإن عجلت به بادرت، فليقل بثوبه هكذا، ثم طوى ثوبه بعضه على بعض فقال: أروني عبيراً، فقام فتى من الحي يشتد إلى أهله، فجاء بخلوق في راحته، فأخذه رسول الله - ﷺ - فجعله على رأس العرجون، ثم لطح به على أثر النخامة فقال جابر: فمن هنا جعلتم الخلوق في مساجدكم^(٢).

ففي الحديث قدوة عملية منه - ﷺ - بالبيان العقلي ليكون أوقع في نفس السامع، وليكون أوضح دلالة على ما يراد الحسبة فيه وتوجيه الصحابة الكرام رضي الله عنهم إليه. وفيه بيان لعظيم تواضعه - ﷺ - إذ باشر حرك النخامة بنفسه ومسارعته لإزالة الأذى عن تيامن بيوت الله وإنكاره هذا الفعل وتلافيه وتجنب تكراره^(٣). ومن النماذج كذلك:

❖ ما كان منه عليه الصلاة والسلام في قصة الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا وكيف أن الصحابة - رضوان الله عليهم - زجروه بشدة فنهاهم - عليه الصلاة والسلام - عن ذلك وأمر الشاب بالدنو

(١) إنما يسوغ هذا الفعل في أثناء الصلاة، وفي داخل المسجد، إذا اضطر إليه المصلي، وكانت أرض المسجد ترابياً أو رملاً أو حصى أو نحو ذلك كما كانت المساجد في العهد النبوي. أما إذا كان المسجد مبلطاً أو مخصصاً أو مفروشاً بشيء، كما هي حال المساجد اليوم، فيتعين على المصلي البصاق في ثوبه إذا احتاج إليه إذ تجب صيانة المسجد عن كل مستقذر أو مكروه أو ملوث أو مذهب للنظافة.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة، كتاب: الزهد والرقائق باب: حديث جابر الطويل وقصة أي اليسر، ح: (٣٠٠٨)، ج: (٤) ص ٢٣٨.

(٣) انظر: الرسول المعلم - ﷺ - وأساليبه في التعليم، ص ٧١.

منه والجلوس وهذا أول مراحل إشعاره - عليه الصلاة والسلام - للشباب بالأمن وتقبل ما سيلقى عليه، ثم بدأ عليه الصلاة والسلام يحاوره بعد أن أشعره بكيانه وأمنه قال: (أتحبه لأملك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم) قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم) قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: (ولا الناس يحبونه لعمااتهم) قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداك قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم))^(١).

لو تأملنا الحديث.. لماذا لم يقل له النبي - ﷺ - أترضاه لمحارمك وينتهي الأمر!! القضية قضية أخذ وعطاء.. في كل مرة سؤال وجواب قد توصل هذا الشاب لقضية لم تخطر على باله؛ ولذلك نجد المصطفى - ﷺ - يصور له هذا الفعل مع محارمه ويستعرض ذلك معهم واحدة واحدة، وفي كل مرة لنا أن نتصور تخيل هذا الشاب لهذا الأمر وفي كل مرة لها أثر نفسي داخلي على ذلك الشاب حتى إذا ما انتهى - ﷺ - من استعراض المحارم، وإذا به يضع يده على صدر الشاب - وهذه مرحلة من سبل توليد الحميمية وما يسمى بلغة الجسد - ثم قال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه)^(٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ح: (٢٢٢٦٥)، ج: (٥) ص ٢٥٦. وحكم عليه المحدث

الألباني - رحمه الله - بالصحة في السلسلة الصحيحة ج: (١) ص ٧١٢.

(١) الحديث وانظر حاجتنا للحوار / د. إبراهيم الدويش محاضرة مسجلة أقيمت في مركز الملك

عبد العزيز للحوار الوطني.

وفي الحديث إنكاره عليه الصلاة والسلام على الصحابة -
 رضوان الله عليهم جميعاً - ، وتوجيهه لهم بالقدوة العملية منه - ﷺ -
 لطريقة الاحتساب على من هم في مرحلة الشباب وكيف أنه
 احتوى هذا الشاب ووجهه. ولذلك نجد أن الشاب يعلن النتيجة في نهاية
 موقفه مع النبي - ﷺ - حيث قال: "دخلت على رسول الله - ﷺ -
 - وأحب شيء إليّ الزنا وخرجت من عند رسول الله - ﷺ -
 وأبغض شيء إليّ الزنا".
 ومن النماذج أيضاً:

❖ ما جاء عن ابن عمر - ﷺ - قال: اتخذ النبي - ﷺ - خاتماً
 من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فقال النبي - ﷺ - : (إني
 اتخذت خاتماً من ذهب) فنبذه وقال: (إني لن ألبسه) ^(١) ، وفي الحديث
 بيان لسرعة تأثير الصحابة الكرام بالقدوة العملية التي رأوها
 منه - ﷺ - ، فآتت ثمارها في الحال عندما نبذ الناس خواتيمهم
 اقتداءً به - ﷺ - فما أعظم أسلوب القدوة وما أشد تأثيره في
 النفوس ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام، باب: الاقتداء بأفعال النبي - ﷺ - ح:

(٧٢٩٨) ص ١٣٩١.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج: (١٣) ص ٣٣٧.

(٣) القلوة ودورها في تربية النشء، ص ٤٩.

ومن النماذج أيضاً:

❖ احتسابه عليه الصلاة والسلام على حبه أسامة بن زيد رضي الله عنه ^(١) لما قتل من قال لا إله إلا الله بحجة أنه قالها خوفاً من السيف.

فقد جاء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - بعث بعضاً من المسلمين إلى قوم من المشركين وأنهم التقوا فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته قال وكنّا نحدث أنه أسامة بن زيد. فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأله فأخبره حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع فدعاه فسأله فقال: لم قتلته قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً وإني حملتُ عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (أقتلته؟) قال: نعم. قال: (فكيف تضع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة) قال: يا رسول الله استغفر لي قال: (وكيف تضع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة) قال: فجعل لا يزيدُه على أن يقول: (كيف تضع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة) ^(٢)، وفي رواية البخاري - رحمه الله - يقول أسامة - رضي الله عنه - : "فما زال يكررها حتى تمنيت لم أكن أسلمت قبل ذلك".

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن عبد العزيز بن امرئ القيس حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومولاه وابن مولاه، أبو زيد ويقال أبو محمد ويقال أبو حارثة وقيل أبو يزيد - قال ابن سعد مات في آخر خلافة معاوية وقيل أنه شهد يوم مؤتة مع والده. انظر: سير أعلام النبلاء، ج: (٢) ص ٤٩٦.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ح: (٩٦)، ج: (١) ص ٩٧.

وهكذا سار الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً على منهج قدوتهم
 - ﷺ - فها هو الصديق - ﷺ - يرسم لنا قدوة عملية في
 إصراره على ضرورة مقاتلة من فرق بين الصلاة والزكاة في توجيهه
 للفاروق - ﷺ - بضرورة مقاتلة من حاد عن منهج الرسول - ﷺ -
 وأخل بما كان يؤديه إليه.

فقد روي أن عمر - ﷺ - قال له: "علام تقاتل الناس وقد قال
 رسول الله - ﷺ - : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا
 الله وأن محمداً رسول الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم
 إلا بحقها). فقال أبو بكر ﷺ: والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه
 لرسول الله - ﷺ - لقاتلتهم على منعها، إن الزكاة حق المال،
 والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة".

فظهرت النتيجة والأثر لهذه القدوة العملية حتى قال عمر - ﷺ -
 : "فما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر - ﷺ - للقتال فعرفت
 أنه الحق وقد قال تعالى: ﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا
 سَبِيلَهُمْ﴾^{(١)(٢)}.

وتأتي خلافته رضوان الله تعالى عليه فيضرب لنا النماذج الرائدة
 التي تبرز ما للقدوة الحسنة من أهمية وأثر فاعل على المحتسب عليهم.

(١) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٢) انظر: تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، الدعوة في حياة الصديق أبي بكر

- ﷺ - / للدكتور يسري محمد هاني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء

التراث الإسلامي، مكة المكرمة ١٤١٨ هـ. ج: (١) ص ٢٧٧.

فقد رأى يوماً على طلحة بن عبيدالله^(١) ثوباً مصبوغاً وهو محرم، فقال عمر - رضي الله عنه - "ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين إنما هو مدر^(٢) فقال عمر: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال: إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة"^(٣).

ويتتالي الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم جميعاً - خلفاً لمن سلف في ضرب النماذج البارزة لتأثير قدوتهم الحسنة في الحسبة وتوجيه الناس للخير ونبذ ما سواه. وسار السلف - عليهم رحمة الله - على منهجهم واستتوا بسنتهم.

فها هو الخليفة عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - يضرب لنا القدوة الحسنة في حسن الحسبة على ابنه وتوجيهه إلى الصواب، فحينما ولي الخلافة - رضي الله عنه - أراد أن يعود بالحياة إلى هدي الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ولكن بعد أن يتمكن ويمسك بجميع الخيوط في يديه، وكان ابنه

(١) هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن كنانة القرشي التميمي المكي أبو محمد. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة له عدة أحاديث توفي سنة ٣٦ وهو ابن ثنتين وستين سنة أو نحوها. انظر: سير أعلام النبلاء ج: (١) ص ٢٣.

(٢) قوله في الثوب المصبوغ للمحرم إنما هو مدر يعني ثوباً يريد إنما صبغ بالمغرة والمدر الطين اليابس. مشارق الأنوار على صحيح الآثار / للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي المالكي، مكتبة العتيقة ودار التراث، ج: (١) ص ٣٧٥.

(٣) موطأ الإمام مالك / للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبغي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر. ج: (١) ص ٣٢٦. للاستزادة انظر: احتساب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - رسالة ماجستير / لبدرية بنت محمد بن عبد الله الفوزان. كلية الدعوة والإعلام قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢١ - ١٤٢٢.

الشاب الغيور المتحمس عبد الملك^(١) ينكر على أبيه عدم إسراره في إزالة كل بقايا الانحراف والمظالم فقال له يوماً: "مالك لا تنفذ الأمور فو الله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق"، فكان جواب الأب الفقيه المؤمن: "لا تعجل يا بني فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، فيكون من ذا فتنة"^(٢).

وها هو الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- يضرب لنا مثلاً في القدوة الصالحة وأثرها على المتلقين، ويظهر ذلك جلياً في العديد من المواقف ولعل من أعظمها موقفه في فتنة القول بخلق القرآن الكريم وكيف أنه بذل في سبيل الحسبة على هذا المنكر والثبات على قول الحق حتى كان سبباً في تثبيت الناس للزوم جادة الصواب.

فها هو المروزي^(٣) أحد أصحابه يدخل عليه أيام المحنة ويقول له: "يا أستاذ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾"^(٤) فقال الإمام

(١) هو: عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، أمير أموي عاش ملازماً أباه ومات قبيل وفاته وكان من أحب الناس إليه قال ابن الحكم: أعان الله عمر بن عبد العزيز بثلاثة: أحدهم ابنه عبد الملك كانوا أعواناً له على الحق وقوة له على ما هو فيه. وتوفي الثلاثة متعاقبين في دير سمعان بالمعرة. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين /خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. ط: (١٩٩٥م) بيروت - لبنان. ج: (٤) ص ١٦١.

(٢) الموافقات في أصول الشرعية / لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى الحنفي الغرناطي المالكي، وقد عني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه: عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت. ج: (٢) ص ٩٣ - ٩٤.

(٣) الإمام القدوة / شيخ بغداد أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج الفقيه أجل أصحاب الإمام أحمد كان أبوه خواريزمي وأمه مروزية لزم أحمد نهراً وأخذ عنه العلم والعمل انظر: تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، ط: (٢) بيروت. ج: (٢) ص ٦٣٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٩.

أحمد - رحمه الله - يا مروزي اخرج، انظر أي شيء ترى؟ اقال: فخرجت إلى رحبة دار الخليفة فرأيت خلقاً من الناس لا يحصي عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعهم، فقال لهم المروزي: أي شيء تعملون؟ فقالوا ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، قال المروزي مكانكم. فدخل إلى أحمد بن حنبل فقال له: رأيت قوماً بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه فقال: يا مروزي أضل هؤلاء كلهم؟ أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء^(١).

وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية - عليه رحمة الله - قدوة العلماء فضلاً عن العامة، كانت حياته قدوة للناس ومن ذلك موقفه في الحسبة على الشيعة وأصحاب التوجهات الخاطئة وما كان منه يرحمه الله عندما عزم على تكسير الأصنام الموجودة إذ ذاك حين هاب الناس منها فتقدم هو وأخوه وبدأ بتكسيورها وقال للناس: إن أصاب أحد منها شيء أصابنا نحن قبله، فكان ذلك توجيهاً للناس بالقدوة الفعلية التي لا يشك في مدى وقعها وعظيم أثرها على نفوس المتلقين^(٢).

ويتوالى سير سلف الأمة وخيارها على منهج الحق جل وعلا في الاستئناس بسنة المصطفى ﷺ - والسير على هديه وهداه في الأمر

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ج: (١١) ص ٢٣٥.

للاستزادة انظر: الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل / لمحمد بن محمد بن أبي بكر السعدي الحنبلي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي هجر. ط: (١) ١٤١٧ - ١٩٨٧ م.

(٢) انظر: الحسبة العملية والنظرية عند شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - "دراسة تحليلية مقارنة بمسائل الحسبة المعاصرة" / رسالة دكتوراه للمحاضر ناجي بن حسن بن صالح حضير. كلية الدعوة بالمدينة المنورة قسم الدعوة والاحتساب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٦ هـ. ص ٢٢٠.

بالمعروف والنهي عن المنكر فقد بين عليه الصلاة والسلام أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله.

ومن النماذج والشواهد المعاصرة لتأثير القدوة الحسنة في الحسبة:

ما كان من بقية السلف شيخنا سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله - حيث كان نبراس هداية وضاء ومشعل خير متوقد ومثالاً حياً للقدوة الصالحة فها هو عليه رحمة الله يخبره مرافقة أن أحد الأخوة الحضور في أصبعه خاتم من ذهب، فما كان منه رحمه الله إلا أن تحدث إلى هذا الأخ بلغة هادئة ومحبة مبيناً له فيها حكم الشرع في تحريم استخدام الذهب للرجال، بطريقة لا تخلو من الود، الأمر الذي جعل هذا الرجل المحتسب عليه يسارع على الفور بخلع خاتم الذهب من أصبعه ويتقدم بجزيل الشكر لفضيلته^(١).

ويذكر أحد الرجال أنه ذات مرة صلى بجوار سماحته فقال له بعد انتهاء الصلاة إنني أحسست أنك تسابق الإمام فانتبه فإن ذلك يبطل الصلاة، يقول الرجل: "فأصبحت منذ ذلك الوقت حريصاً على عدم مسابقة الإمام"^(٢)، كما كان عليه رحمة الله قدوة عملية لطلابه في لزوم دليل الكتاب والسنة وعدم معارضتهما بأي كلام آخر فها هو الشيخ كما يروي عنه أحد الطلاب أنه لما قرر في التفسير جواز نكاح الكتائيات بشرط قال بعض الطلاب: يا شيخ بعض الصحابة كان

(١) انظر: مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - / لعمود بن عبد الله الطر،

دار الوطن الرياض، ط: (١)، ت: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ١٨٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٨٩.

ينهى عن ذلك!! فالتفت الشيخ إليه وقد احمرّ وجهه وقال: "هل قول الصحابي يضاد به الكتاب والسنة؟"^(١).

وإلى غير ذلك من الشواهد المتعددة التي لو توقفنا لاستقصاء شيء منها لظال بنا الكلام.

وقد سار على نهجه طلابه ومحبوهم منهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين - رحمه الله - فكان له رحمه الله مواقف عملية في الأمر بالمعروف وإنكار المنكر؛ ومن ذلك إنكاره المخالفات العقدية المعاصرة وكيفية مواجهتها وردة على شبهات الفرق الضالة وتفنيدها بالإضافة إلى تبصيره لطلابه وللناس عامة بمسائل التكفير وبخاصة ما يتعلق بتكفير الحكام وبيانه لعدد من الأخطاء اللفظية والتي تقع في كلام بعض الناس وقد ضرب - رحمه الله - في ذلك أروع الأمثلة للالتزام بما يأمر به وينهى عنه وسار على ذلك المنهج طلابه من بعده^(٢).

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فلاح^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١٩١.

(٢) انظر: الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاة / جمع وإعداد تلميذه: عصام بن عبد النعم المرعي، دار البصيرة، الإسكندرية. الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين ص ١١٩، ١٢٢.

(٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، ت: (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار صادر، بيروت، ج: (٦) ص ٢٧٢.

الختامة

الحمد لله الذي جعل لنا قدوة وأسوة حسنة، وسن لنا أحسن السنن،
وبين لنا طريق السلامة من الفتن وجعلنا على المحجة البيضاء ليلها
كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وصلى الله على قدوة الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين
ثم أما بعد :

فإني أحمد الله تعالى على أن يسر لي كتابة هذا البحث المختصر
حول القدوة وأثرها في حياة المحتسب والذي تبين من خلاله أهمية
القدوة وآثارها الإيجابية لاستجابة المحتسب عليهم وقد رأيت أن أختمه
ببعض النتائج والتوصيات على النحو التالي:
أولاً: النتائج:

❖ المحتسب القدوة يكون سبباً بإذن الله تعالى في هداية الناس
وقبولهم للحق.

❖ تتفاوت مستويات فهم الكلام عند الناس ويتساوى الجميع أمام
الرؤية بالعين المجردة للمثال الحي مما يؤكد أهمية ظهور القدوة
الحسنة.

❖ سرعة استجابة الناس وقبولهم للحق عند تمثل القدوة الحسنة
أمامهم.

ثانياً: التوصيات:

❖ ضرورة تعميق حب النبي - ﷺ - ودراسة مواطن القدوة العملية
في سيرة الرسول - ﷺ - ودراسة تأثيرها الدعوي على أفراد المجتمع.

❖ تقديم دراسات علمية تظهر مواطن القدوة الحسنة من سير السلف الصالح وبيان أهميتها في الدعوة والاحتساب لاسيما وبيان أوجه الاستفادة منها لاسيما في الوقت الحاضر الذي تتأكد فيه الحاجة لتمثل القدوة الحسنة في مختلف جوانب الحياة.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من المهتمين المقتدين بالرسول الكريم ﷺ - وأن يرزقنا شفاعته، كما أسأله تعالى أن ينفع بهذا الجهد والذي أرجو أن يكون إسهاماً يسيراً في الكتابة في مواضيع الاحتساب وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...
والحمد لله رب العالمين.

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحاديث الحسبة في مسند الإمام أحمد مسند النساء "دراسة دعوية" رسالة ماجستير لها بنت عبد الله الحري، إشراف: د. يوسف أمين أحمد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المدينة المنورة - كلية الدعوة، قسم الدعوة والاحتساب ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣- الاحتساب وصفات المحتسبين / للدكتور: عبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع، دار الوطن للنشر، ط: (١) ت: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ٤- الأحكام السلطانية والولايات الدينية / للإمام الماوردي، تصحيح: النعساني الحلبي، ط: (١)، ت: (١٣٢٧هـ).
- ٥- الأحكام السلطانية / لأبي يعلى الحنبلي، تحقيق الشيخ: محمد الفقي، دار الفكر، بيروت، ت: (١٤١٧هـ).
- ٦- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / للقاضي الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧- أصول التربية الإسلامية / عبد الرحمن النحلوي، دار الفكر، ط: (٢).
- ٨- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين / لخير الدين الزركلي، ط: (١)، ت: (١٩٩٢م) دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

- ٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصوله وضوابطه وآدابه / للشيخ: خالد بن عثمان السبت، المنتدى الإسلامي، لندن، ط: (١)، ت: (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ١٠- تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، الدعوة في حياة الصديق أبي بكر - ﷺ - للدكتور / يسري محمد هاني، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة.
- ١١- تذكرة الحفاظ / لأبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية ط: (٢)، بيروت.
- ١٢- ترتيب القاموس المحيط على طريق المصباح المنير وأساس البلاغة للطاهر أحمد الزاوي، دار الفكر.
- ١٣- تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت - ط: (١) ت: (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
- ١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / للشيخ: عبد الرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ط: (٢)، ت: (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- ١٥- الجامع الصحيح سنن الترمذي / محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٦- الجوهر المحصل في مناقب الإمام أحمد بن حنبل / لمحمد بن أبي بكر السعدي الحنبلي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد

- المحسن التركي، هجر. ط: (١)، ت: (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).
- ١٧- حاجتنا للحوار / د. إبراهيم الدويش، محاضرة مسجلة أقيمت في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.
- ١٨- الحسبة النظرية والعملية عند شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - "دراسة تحليلية مقارنة بمسائل الحسبة المعاصرة" / رسالة دكتوراه للمحاضر ناجي بن حسن بن صالح حضيري، كلية الدعوة بالمدينة المنورة قسم الدعوة والاحتساب ١٤٢٦هـ.
- ١٩- الحسبة في الماضي والحاضر بين ثبات الأهداف وتطور الأسلوب للدكتور: علي القرني، مكتبة الرشد، ط: (١)، ت: (١٤١٥هـ).
- ٢٠- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته للدكتور: حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار، دار أشبيليا. ط: (٢)، ت: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ٢١- الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - / ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاء، جمع وترتيب وإعداد تلميذه: عصام بن عبد المنعم المري، دار البصيرة الإسكندرية.
- ٢٢- الرسول المعلم - ﷺ - وأساليبه في التعليم / لعبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بحلب، ط: (٢)، ت: (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

- ٢٣- الرفق واللين في ضوء الهدى القرآني - دراسة قرآنية - رسالة ماجستير/ لبندر بن عبد العزيز الجديد، جامعة الملك سعود، قسم الثقافة الإسلامية ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ.
- ٢٤- سير أعلام النبلاء / للإمام الذهبي تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم، ط: (٩)، ت: (١٤١٣هـ).
- ٢٥- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: (٢)، ت: (١٣٩٢هـ).
- ٢٦- شروط المحتسب وآدابه / رسالة ماجستير لحافظ عابد إلهي. كلية الدعوة والإعلام بالرياض، قسم الدعوة، ١٤٠٧هـ.
- ٢٧- صحيح الإمام البخاري / للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، ت: (٢٠٠٥م) بيت الأفكار الدولية، لبنان.
- ٢٨- صحيح الإمام مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، ت: (٢٠٠٥م) بيت الأفكار الدولية، لبنان.
- ٢٩- صفات الداعية في ضوء سير دعاة النبي - ﷺ - رسالة ماجستير/ لأحمد بن علي عبد الله الخلفي، كلية الدعوة والإعلام قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ.
- ٣٠- طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى، دار المعرفة - بيروت.

- ٣١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد علي الشوكاني، دار الفكر.
- ٣٢- الفساد الخلقي في المجتمع أسبابه، آثاره، علاجه في ضوء الإسلام للدكتور: ناصر بن عبد الله ناصر التركي، وزارة الشؤون الإسلامية. ت: (١٤٢٣هـ).
- ٣٣- الفوائد لابن القيم / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ط: (٢)، ت: (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، دار الكتب العلمية - بيروت - .
- ٣٤- القدوة مبادئ ونماذج / لصالح بن عبد الله بن حميد. دار الوطن.
- ٣٥- القدوة ودورها في تربية النشئ / لبريكان بركي القرشي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- ٣٦- لسان العرب / لابن منظور، دار صادر.
- ٣٧- مسند الإمام / أحمد بن حنبل، دار المعارف. مصر. ط: (٣)، ت: (١٣٦٨هـ).
- ٣٨- مشارق الأنوار على صحيح الآثار / للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي السبئي المالكي، مكتبة العتيقة ودار التراث.
- ٣٩- المعجم الأوسط لإبراهيم مصطفى / أحمد الزيانت / حامد عبد القادر محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- ٤٠- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ش: مكتبة الحلبي، مصر، ط: (٢)، ت: (١٣٩٠هـ).

- ٤١- مكارم الأخلاق / لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - ، إعداد وترتيب خالد أبو صالح، دار الوطن، الرياض.
- ٤٢- من صفات الداعية اللين والرفق، للدكتور: فضل إلهي، : إدارة ترجمان الإسلام باكستان، ط: (٦)، ت: (١٧٤١هـ - ١٩٩٧م).
- ٤٣- الموافقات في أصول الشرعية / لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى الخمي الغرناطي المالكي، وقد عني بضبطه وترقيمه ووضع تراجمه: عبد الله داراز، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٤- مواقف مضيئة في حياة الإمام عبد العزيز بن باز - رحمه الله - / لحمود ابن عبد الله المطر، دار الوطن، الرياض، ط: (١)، ت: (٢٠١٤هـ - ١٩٩٩م).
- ٤٥- موطأ الإمام مالك للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ش: دار إحياء التراث العربي مصر.
- ٤٦- نظام الحسبة في الإسلام / رسالة ماجستير لعبد العزيز بن مرشد، المعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض. ١٣٩٢هـ.
- ٤٧- هيئة الداعية ومظهره ودوره في إيصال / رسالته للدكتور: عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، دار الحضارة.

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

- ١ < تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه .
- ٢ < تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية .
- ٣ < تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية .
- ٤ < تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية .
- ٥ < تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات
والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها .

بصيرة

المملكة العربية السعودية

ص.ب. ٤٨٤٧ الرياض ١١٤١٢

هاتف - فاكس: ٢٥٨٥١٣٢

www.dawastud.org